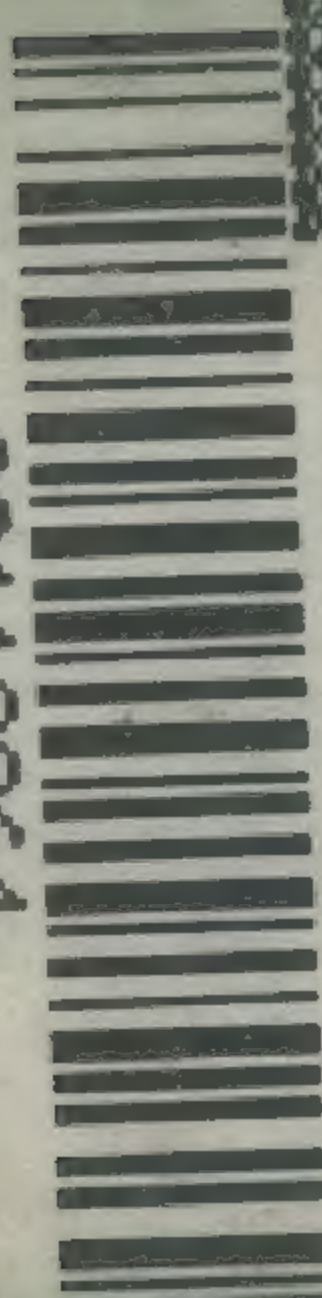




Bibliotheca Alexandrina



00118964

عزیز خان کی

اسکندرا لاکر

المطبعة العصرية

بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر



عزيز بك قاشقى

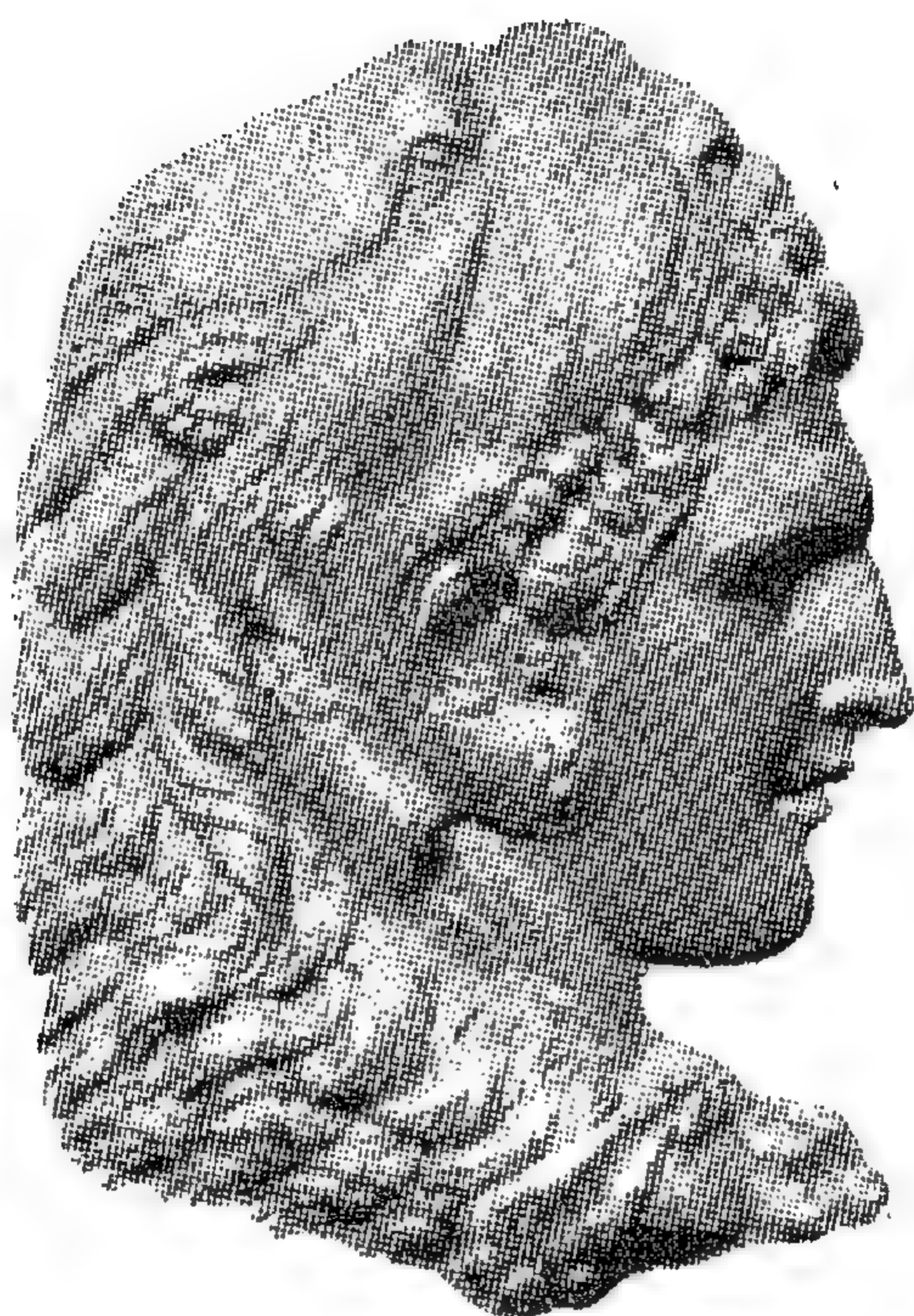
محمد علي باشا الكبير

واسكندر الاكبر

محمد علي باشا الكبير كان من اشد المعجبين باسكندر الاكبر . روى المؤرخان
الفرنساويان كادالفين Cadalvène وبروفوى Breuvery - اللذان عاصراه وعرفاه
وخالطاه - أن محمد علي باشا سمع بتأليف كتاب في حياة اسكندر الاكبر طبع ونشر في
فرنسا فأمر باحضاره . ولما عرض عليه الكتاب سأل عن الزمن الذي تقتضيه ترجمته
فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد علي باشا « هذا زمن طويل »
ثم استل سيفاً من الحرس وشطر الكتاب ثلاثاً وقال « الآن يجب ان تتم الترجمة في
شهرين » بعد ذلك التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر قائلاً
« قيل لي ان الاسكندر وبطليموس من مقدونيا . وأنا أيضاً من مقدونيا . ان مقدونيا
أنجبت ثلاثة تولوا حكم مصر . إلا ان سلطاني على هذه البلاد أوسع مدي . »

قال في روي هذين العاهلين العظيمين أهدي هذا الكتاب

عزيز فنانكي



اسکندر

مقدمة

*

حياة الاسكندر كلها عجب . عجب من المهد الى اللحد . فتي حياً العشرين من عمره يفكر في محاربة أعظم ملك بسط سلطانه على اكبر امبراطورية في عالم ذلك الزمان فيخرج من بلاده بجيش لا يزيد عدد جنوده على ٤٠ ألفاً^(١) فيبسط سلطانه على أوروبا وآسيا وأفريقيا في ثلاث عشرة سنة . يغزو - في أوروبا - البلاد المعروفة في ذلك الزمان من نهر الدانوب شمالاً الى البحر الابيض جنوباً ومن مقدونيا غرباً الى البحر الأسود شرقاً . ويغزو - في آسيا - البلاد الواقعة بين اقطار الهند شرقاً وآسيا الصغرى غرباً . ويغزو - في أفريقيا - ديار مصر من منبع النيل جنوباً الى مصبه شمالاً ومن ليبيا غرباً الى فلسطين شرقاً . فيبسط سلطانه على ربوع مقدونيا واليونان وبلغاريا والعرب والباينا وعلى مناطق الفرس وسواد العراق وريف مصر ومشارف الشام وبقاع أفغانستان وسايستان وبلوشستان وهندوستان وخراسان وجرجان ومازندران وبلاد الاناضول وأرمينيا وبابل وما اليها . وهي كما ترى امبراطورية عظيمة لم تبلغ شأوها كسروية كسرى ولا قيصرية قيصر ولم تعدل شأنها فتوحات شارلمان ولا غزوات نابليون . ان إنشاء هذه الامبراطورية الضخمة في ثلاث عشرة سنة على يد شاب حدث لم يخط الى العشرين عجب عجب .

قال احد مؤرخيه انه لما مات اسكندر كان جسمه في أرض آسيا وفكره كان يخلق في سماء أوروبا

" Il mourut comme Moïse les pieds encore sur l'Asie, mais les yeux déjà sur l'Europe "

الم يرو المؤرخون انه لما غادر اسكندر الهند ووصل الى سوس رحل منها الى همدان ثم انتقل الى بابل وفيها قرر الطواف حول بلاد العرب والبحر الأحمر ثم

(١) صدق من قال : " Une armée ne vaut que ce que vaut son chef "

تجهيز حملة قوية تؤيدها ١٠٠٠ سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس) والبلاد
المتاخمة لها وأسبانيا وجزيرة صقلية ثم يسيطر سلاطانه على ايطاليا الى ان يعود الى
وطنه مقدونيا . هذا هو الاسكندر الذي عدّ - وعدّ بحق - اطروفة ذلك الزمان
لا يدري الا الله ماذا تكون امبراطورية الاسكندر لو اناف عمره على ثلاث
وثلاثين سنة .

ما أبلغ ما قاله مؤرخ في اسكندر وفي فعالة :
قال في اسكندر « أن مجده وأسمه بلغا عنان السماء »

“ dont la gloire et le nom s'élèvent jusqu'aux cieux ”

وقال في فعالة انها فعال جابرة يقتضى تحقيقها عدة قرون :

“ C'est une œuvre de géants et des siècles.”

أبوه فيليب عاش شاباً وهو شيخ . واسكندر عاش شيخاً وهو شاب . شاخ اسكندر
وهو شاب لانه قضى حياته في حروب وخطوب ثقال تشيب من هولها الولدان .
صدق من قال :

“ On vieillit vite sur le champ de bataille ”

على انه لو لم يكن الاسكندر من أثر في هذه الحياة الدنيا سوى تأسيسه مدينة
الاسكندرية لكفاه فخراً أبداً الآبدى ودهر الداهرين . مدينة الاسكندرية قال
فيها أحد المؤرخين انها :

“ La plus géniale des créations du grand conquérant, que Ptolémée
encore satrape, avait prise aussitôt pour capitale ”

لما طالعت ما كتبه فطاحل المؤرخين في حياة الاسكندر تولفتى الدهشة من
عظمة هذه الشخصية الفجائية فحقرتني الى كتابة سيرته ملخصة من الكتب التي
طالعتها وهي تنيف على الستين .

المؤرخ الاوربي إذا كتب رجع الى المصادر الاصلية يستخرج منها الحقائق
والدقائق . ولكي يستخرج الحقائق والدقائق من مصادرها الاصلية يبدأ بتعلم اللغات
الأصلية التي دون بها تاريخ من يريد ان يكتب تاريخه :

خذ مثلاً العالم الفرنساوى شامبليون Champollion فانه ليدرس تاريخ مصر القديم بدأ بكشف سر اللغة الهيروغليفية . ولكشف سر اللغة الهيروغليفية درس اللغات القبطية واليونانية والعبرية والعربية والسكندانية والصينية . ومن حسن المصادفات أن أول الأسماء التى حل طلاسمها وفك رموزها كان أمم اسكندر الاكبر . ومثله المؤرخ الألمانى درويزن Droysen فانه قبل ان يكتب تاريخ الاسكندر درس اللغة اللاتينية واللغة اليونانية ثم طالع كتب بلوتارك Plutarque وكنت كورس Quinte - Curce وكالستين Callisthène وكسينوفون Xénophon واستقرى جميع أوراق اليردى اليونانية التى نشرت حتى ذلك الأوان ويزيد عددها على عشرة الاف . كما طالع كتب غيرهم وغيرهم من القدماء فتعجبت له عظمة شخصية الاسكندر فصنف كتابه المشهور مدفوعاً بتلك الحقائق التى ملأت رأسه وبذلك العواطف التى ملأت قلبه . والقلم اذا نث من جُلجلان قلب الكاتب ابداع و اخرج الكتاب مطبوعاً بطابع خاص هو طابع الحقيقة الحقة مع شىء من الطرافة . وهل أنتاج الكاتب الا قطعة من نفسه . صدق من قال ان التاريخ الحق ما يمايه القلب .

" Pectus fecit historicum, c'est le cœur qui fait l'histoire."



أحصى أحد المؤرخين الألمان — الأستاذ كيرشايزن Kirchsen وهو احصائى اخصائى — عدد المؤلفات التى كتبت عن حياة نابليون وعن أبيه وعن أمه وعن ابنه وعن اخوته وعن أخواته وعن زوجته وعن خيالاته فوجدها تبلغ ٢٠٠.٠٠٠ والكثير منها أعيد طبعه غير مرة ومنها ما طبع ١٨ طبعة متوالية مثل كتاب مسيو ثير Thiers رئيس جمهورية فرنسا ^(١) . واذا عرفت ان نابليون ولد فى سنة ١٧٦٩

(١) ويقول المؤرخ الروسى Tarlé — استاذ التاريخ فى جامعة موسكو — ان نابليون خاض ٦٠ معركة ومعركة أوروبا وفى أفريقيا وفى آسيا :

" Napoléon livra pendant sa vie environ 60 batailles grandes et petites (nombre incomparablement plus grand que celui des batailles réunies de César, d'Annibal, de Frédéric le Grand et de Souvorov.) V. Tarlé, p. 21."

وتوفي في سنة ١٨٢١ مع انه لم يمض على وفاته سوى ١٢٢ سنة أمكنك أن تقدر عدد المؤلفات التي وضعت عن الاسكندر الأكبر وقد مضى على موته ٢٥٠٠ سنة .

ألف المؤرخون عن الاسكندر كتباً كثيرة باللغات اليونانية واللاتينية والانجليزية والألمانية والفرنساوية والروسية والاطالية والأسبانية والتركية والبرتغالية والمجرية والهندية وبجميع اللغات - الحية وغير الحية - المعروفة في القارات الخمس . ومع مضى ٢٥٠٠ ر سنة على موت الاسكندر ومع أن الاسكندر غزا مصر وطرد الفرس منها وأسس مدينة الاسكندرية وأرسل بعثة لكشف منابع النيل وعمر ورمم وجدد معابد وهياكل مصرية كثيرة فاني لم أعتز على كتاب وضع في حياة اسكندر الأكبر باللغة العربية الا كتاب واحد ألفه حضرة الاستاذ اسماعيل مظهر في سنة ١٩٣٧ جاء مقصوراً على « قيسرية الاسكندر في مصر » . واقامة الاسكندر في مصر لم تطل غير ستة اشهر الكتب التي وضعت في حياة اسكندر الأكبر في السنين الأولى التي تلت وفاته ذهبت مع الريح ولم يبق منها الا القليل . أهمها جريدة رسمية لغزوات اسكندر ومذكرات اسكندر نفسه وكتاب بطليموس الذي كان من قواد اسكندر وصحبه في جميع غزواته وحضر معه الى مصر (ثم استوى على عرش مصر وأسس أمرة البطالسة التي حكمت مصر ٢٩٣ سنة) ويوميات وحوليات ايفيب Ephilippe الذي نديه اسكندر لكتابة تاريخ حروبه وغزواته واستصحبه معه . وخطب ديموستين وكتب ارسطاطاليس والرسائل التي تبادلها الاسكندر وأمه ورسائل الاسكندر الى انتياتر Antipater الذي أنابه عنه في مقدونيا . وبعد ٣٠٠ سنة ظهرت مؤلفات أخرى لديودور الصقلي Diodore وبومبيه Pompée وكنت كورس Curce - Quinte وبلوتارك Plutarque وأريان Arrien وارستوبولس Aristobulus . أما الكتب التي وضعت بعد ذلك فقد اتخذت هذه المراجع أساساً لها ثم أضافت اليها ما كشفت عنه الحفريات التي عملت في مقدونيا وفي بلاد اليونان (ولا سيما في أثينا وفي اسبارطه) وفي تراقيا وفي بلاد الاناضول (ترواده) وفي بلاد الكلدان والآشوريين وفي صور وصيدا ومصر وبابل وفي بازار جاد وبرسبوليس وسوس وطرسوس وفي أربل وقندهار وسمرقند وفي بلخ وفي الهند وفي غيرها من البلاد التي غزاها .

اذ أن هذه الحفريات كشفت عن توابيت ونواويس وحلى وأوان وبردى وعملة ورقيات وعوذات وجمارين ومخطوطات ومنظومات . كما كشفت عن معابد وهياكل ومصاطب عليها نقوش وكتابات قيمة جداً تسرب معظمها الى متاحف لندره وباريس وبرلين وروما والفاتيكان وتورينو ومصر واسكندرية واستانبول . ويوجد في متحف استانبول ناووس كبير فخم (نشرنا صورته في هذا الكتاب) قيل انه للاسكندر : على جوانبه رسوم تمثل قتالا بين الروم والفرس . ولعل أهم الكتب التي وضعت في القرن التاسع عشر عن حياة الاسكندر كتاب المؤرخ الالماني درويزن Droysen ظهر في سنة ١٨٣٣ ولكن لم يشتهر ويذع صيته إلا بعد مائة سنة يوم احتفل بعيد المئوي . ثم كتاب وضعه مؤرخ الماني آخر هو أولرك فيلكن Ulrich Wilcken الاستاذ بجامعة برلين ^(١) وقد ألف عشرة كتب عن الاسكندر . أضف اليهما العالمين الالمانيين مومسن Mommsen وايبرس Ebers . أما الكتب التي وضعت باللغة الفرنسية فمن أوقاها كتب جورج راديه Georges Radet وقد رجعتا اليها هي أيضاً فيما كتبناه عن اسكندر . ومن المؤرخين الفرنسيين أيضاً Oppert. و le vice - amiral Jurien de la Gravière وماسبيرو Maspéro وجوجيه Jouguet وروسيل Roussel وبوا Bois وسنت كروا Sainte - Croix . ولعلماء انجلترا مثل Tarn و Sir Aurel Stein و Taylor و Hogarth - وعلماء ايطاليا مثل Carraroli وعلماء روسيا واميركا كتب كثيرة عن الاسكندر وهذا الكتاب هو أول مؤلف وضع باللغة العربية في حياة الاسكندر من بدايتها الى نهايتها .

عزيز زمانكي

(١) وهو الذي قلنا عنه في ذيل صفحة ٧٤ انه (العالم الاوحد في العالم كله الذي درس جميع أوراق البردى اليونانية التي نشرت حتى الآن ويزيد عددها على ١٠٠٠٠)

كلمة

شاعر الفطرين الأستاذ فليل بك المطران

حضرة الصديق الكريم الأستاذ الكبير، عزيز خانكي بك

أمتعتني بإطلاعي على ما أخرجته المطبعة أولا فأولاً من كتابك في الاسكندر وهو أوفى ما عرف إلى الآن من تاريخ ذلك الفاتح العظيم فأشكر لك تلك الرعاية وأرجو ملجأ أن تزيدني مكرمة بنشر ما أوحته إلي تلك القراءة في مكان تختاره له بين دفتي مؤلفك الجليل :

« خزانة علم في سفر . كم تاريخ حول هذا التاريخ . وكم قصة حول هذه القصة . وكم مقارنة وكم مشاكاة وكم استدراك وكم استطراد مما احتوته بطون الأسفار من أقدم العهود إلى هذا العهد قد كشفت عنها الأستار أو نفص عنها الغبار وجاءت في أماكنها تملأ الأذهان أنواراً أو تستأنف على أروماتها الجافة نضارة وازدهاراً

« هذا في الجملة هو كتاب « الاسكندر »

« ولقد ينجيل إلى قارىء هذه الكلمة أنها تقرىظ وايت بتقرىظ . هي كلمة حق ألححت على الصديق العلامة مؤلف هذه السيرة أن يفسح لها مكاناً فيها . هي حكاية حال وخلاصة مطالعة بعيدة المدى مترامية الأطراف في صحائف كأن الدنيا بتالدها وطريفها تمر تحت سطورها . فان تكن ثناء فما أحب الثناء جزاء لمستحقه وما أقبحه سببة لمن هو به غير جدير

أما ما زيا هذه السيرة على سائر ما نشر من السير للاسكندر فتعددة متنوعة أتبع لى أن أطلع على بيان لخصها أبرع تلخيص في رسالة للباحثة الفاضلة السيدة التسمية باسم « بنت بطوطه » فأثرت نقاها عن الفرنسية وهي بحرفها :

« لا أعرف كيف أعبّر عن اعجابي بل عن اكباري

« كوجاس كوجاس »^(١) أنت مؤرخ عظيم . لم تقصر شأن كتابك على أن تخطه يد
الامحى المجيد الذى ذاع صيته فى الناس قاطبة بل جعلته « موسوعات » تاريخ لم يخطها
تفصيل أمر مما وقع فى أى زمان أو فى أى مكان

« أن تعليقاتك آيات بينات لو جمعت منفردة لاجتمع منها كتاب ضخيم
من التاريخ

« بماذا تسنى لك أن ترسم هذه الصور المتسلسلة وأن تهيب لها هذا الشبه العجيب
بالوقائع نفسها — ليس هذا فيما أظن من مادة قلم عادى بل من مادة منقاش ساحر فى
يد صانع ماهر

« مامن مؤرخ قديم أو حديث — فى رأى الضعيف — وفق الى ابراز الاسكندر
فى صفته الإنسانية كما ابرزته . لقد أجمعوا على تصوير ذلك الفاتح اللامع ، والمشيّد
العبقري للملك الواسع ، بصورة آله حرب هو أقرب الى الاعجاز الخيالى منه الى
حقيقة الانسان

« جملة « كنت كورس Quinte - Curce » ضرباً لا يُقرّه العقل من ابطال
القصاص الوهمية

« وجهه « تاسيت Tacite » نفسه على ابداعه فيما يرسمه شيئاً غير الانسان الحى
« وجهه « اريان Arrien » شخص اسطورة من اساطير الجن
« وجهه منه « هاتسفلد Hatzfeld » جزار أم
« وجهه منه « سيدل هارت Siddel Hart » خبيراً حريماً وعسكرياً نسيج
وحده فى العالم له دماغ عجيب ولا قلب له
« وجهه منه « اولريخ ويلكن Ulrich Wilcken » انساناً فوق الانسان او بناءً
عسكرياً لم يجر عليه من احكام الانسانية الا أن يموت كما يموت عامة الأحياء .
« مرحى مرحى » اهـ

(١) Cujas هو اسم علامة فراسوى كان فى زمانه — أى بين سنة ١٥٤٠ و ١٥٩٠ — أشهر
علماء القانون والتاريخ فى العالم

Mon cher Aziz Bey,

وها الاصل الفرنسي :

" Je ne sais comment exprimer mon admiration et mon enthousiasme.

" Cujas, Cujas, vous êtes un grand historien. Vous n'êtes pas seulement ce superbe styliste et grammairien arabe connu de tout le monde, mais aussi une encyclopédie historique, où pas un détail concernant toutes les époques, de tous les pays, de toutes les histoires, ne fait défaut.

" Vos renvois sont des chefs-d'œuvre, et pourraient à eux seuls former un autre ouvrage historique.

" Avec quoi avez-vous tracé ce déroulement d'images pour leur donner ce relief saisissant du réel ? Pas avec une plume ordinaire, je suppose. Alors avec quoi ? Le burin magique d'un prestigieux ciseleur ?

" Il n'y a pas un historien, ancien ou moderne, d'après mon humble avis, qui ait su donner autant que vous, un caractère humain à Alexandre. Tous ont fait du fulgurant conquérant, du génial bâtisseur d'Empire, une espèce de divinité guerrière, qui tient beaucoup plus du prodige que de l'humain.

" Quinte-Curce " en fait un invraisemblable héros de roman imaginaire.

" Arrien " un personnage de conte de fée.

Même l'originalité pittoresque de " Tacite " n'a pu faire d'Alexandre un être vivant.

" Hatzfeld " en fait un massacreur de races.

" Siddel Hart " un stratège, un soldat unique au monde avec rien qu'un prodigieux cerveau sans âme.

" Ulrich Wilcken " en fait un être surnaturel, sorte d'architecte militaire, si vous préférez, et dont la seule chose d'humain qui lui serait arrivée était de mourir comme le commun des mortels.

" Cujas, ne vous imaginez pas que ce que je vous dis, c'est de la flagornerie. Mais vous avez fait vivre Alexandre, battre Alexandre, sentir Alexandre, souffrir Alexandre, aimer Alexandre, comme un être humain vivant et réel, tout en laissant à Alexandre son génie qui le place au dessus des hommes, tout en étant homme.

" Et c'est là, voyez vous, que vous vous êtes révélé un grand historien psychologue, ça c'est : عبقرية خائكي .

" Mon cher, c'est bien plus beau que votre " Ata Turc " qui est déjà une fort belle-œuvre, - or - votre " Alexandre " vous serez obligé de le rééditer souvent, c'est un livre à énorme tirage.

- س -

“ Et où diable voulez - vous que nous, les misérables petits apprentis historiens, allions devant un géant comme votre livre ? Nous devrions casser nos plumes et renverser nos encriers ! !

“ Maintenant comme petit gratte-papier, laissez moi vous crier mon admiration ; comme musulmane, laissez-moi vous remercier avec émotion pour avoir, dans un de vos renvois, rendu cette superbe justice de grandeur, à Omar ibn El Khattab, trop méconnu : merci ; comme égyptienne, je vous dirai, Cujas, que vous avez bien mérité de la patrie Egyptienne et de ses lettres en léguant au pays une œuvre historique de cette envergure. Bravo !

- Bent Batouta - 27 - 11 - 1942

هذا ما كتبه تلك المؤرخة الادبية ولا كلام لي بعده سوى ان اضيف البيان الصغير الآتي :

كان الأستاذ الكبير عزيز خاكي بك أول من كتب مقالات في الصحف اليومية تحت عنوان « ما قل ودل » فهو بهذا العنوان قد صور مذهبه في الكتابة على تعدد الأنواع والأغراض التي اجري براعته فيها . ولعله في سيرة الاسكندر قد جاء بأبلغ شاهد على صدقه في مذهبه هذا . فكتابه على صغر حجمه سفر من أضخم الأسفار وليست العبرة بالجمع والحشد من كل مظنة لما دعت اليه معارض الكلام وهو مالا يستطيعه الا القادرون الصابرون بل هي كذلك في حسن الأداء وتوخي الفصاحة والبلاغة في الانشاء . وانها لمزية فوق ما تقدم ذكره ، جديرة بالذكر الخاص والثناء الخالص

فهذه السيرة قد ردت بقوة الى الاسكندر حقيقة الانسانية والى التاريخ سلامته من الشبهات وكرامته .

خليل مطران

١٩٤٣ / ٣ / ١٠

اسكندر الأكبر

وغزو مصر

(١)

نهاية عهد فيليب . وبداية عهد الاسكندر

اغتيال فيليب

في سنة ٣٣٦ قبل ميلاد المسيح اغتال أحد أشرف مقدونيا^(١) والد اسكندر الأكبر فيليب ملك مقدونيا^(٢) بضربة خنجر في مدينة أجيه Aegie^(٣) بينما كان داخلاً أحد مسارح المدينة في يوم الاحتفال بزواج بنته كايو باترة (أخت الاسكندر)

(١) اسمه بوزانياس Pausanias . كان الاسكندر غائباً عندما اغتيل أبوه . فلما طاد أمر بشئق بوزانياس أمام قصر والده على الرغم من شفاعته والدته . وقد ثبت فيما بعد ان والدة الاسكندر هي التي حرضت بوزانياس على قتل زوجها .

(٢) أم فيليب كانت البانية اسمها أوريديس Eurydice بنت أمير الباني اسمه ايراس Irras . وأبو فيليب كان اسمه أمينتاس Amyntas ملك مقدونيا . أما ام الاسكندر اولمبياس Olympias فكانت بنت نيوبتوليم Néoptolème ملك المولوس Roi des Molosses (بانيذا) . كانت ياتمة الابوين في حجر اخيها اريمباس Arymbas غطبها منه . كان اسمها يوليكنين Polyxéne واستبدلته باولمبياس تيمناً باسم جبل مقدس عندهم . وقد ولدت الاسكندر وعمرها ٢٠ سنة وبعد سنة واحدة رزقت بكايو باترة أخته ولم تخاف غيرها . وكانت اولمبياس سيدة طاولة تربت تربية طالية . ولما اعتزم ابنها الاسكندر غزو بلاد اليونان وتراقيا ودعته ودعت له بقولها (اللهم ارزقه حظاً يستخدم به ذوى المقول ولا ترزقه عقلاً يخدم به ذوى الحظوظ) فاستجاب الله دعائها وكان ما تمت .

(٣) كان اسمها قديماً Edesse في عهد الملك برديكاس Perdicas . وأوجيه معناها معزة Aiyai . سميت بذلك لأن كارانوس ملك مقدونيا اقتنى ذات يوم في أثر معزة الى أن وصلت به الى هذه البادية فسميها باسم Aegoe أى معزة . وبعد ذلك نقل فيليب عاصمة مقدونيا الى مدينة بيللا Pella مسقط رأسه . وهي التي سماها الاغريق بعد ذلك Agii Apostoli . والترك استبدلوا اسمها باسم ينيتسا yenitsé أو بانيتسا Panitsé . وهي تبعد ٢٠ كيلو متراً عن البحر قريباً من قواله (مسقط رأس محمد علي باشا الكبير) وفي بيللا هذه ولد الاسكندر . (وفي رواية أخرى ان ينيتسا تبعد عشرة كيلو مترات عن (Agii Apostoli)

بملك بلاد أبيروس^(١) . وموت فيليب - وكان عمره ٤٧ سنة - انتقل الملك إلى ابنه
اسكندر - وكان قد حيا العشرين من عمره^(٢)
وقبل أن يستوى الاسكندر على عرش مقدونيا كان أبوه قد عني بتربيته تربية
عالية واختار مرياً له أ كبر فلاسفة اليونان : أرسطاطاليس Aristotle الشهير الذي
لا يزال اسمه يدوي في أرجاء المعمورة حتى اليوم على الرغم من مضي ألفي سنة على
وفاته^(٣) . تولى ارسطاطاليس تربية اسكندر ابتداء من سنة ٣٤٣ قبل الميلاد وكان
عمر الاسكندر ١٣ سنة .

(١) أبيروس Epire جنوب البانيا حيث توجد الآن مقاطعة يانينا
(٢) معظم الذين استبدوا بالسلطة واستأثروا بها وصلوا وجاؤا في البلاد فتحاً وغزوا
كانوا في شرح الشباب ولعل أصغرهم سناً كان أتيل Attila اذ كان غلاماً عمره ١٥ سنة . وبعده
محمد بن القاسم الثقفي فاتح السند ولم يكتمل الثماني عشرة سنة وهو الذي قال فيه القائل
ساس الجيوش سبع عشرة حجة . يا قرب ذلك سوددا من مولد
ثم هانيبال وقد راهق العشرين . ثم الاسكندر وكان فتي عمره ٢٠ سنة . ثم فيليب
— ابو الاسكندر — تولى الملك وغزا بلاد البلقان ولم يكتمل ٢٤ سنة . ونابيون لما غزا ايطاليا
وطرد النايون منها كان مجتماً عمره ٢٦ سنة . ومحمد علي باشا الكبير كان شاباً عمره ٣٦
سنة لما استأثر بالسلطة في مصر . وموسوليني كان شاباً عمره ٣٩ سنة لما زحف على روما واستبد
بالحكم . واتاتورك كان شاباً عمره ٤٠ سنة لما اعلن استقلال تركيا واستبد بالسلطة . وستالين
كان مثله شاباً عمره ٤٠ سنة لما استأثر بالسلطة في روسيا . وهتلر كان كهلاً عمره ٤٤ سنة
لما دعاه الماريشال هندنبورج ليتولى الحكم . وكرومويل كان كهلاً عمره ٤٦ سنة لما اعدم الملك
واستبد بالحكم . ويوايوس قيصر كان كهلاً عمره ٤٨ سنة لما بسط سلطانه على الامبراطورية
الرومانية . صدق من قال (العجز للعجز)

ملاحظة : تقول العرب لافتي اذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع . ثم مادام
بين الثلاثين والاربعين فهو شاب . ثم هو كهل إلى أن يستوفى الستين .

(٣) وما نص الكتاب الذي ارسله فيليب الى ارسطاطاليس عقب ولادة الاسكندر
وفيه طلب منه ان يتولى تربيته وتعليمه :

« ان غبطتي بولادة ابني ليست أعظم من غبطتي بولادته في عصر وجدت أنت فيه . أنى
وانق بأنه اذا تربى وتعلم تحت رعايتك وعنايتك فانه ينشأ نشأة تجعله خليفاً بنا واهلاً للتراث
العظيم الذي نتركه له »

وارسطاطاليس هذا او (ارسطو) مقدوني الاصل (مثل فيليب والاسكندر) كان يعيش في
أثينا عيشة بؤس وضنك . تتلمذ على افلاطون اكبر فلاسفة العالم في ذلك العهد . ولما مات



فيليب ابو الاسكندر

فكر الأستاذ في ابعاد تلميذه عن ملاهى حاضرة مقدونيا - مدينة بيللا - وعن ملاذها^(١) واختار له مكاناً قصياً بلدة مييزا (Mieza) فيها لبث يعلمه ويريه ثلاث سنوات كاملة. لقته الألب اليوناني والفلسفة والتاريخ ومبادئ الطب (وقد طبّب بالفعل كثيراً من جرحى جنده) فحفظ الاسكندر كثيراً من الشعر اليوناني ولا سيما « الألباذه » المشهورة . ولم ينقطع الاسكندر عن الدرس وارسطاطاليس عن التدريس إلا في سنة ٣٤٠ لما اعتزم فيليب فتح يزرانطه (القسطنطينية قديماً واستانبول حديثاً) فنصب ابنه الاسكندر قائماً للمملكة مدة غيابه وكان عمره لا يتيف على ١٦ سنة .

كان ارسطو خير معلم والاسكندر خير تلميذ . ارسطو غزا العالم بعقله الجبار والاسكندر غزا العالم بسيفه البتار .

وفيليب - أبو الاسكندر - كان من أعظم رجال الحرب اشتهر بمداورة الحروب

افلاطون في سنة ٣٤٧ قبل الميلاد رحل ارسطاطاليس إلى مقاطعة تروادة ودرس فيها مع بعض تلاميذ افلاطون . ومنها انتقل إلى مدينة أسوس Assos ثم إلى مدله Mytilène وكان أبوه نيكوماك Nicomaque طبيباً في بلاط الملك أمينتاس Amyntas ملك مقدونيا (والد فيليب ابى الاسكندر) وكان فيليب قد غزا مدينة ستاجير Stagire مسقط رأس ارسطاطاليس . فسكر فيليب في دعوة ارسطو ليتولى تربية ابنه الاسكندر . وليستبيله وعد بترميم وتعمير مدينة ستاجير فرمها وعمرها واعاد من شردهم واطلق من اسرهم واعتق من استرقهم . وبمجرد ما دعاه فيليب ليتولى تربية ابنه الاسكندر ابى الدعوة وكان عمره ٤٠ سنة وسافر إلى مدينة بيللا Pella عاصمة مقدونيا التي سميت في حكم الترك يايجه Yenidje أو Yenitsa وهي من أعمال ولاية سالونيك

(١) ويظهر ان قدماء الهنود اخذوا عن ارسطو هذا النوع من التربية . لأن قدماء الهنود كانوا ينشئون مدارسهم بعيدة عن المدينة وضجيجها ويسمونهم (اسرم) أو مدارس الغابات . وهي مدارس أشبه بدور النسك والرهينة منها بالمدراس الحديثة المصرية . وكان التلميذ يوضع تحت رعاية جورو (أو الرجل الحكيم) يأخذ منه العلم والحكمة ويعيش في أحضان أمه الطبيعة . وهذا النظام هو الذى مال اليه طاغور شاعر الهند الكبير وشغف به . وقد عمل به بمدرسة شانتى نكتان — ومعناها موطن الأمن — في مدينة بالبور . والمدرسة أنشأها أبوه وجعل منها مسكناً وحديقة ومعبدًا ومكتبة وغيرها من المرافق التي تيسر للتلامذة كل أسباب الراحة والدراسة بعيداً عن ملاهى المدن وضجيجها وملاذها .

ومماوسة القتال . في خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات في تسع وقائع . وكان في نيته غزو امبراطورية الفرس ولكن المنية عاجلته قبل أن يحقق أمنيته فحقها ابنه الاسكندر من بعده .

لم تقتصر ^{عناية} فيليب على تربية ابنه الاسكندر تربية عقلية وأدبية عن يد ارسطو . بل كان وجه همه أيضاً من قبل الى تربية الاسكندر تربية بدنية ناط بها اثنان من خيرة المربين هما ليونيداس Léonidas وأبيروس Aprios من ذوى قرابة اولمبياس Olympias (والدة الاسكندر) . عكفا على تعليم الاسكندر وتدريبه على جميع الالعاب الرياضية والحركات البدنية وركوب الخيل واستعمال الأسلحة ومناظر أعمال الرجولة والبطولة والفروسية . مثل السباحة والرماية والمصارعة والمبارزة حتى استطاع الاسكندر وهو في سن العاشرة ان يصارع ويصرع الفتيان الأسن منه ^(١) . يروى ان احد هواة الخيل (اسمه فيلونيكوس Philonicus من اهالى تساليا) عرض على فيليب ان يبيعه بباع ٣٠٠٠ جنيه جوادا أصيلا لم تر العين مثله رشاقة وجمالا لما وقع نظر أحد الشعراء عليه صاح قائلاً يستأهل هذا الجواد اربع قصائد مدحا في انسجام جسمه وخفة حركاته . حقا ان العين لم تر مثل هذا الجواد حسنا وجمالا . لم يستطع فيليب ان يجربه لأن عرجا كان اصابه في رجله وكسرا اصابه في ضلوعه . فعرض على شاب من اولاد أحد قواده ان يركبه . فلما هم الشاب بركوب الجواد حزن الجواد والقي الشاب على الارض . حاول شاب آخر ركوب الجواد فلم يفلح . وكلما هم فارس ركوب الجواد سقط . فتحطم فيليب غيظا وصاح في الحاضرين أليس فيكم فارس يستطيع كبح جماح هذا الجواد . حقا انها لفضيحة . وقع هذا الكلام في قلب ابنه الاسكندر وقع الصاعقة فتقدم - وكان عمره ١٣ سنة - وطلب من أبيه أن يسمح له بركوب الجواد . دهش أبوه وقال له كيف تستطيع أن تفعل ما عجز عنه من هم أكبر منك سناً وأكثر مراناً . فألح الاسكندر . إلا أن وزراء فيليب وقواده نصحوا لفيليب أن لا يسمح للاسكندر بركوب هذا الجواد كي لا يعرض حياته للخطر . فكر فيليب في الأمر ثم سأل صاحب

(١) ومن توارد الخواطر أنك تجد هذا البرنامج موجزاً انجازاً بليغاً في كلمة للمعرب بن الخطاب رضى الله عنه عندما قال « علوا أولادكم العوم والرماية » . وسروهم فليثبوا على الخيل وثبا . ورووهم ما يجمل من الشر »



اسکندر

الجواد عن ثمنه فذكر له رقماً فاحشاً ذهش له الحاضرون . فالتفت فيليب الى ابنه وقال له (اذا نجحت كان الجواد لك وإذا فشلت كان الجواد لى وضاع عليك ثمنه) قبل الاسكندر الرهان . وما هى إلا هنية حتى امتطى الاسكندر الجواد وصال به وجال امام الحاضرين فكان الجواد أطوع اليه من ابنه (١) . فصفق له الحاضرون جميعاً وتقدم ابوه واحتضنه وقال له (ان مقدونيا صغيرة بالنسبة اليك يا أبني . فابحث لك عن بلاد غيرها واسعة تسع بطولتك) . فكان هذا هو الوسام الأول لحياته الحربية الطويلة المجيدة . أما الوسام الثاني - ففي الحملة التي سبورها وقادها بنفسه لمقاتلة قبيلة شديدة البأس من قبائل تراقيا رفعت راية العصيان منهزة فرصة انشغال فيليب بمحاصرة بيزانطة وتخليه عن ادارة الحكم إلى ابنه اسكندر . أظهر الاسكندر في هذه الحملة براعة حربية فائقة بهرت رجال الحرب . وكانت هذه الحملة أول حملة عسكرية قادها بنفسه وعمره يتراوح بين السابعة عشرة والثمانى عشرة سنة . نشبت المعركة وكانت شديدة تشيب من هولها الولدان . فانتصر الاسكندر انتصاراً ميبناً واستولى على عاصمة تراقيا ودمرها ولم يترك فيها انساناً . ولكن بعد أن دمرها أعاد بنائها وسماها ألكسندروبولس Alexandropolis (أى مدينة الاسكندر) فكانت أول مدينة سميت باسمه . وقد عمل بالسنة التي استنها أبوه من قبل عندما أطلق اسمه على مدينة فيليبوبولس Philippopolis والوسام الثالث - ولعله الوشاح الأكبر - الذى ناله الاسكندر قبل ان يستوى على عرش مقدونيا - ففي الجراءة والمهارة والبطولة التي أظهرها في الاستيلاء على مدينة كيرونيه Chéronée (وهى مسقط رأس بلوتاركس Plutarque المؤرخ الكبير وأسمها الآن Caprauu) ببلاد اليونان . ذلك ان فيليب فى أثناء غزوه بلاد اليونان ومقاتلة جيش أثينا وطيبه

(١) وهذا الجواد هو الذى احتفظ به الاسكندر طول حياته . وكان يركبه فى جميع غزواته وقد سماه بوسينال Bucephale . ولما قتل الجواد فى واقعة من وقائع الاسكندر فى الهند - عندما كان يحارب الملك Porus - حزن عليه حزناً كبيراً . ولتخليد ذكره شيد مدينة فى الهند سماها باسمه Bucephalie تقع امام مدينة Djelem (فى الهندستان - بنجاب) . وكان لهذا الجواد فضل انقاذ اسكندر من الموت غير مرة .

هـ وعادة تسمية الخيل والالاح بأسماء خاصة كانت شائعة عند العرب أيضاً . كان لانهان بن المنذر من ملوك الحيرة (ممدوح النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وحاتم الطائي) فرس اسمها « بجوم » وكان للنبي عليه السلام « سيف محلى يسمى ذا الفقار . وكانت له درع موشحة بنحاس تسمى ذات الفضول . وكان له سرج يسمى الداج . وبساط يسمى الكثر . ومقراض يسمى العجامع . وقضيب يسمى المشوق . ومرآة تسمى المدلة . وركوة تسمى العبادر . وقصعة يقال لها الغراء » .

حاصر مدينة كبرونية. ولما عجز عن فتحها طلب من ابنه الاسكندر - وكان في مقدونيا - أن يرسل اليه مدداً من الرجال والعتاد . ولشد ما كانت دهشة فيليب عندما رأى ابنه الاسكندر قد حضر بنفسه راكباً جواده « بوسيفال » على رأس قوة كبيرة من مشاة وفرسان مقدونيا ليمد يد المساعدة إلى والده . ولما اشتد الحصار وضيق فيليب الخناق على أهل كبرونية هموا بالخروج . فانهز الاسكندر فرصة ابتعادهم عن أسوار المدينة واندس برجاله في الثغرة المفتوحة امامه . وبهذا وقع الأعداء بين نار رجال الاسكندر ونار رجال فيليب فلهوا . فدخل الاسكندر المدينة واستولى عليها وأخذ في تحطيم أسوارها واستحكاماتها. ولم تأذن الشمس بالغروب إلا والمدينة أصبحت أطلالاً وبقي اسمها علماً على نصر مبين كتب للاسكندر^(١) . ولما خطا فيليب نحو ابنه ليهنته بهذا الفوز العظيم أجابه الاسكندر - وقد أشار إلى كليتوس Clitus أخيه في الرضاع - (بل اشكر كليتوس فان سيفه أنقذني من الموت) . اختار فيليب من بين الأسرى فتاتين من أجل بنات اليونان لم يقع الطرف على أتم منهما حسناً وعرضهما على ابنه فأبى وقال بل اهدما إلى كليتوس فهو أحق بهما مني .

لم يكتف المريان - ليونيداس وأبيروس - بتربية الاسكندر تربية بدنية بل طافا به في جميع انحاء مقدونيا والبلاد المجاورة فدرس الاسكندر مدنها وقراها وجبالها وسهولها وودياتها وأنهارها وقتلها علماً وخبراً .

شفاق بين الابن وأبيه

في مدة ولاية العهد شجر شقاق بين الاسكندر وأبيه مرتين :

المرّة الأولى : على أثر عقد زواج فيليب ببنت مقدونية كانت آية في الجمال هام بها فيليب ثم راودها عن نفسها فأبت فخطبها من عمها أتالوس Attalus وتزوجها .

(١) وفضلاً عن اشتها هذه المدينة بانتصار فيليب والاسكندر على جيش أتينا وطيبا في خلال سنة ٣٢٨ قبل المسيح فان هذه المدينة مشهورة أيضاً بانتصار سيللا Sylla (٢٠٠٠٠ جندي روماني) على أرخيللوس Archellaus قائد جيش مثيريات Mithridate (١٠٠٠٠٠ جندي اسيوي) في خلال سنة ٣٨٦ قبل الميلاد .



ارسطاقلیس و تلیذه اسکندر

ومن فرط شغفه بها أقام لها عرساً لم تر العين مثله بهاء . دعا اليه كثيراً من الأمراء والأشراف والعظماء والوجهاء . كما دعا اليه اصدقاءه الأقربين والأبعدين الذين وثقت بينه وبينهم الطامس والكاس . حضر الاسكندر حفلة زواج أبيه بكليوباترة على كراهة منه وكانت معه صديقه هيفيستيون Hèphèstion ونيارك Nèarque . وفي أثناء الحفلة بدرت من أتالوس عبارات ماسة بوالدة الاسكندر . فهم الاسكندر ليؤدب ويضرب أتالوس ولكن اصدقاءه منعه ، زاد أتالوس غطرسة وعجرفة وطالب من الحاضرين أن يتضرعوا إلى الآلهة بأن يرزق فيليب من كليوباترة ولداً شرعياً يتولى الملك من بعده ^(١) . وقع هذا الدعاء على الاسكندر وقع الصاعقة . فثار الدم في وجهه واشرب من بين الحاضرين وصاح في أتالوس (ألا لعنة الله عليك هل أنا ابن حرام) ثم ضرب بكأسه رأس أتالوس . عند ذلك هم فيليب واستل سيفه وهجم على ابنه الاسكندر ليضربه . ولكن الحجر كانت لمبت في رأسه وفي جسمه فأنحني وانثنى وسقط على الأرض . وفي هذه الليلة نفسها غادر الاسكندر ووالدته مدينة بيللا . فقصدت الأم وطنها أبيروس وذهب هو إلى البانيا . وبعد فترة من الزمان سعى أهل الخير لإزالة سوء التفاهم بين الابن وأبيه فعاد الاسكندر وأمه إلى مقدونيا

(١) وقد استجابت الآلهة دعاء أتالوس ورزق فيليب من كليوباترة ولداً . ولكن لما قتل فيليب ثارت فتنة في مدينة بيللا بين حزب أولمبياس والدة الاسكندر وحزب ضرته كليوباترة انتصر فيها حزب أولمبياس ووقعت كليوباترة أسيرة في قبضة أولمبياس فأمرت بإعدامها فألقوها هي وابنها في قدر تفرغر بماء ساخن فمات ابنا وهذا خلا الجو لأولمبياس واستوى ابنها الاسكندر على عرش مقدونيا .

أما زواج فيليب بوالدة الاسكندر فيتلخص في أن فيليب لما كان في عمره ١٦ سنة التقى لأول مرة في مدينة ساموتراس Samothrace بأولمبياس Olympias بنت ملك المولوس الذي توفي وتركها يتيمة . ولما تبوأ فيليب عرش مقدونيا وأراد الزواج ففكر في أولمبياس وكانت تقيم عند الوصي عليها وفي حجره . فلما سئلت في ذلك قبلت وشرطت أن لا يكون لفيليب امرأة سواها - لا حيلة ولا خيلة - فقبل فيليب وتم عقد زواجه بها . ولما سكن لم يمض على زواجه بها شهر حتى هام بامرأة أخرى واتخذها خلية . وبعد مضي بضع سنوات بلغ عدد محظياته المائة . والمرأة التي هام بها فيليب أكثر من غيرها هي امرأة من تساليا Thessalie ولدت له ولداً سماه أرهيداوس Arrhidaios وكان فيليب كله خزان وعطف على هذا الولد حتى أنه لما مرض قلق أبوه عليه قلقاً شديداً واستدعى له أطباء من مصر يعالجونه

والمرّة الثانية : عند ما عرض بيكسودا روس Pixodaros أمير كاري^(١) Curie على فيليب عقد معاهدة دفاعية هجومية . وليوثق أواصر المودة بينهما عرض عليه أن يزوجه من بنته . كره فيليب أن يصاهر تابعا من اتباع الفرس . واستحسن ان يزوج البنت من ابن له غير شرعى اسمه أرهيداوس Arrhidaios . فظن الاسكندر ان والده فضل عليه ابنه غير الشرعى وربما أوصى له بالملك من بعده فاسرع وطالب من أمير كاري أن يزوجه هو بنته . فلما اتصل الخبير بفيليب استدعى ابنه وابنه . وأفهمه أن فكرة تفضيل ابنه غير الشرعى عليه فكرة خاطئة . فاطمأن الاسكندر وعاد الوفاق بين الابن وأبيه

— برائة حكم الاسكندر —

لما استولى الاسكندر على عرش مقدونيا بدأ حكمه بقمع الثورة التى شبت في بلاد اليونان بقصد التخلص من نير الحكم المقدونى^(٢) وكانت الثورة قد هاجت وباضت وفرخت. وكان على رأس هذه الثورة -عدوه الازرق- ديموستين Demosthène خطيب اليونان المشهور. وكانت جميع خطبه واحاديثه في اتينا حماسية ثورية يكرر فيها قوله

(١) هى الان ولاية ايدين وكانت وقتئذ تحت حكم الفرس .

(٢) لما ثارت بلاد اليونان وشقت عصا الطاعة بادر الاسكندر وسير جنده نحوها فتقطع المسافة من بيللا (عاصمة مقدونيا) الى طيبة Thèbes ببلاد اليونان في ستة ايام . طالب منها التسليم فأبت فهجم عليها وأخذها عنوة ثم استباحها جنده . فسلبوا أموالها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وحطّوا أسوارها ولم يبقوا منها حجرا على حجر . ولما وقع نظر الاسكندر عليها بعد ما خربها جنده بكى . لان طيبة كانت لؤاؤة بين مدائن بلاد اليونان . حدث أن ساق الى الجند امرأة مكبلّة بالسلاسل والاغلال اتهموها بالقاء أحد ضباطه في بئر بعد ما خدعته وأفهمته ان فى البئر كنز مخبؤا فيها . سألتها الاسكندر من أنت يا أمة الله . فأجابت أنا تيموشيه Timochée أخت الجنرال تياجين Thégène الذى قاتل أباك فى سبيل حرية بلاد اليونان وقتلك أنت أيضا فى واحة كيرونيه Chéronée وفيها قتل . دهش الاسكندر من شجاعة وصراحة هذه المرأة . وعملا بالقول المأثور (عفو الملك ابني الملك) عفا عنها وخلص سبيلها ورد اليها أولادها وأموالها .



اوسطاطاليس

(ان على عرش مقدونيا طفلاً فهبوا ولا تجعلوا لهذا الطفل عليكم سلطاناً) . الا ان الاسكندر اسرع واطفاً نار الفتنة وقمع الثورة بعزيمته الحذا،^(١) وبعد ما غزا الاسكندر بلاد اليونان وقمع الفتنة وجه همه الى غزو تراقيا كلها . فغزاها وواصل زحفه الى نهر الدانوب . وبعد ذلك أخضع البلاد الجنوبية التي منها الآن بلغاريا والبانيا .

وفي أثناء وجوده في بلاد اليونان قصد مدينة كورنت Corinth ليطلب من جمهوريات اليونان انتخابه قائداً عاماً على الجيوش التي أعدها لمحاربة الفرس ولزيارة ديوجين Diogène الفيلسوف اليوناني المشهور . وفق الاسكندر وانتخبته جمهوريات اليونان قائداً عاماً . ولما زار ديوجين رآه على حال قشعة لا يملك شيئاً سوى برميل بلا قعر أتخذه مسكناً له وكان حوله مريدوه وبعض كلاب ضالة . دهش الاسكندر من هذا المنظر فخطأ نحو ديوجين وقال له « هل من حاجة فأقضيها لك » . فأجابه ديوجين « تنح ولا تحجب الشمس عني » . عند ذلك قال الاسكندر كلمته المشهورة (لو لم أكن الاسكندر لوددت ان أكون ديوجين) وقال أرسطو كلمته الأخرى المشهورة (Les extrêmes se touchent)^(٢) ولعل المعنى القريب منها قول من قال « قد يلتقي الشتي فيأتاغان »

طار صيت الاسكندر ووصل الى دارا ملك الفرس . فحرص الاغريق على أن يشقوا عصا الطاعة على الاسكندر وامدهم بالمال الوفير لشراء الاسلحة والدخائر والمهمات

(١) لما اتصل بديموستين نبأ اغتيال فيليب ذهب الى مجلس الثوري مرتدياً ملابس بيضاء دلالة على فرجه وابتهاجه وعلى رأسه تاج وخطب مشيداً ببطولة القتال وطلب من الشعب الا يكتب لصلب تاج من الذهب يوضع على قبر القتال واقامة حفلات افراح وتقديم قرابين للالهة شكراً لها على موت فيليب الذي سلب بلاد اليونان حريتها واستقلالها

(٢) ولد في مدينة سينوب سنة ٤١٣ قبل ميلاد المسيح . مشهور بتصوفه وتقشفه وعزوفه عن ملامهي الدنيا ولذائنها . عاش عيشة بدابة . عرف بتصفية قلبه عن موافقة البرية . وبمفارقة الاخلاق الطبيعية . واتخاذ الصفات البشرية . وبمجانبة الدواهي النسائية . والتماق بعلوم الحقيقة . لم يتطلع الى مال أو جاه . طاق المدنية وزخارفها والحضارة وبهرجها وأوضاعها وتقاليدها ومعتقداتها . وارتمى في أحضان الطبيعة . كانت حياته حياة حرة طليقة من كل قيد . رضى بالقضاء واستغنى بالعالم وبما فيه وبمن فيه . أحب العزلة بعيداً عن عباد الله . عود نفسه

ولتجنيد أكبر عدد ممكن من الجنود . ولتحقيق أغراضه رشا ديموستين بمبلغ ٧٢,٠٠٠ جنيه ليغري بينهم العداوة والبغضاء . كما وعد أحد أبناء فيليب بعرش مقدونيا إذا ما اغتال الاسكندر^(١)

ومن الحيل التي استعملها أنصار دارا لاثارة الفتنة والثورة أنهم أشاعوا أن الاسكندر قتل في معركة من المعارك التي خاض غمارها في بلغاريا وفي البانيا وسخر ديموستين شخصاً شهد بأنه حضر الواقعة ورأى اسكندر مقتولاً . إلا أنه عندما اتصل بالاسكندر خبر الثورة تميز من الغيظ وطار الى بلاد اليونان - وكان يقطع ٣٠ كيلومتراً في اليوم الواحد - وانتقم من أهالي طيبة Thèbes - التي تزعمت هذه الثورة - فجذ دابرهم ودمر طيبة من أولها الى آخرها وتركها خاوية على عروشها^(٢).

على خشونة العيش وشدة . صوفي متطرف لوكن حياته بجميع أنواع التصوف . كان يسكن في برميل بلا قعر . ولما زاره الاسكندر وجده داخل برميله . رآوه ذات يوم في شوارع مدينة أثينا حافي القدمين حارى الساقين والذراعين ممسكاً بيده مصباحاً مضيئاً وقد اشمس النهار . سألوه في ذلك فقال : (انى أبحث عن رجل Je cherche un homme . فذهبت مثلاً) يريد ان يقول انه لم يجد رجلاً كامل الرجولة من مروة وزهد وصدق وانسانية وانه انطلق يبحث عنه . وفي هذا يقول المؤرخ الألماني درويزن Droysen

" Si la question était d'un roi, la réponse était d'un sage "

كان يعارض افلاطون في آرائه ونظرياته .

ويقال أن سيويه كان مصاباً - هو أيضاً - بلوثة في عقله وعرف بهذه اللوثة منذ شب . تظهر في حركاته ورمش عينيه وزادت بترديه في بر أمام بيته .

(١) وهذه كانت سياسة الفرس دائماً يوقعون الشقاق بين اليونانيين عملاً بالمبدأ الشيطاني « فرق تسد » (Divise et régne. Divide et impera) ويمدون بالمال من يواليهم بشرط أن يحارب أعداءهم . من ذلك أنهم أهدوا أهل سبارطة بالمال وساعدوهم على إنشاء أسطول قوي حطم أسطول أثينا وحاصرها إلى أن جاءت فسلمت في سنة ٤٠٤ قبل الميلاد .

(٢) وما يؤسف له أن الاسكندر قبل أن يزايل مقدونيا لمحاربة الفرس عمل بالسنة التي اتبعها من بعده البطالسة وأباطرة بيزنطة وسلاطين آل عثمان وهي قتل مزاحيه في الملك . فقتل أمينتاس Amyntas ابن الملك برديكاس Perdicas الذي كان يتطلع الى عرش مقدونيا . كما قتل كارانوس Caranus أخاه لأبيه . كما قتل جميع أفراد عائلة اتال Attale الذي مرض على فيليب ان يصاهره . كما قتل اتال Attale نفسه فيما بعد لما ايقن انه تأمر مع دارا مع من تأمروا عليه .

(٢)

مرويه مع دارا

بعد ما استتب له الأمر وجهه همه الى محاربة الفرس . وكان دارا قد بسط سلطانه على بلاد آسيا الغربية - من بلاد الهند إلى البحر الأبيض - كما بسط سلطانه على البلاد المعروفة الآن ببلاد الاناضول وارمينيا والعراق وسوريا وفلسطين وغيرها . وكان له في البحر الأبيض اسطول قوى جداً يتألف من ٤٠٠ من الجوارى في البحر كالأعلام . وبسبب سيطرة دارا على البحار ما كان الأسكندر ولا غير الأسكندر يستطيع مناوئته في البحار . ففكر الأسكندر في وسيلة بها يجعل هذا الأسطول الضخم سواء والعدم . فهداه فكره الثاقب الى الاستيلاء على شواطئ بلاد آسيا الصغرى وعلى جميع الثغور الواقعة على البحر الأبيض المتوسط وكان معظم أهاليها من الاغريق . فأذا استولى عليها استحال على اسطول دارا أن يتمون .

جمع اسكندر جيشاً (وكان أول جيش لبس الملابس العسكرية) يتألف من ٣٠٠٠٠ من صناديد المشاة و ٥٠٠٠ من أشد الفرسان بأساً وسار بهم لمقاتلة دارا . وقبل أن يبارح مقدونيا درس الاسكندر تاريخ الفرس ولغتهم وأديبهم وفلسفتهم ودياناتهم وعاداتهم وأخلاقهم وأساطيرهم وفنونهم العسكرية واستصحب معه جمهرة من الفلاسفة ومن العلماء ومن الشعراء ومن المهندسين وصفوة رباني مقدونيا وبلاد اليونان لدرس أحوال البلاد التي نوى غزوها فكانت حملته عليها طابعان : طابع حربى (الفتح والغزو ومحاربة الفرس) وطابع علمى (درس طبيعة البلاد واستكشاف أحوالها الزراعية والتجارية والاقتصادية والصناعية والعلمية^(١)) . وقد اختار كالستين Callisthène - ابن اخت ارسطو وتلميذه - ليكتب تاريخ غزواته . كما ناط بمبشاره الكبير اومين Eumène de Cardie بأن يكتب يومياته ابتداء من تاريخ استوائه على العرش فكتبها

(١) كما فعل نابليون بونابرت عند ما غزا مصر في اواخر القرن الثامن عشر (في يولييه سنة ١٧٩٨) اذ استصحب معه ١٧٥ عالماً من كبار العلماء سموهم (الموسوعات الناطقة) كما سموهم (دار الكتب الحية) وسموا الحملة (la Croisade des lumières) مثل مونج Monge وبرتوليه Bertholet ودولوميو Dolomieu ودينون Denon ولاپلاس Laplace وطائفة من فطاحل المهندسين مثل لوبيير Lepère وجيرار Gérard . (ولوبيير هذا هو الذي

وظهرت باسم "Ephémérides royales" وقد اقتدى في هذا بأبيه فيليب عندما اختار المؤرخ ثيوبومب Théopompe ليكتب تاريخ حياته وفتوحاته وغزواته كانت سلطنة الفرس أكبر سلطنة في العالم تمتد حدودها من نهر السند (بيلاد الهند) إلى صحارى ليبيا^(١) وكان على عرشها الملك ديارا الثالث . ومع سعة ملكه ووفرة

ندبه بونايرت لدرس مشروع حفر قنسال السويس) . وطائفة من كبار علماء الرياضيات مثل كوستاكس Costax وفورييه Fourier . وطائفة من علماء الفلك مثل Méchin وبوشان Beauchamps ونويه Nouet . وطائفة من علماء النباتات مثل Geoffroy St. Hilaire و Savigny . وطائفة من علماء الكيمياء مثل Champy و Descotil و Délile . وطائفة من الرسامين والموسيقين . ومن الشعراء ومن الممارين وأضاف اليهم de Conté الذي كان تخصص في فن الطيران . والحق بهم ٢٠ من طلبة الهندسة مخانة ومدرسة المعادن . ومع كل هؤلاء وهؤلاء مترجمون اختارهم من اساتذة مدرسة الالسن . وقد استصحبوا معهم مطابع وخروباً فرنسوية وتركية وعربية ويونانية ومكتبة غنية بالمؤلفات والمصنفات الفرنساوية والانجليزية والاطالية واليونانية والعربية والتركية . ومن يطالع المؤلفات الكثيرة التي كتبت عن حملة بونايرت على مصر يعرف ما أدام هؤلاء العلماء من الخدمات الجليلة . وقد وضع العلماء بابحاثهم كتاباً جامعاً مانعاً ايموه (وصف مصر) تناولوا فيه الكلام على تاريخ مصر القديم والحديث وعلى جغرافيتها وعلى آثارها ومساجدها القديمة والحديثة وما فيها من معادن وزراعة وصناعة وري وتجارة كما تناولوا الكلام على طادات اهلها وطبائعهم ودياناتهم . وتقرأ الجبرتي المؤرخ الكبير - وهو من علماء الازهر - تجده يبيد في اكثر من موضع من تاريخه شديد إعجابه بما حمله الفرنسيون الى مصر من ضروب الثقافة الجديدة ومختلف الفنون والمخترعات ويصف لك دار كتبهم التي انشأوها في الباصرية وما رأي فيها من الكتب النادرة والصور الممتعة والتصانيف الاسلامية المترجمة . ثم يصف لك دار الكيمياء وما شاهده فيها من غريب التجارب والاختراعات ودار التصوير وما رآه فيها من صور متقنة لكبار العلماء ورجالات مصر يومئذ وضور الطبيعة والحيوان والنبات وغير ذلك من المناظر الجذابة التي لم يشهد بها العلماء المصريون من قبل .

(١) ومن المفيد أن نذكر هنا أن امبراطورية الفاروق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كانت هي أيضاً واسعة جداً تكاد مساحتها تعدل مساحة امبراطورية دارا . إذ ان في أيامه تم فتح الشام والعراق ومصر والجزيرة وديار بكر وأرمينيا وأذربيجان وإيران وفارس وخوزستان . ولو عرفت ان دارا ورث امبراطوريته الواسعة الأرجاء عن ملوك عديدين تولوا ٢٣٠ سنة من قبل . وعامت أن ما فتح من البلاد في عهد سيدنا عمر إنما فتح في عشر سنوات وستة اشهر واربعة ايام — وهي مدة خلافته — أمكنتك ان تحكم معي على ان فضل عمر يزيد عشرة أضعاف على فضل دارا وغير دارا . ولا سيما اذا لاحظت ان فتح عمر بن الخطاب تم مع قلة ماله وقلة سلاحه وقلة المام قواده بالفنون العسكرية . ولا يدري الا الله ماذا تكون عظمة الامبراطورية الاسلامية وقتئذ اذا لم يقتل (أبو لؤلؤة فيروز) سيدنا عمر بينما كان يصلي صلاة الصبح في ٢٤ ذى الحجة سنة ٢٣ من الهجرة (٣٠ نوفمبر سنة ٦٤٤ ميلادية) .



دارا
ملك الفرس

بموارده من مال ورجال فان الاسكندر لم يتردد لحظة في مقاتلته مع قلة رجاله وقلة ماله (١).

عبور الدردنيل

عبر الاسكندر وجيشه مضيق الدردنيل (وكان اسمه في ذلك الزمان l'Hellespont) وقد أفلتهم ١٨٠ سفينة . وقد عبره من قبل كركسيس Xerxes ملك الفرس عندما غزا بلاد اليونان .

وقبل نشوب الحرب زار ه تروادة « هو وصديقه هفيستيون Hephestion ووضع أكاليل من الزهور والرياحين على قبر أخلاوس - جده لأمه - وهو البطل الذي خلد ذكره هوميروس Homère شاعر اليونان المشهور في قصيدته العنصاء (الالياذة) (٢) . وقبل أن يشتبك جيش الاسكندر بجيش دارا

(١) اعانته بلاد اليونان بمبلغ ١٤٤٠٠٠ جنيه وتبرعت له امه بمبلغ ٢٤٠٠٠ جنيه وهو أضاف الى المبلغين كل ثروته الخصوصية الا انه قبل مغادرة مقدونيا وزع هذه الاموال على اصحابه وعلى قواد جيشه ليعطوها الى أهليهم ليستعينوا بها على حاجياتهم مدة غيابهم . ولما سئل في ذلك قال اني استبقيت ما يكفي للجيش مدة ثلاثة ايام فقط وما نحتاج اليه بعد ذلك نستولى عليه من البلاد التي نغزوها ومما نفقه من الفرس

(٢) اسم الالياذة l'Illiade مشتق من اسم مدينة اليون Ilion (على مقربة من مدينة تروادة) . واسم اليون Ilion مشتق من اسم ايلوس Ilus أحد ملوكها . واسم تروادة مشتق من اسم تروس Tros أبي ايلوس Ilus . فالاولى اسمها مشتق من اسم الأب . والثانية اسمها مشتق من اسم الابن . وقد اقام هوميروس في اليون وترواده وفيهما نظم « الالياذة » ومكان اليون وتروادة اسمه الآن جبلاق (على مقربة من شواطئ الدردنيل) : ولما بسط الاسكندر سلطانه على البلاد الواقعة بين البحر الابيض وبلاد الهند وبويع ملكا على (آسيا) نظم أحد الشعراء قصيدة سماها (آسياذة) Asiade على مثال (الالياذة) Illiade .

وعلى ذكر الالياذة نقول . كان من بين الغنائم والاسلاب التي غنمها الاسكندر مما تركه دارا من الكنوز والتحف والآثار صندوق صغير مرمع بالجواهر الكريمة قيل أنه كان أبدع وأروع طرفة وأتمن واغلى تحفة . لما وآه الاسكندر دهش من وفرة الماس والآلى والزمرد والاحجار الكريمة التي كانت تزينه . سأل الاسكندر اخصاه عما يليق أن يودع في هذا الصندوق فكان كل واحد منهم يبدي رأيا . واحد يقول كيت والاخر يقول كيت . وأخيرا قال لهم الاسكندر « عندي أن خير ما يليق ايداعه في هذا الصندوق إنما الالياذة » . لان اسكندر كان يعجب بهوميروس شاعر الالياذة أعجابه كبيراً حتى انه كتبها صحت له خلوة اعتكف في عقر داره وطالع الالياذة ومن فرط أعجابه بهوميروس فكر (كما روى ذلك المؤرخ هيراكليدس (Héraclides) في بناء مدينة في القطر المصري يعمرها ويسكنها كلها من المقدونيين والافريق ويسمونها هوميروبوليس (أي مدينة هوميروس) .

أشار كبير قواد دارا واسمه ممنون Memnon (وأصله من جزيرة رودس) على دارا بأن يرتد في داخلية البلاد ليعيد الاسكندر عن قواعد تموينه ويتعبه . وقال له ان الزمن وسعة الامبراطورية كفيلا بضعضة جيش الاسكندر . كما أشار عليه بأن يحرق جميع البلاد التي يضطر إلى إخلائها حتى لا ينتفع الاسكندر بما يكون فيها من مؤونة ومواد أولية (كما فعل الروس عندما غزاهم نابليون في خلال سنة ١٨١٢ وكما فعل ستالين عندما غزا الالمان روسيا في الحرب الحالية) فأجابه دارا (هل تريد أن أتقهقر أمام شاب غر مثل الاسكندر) .

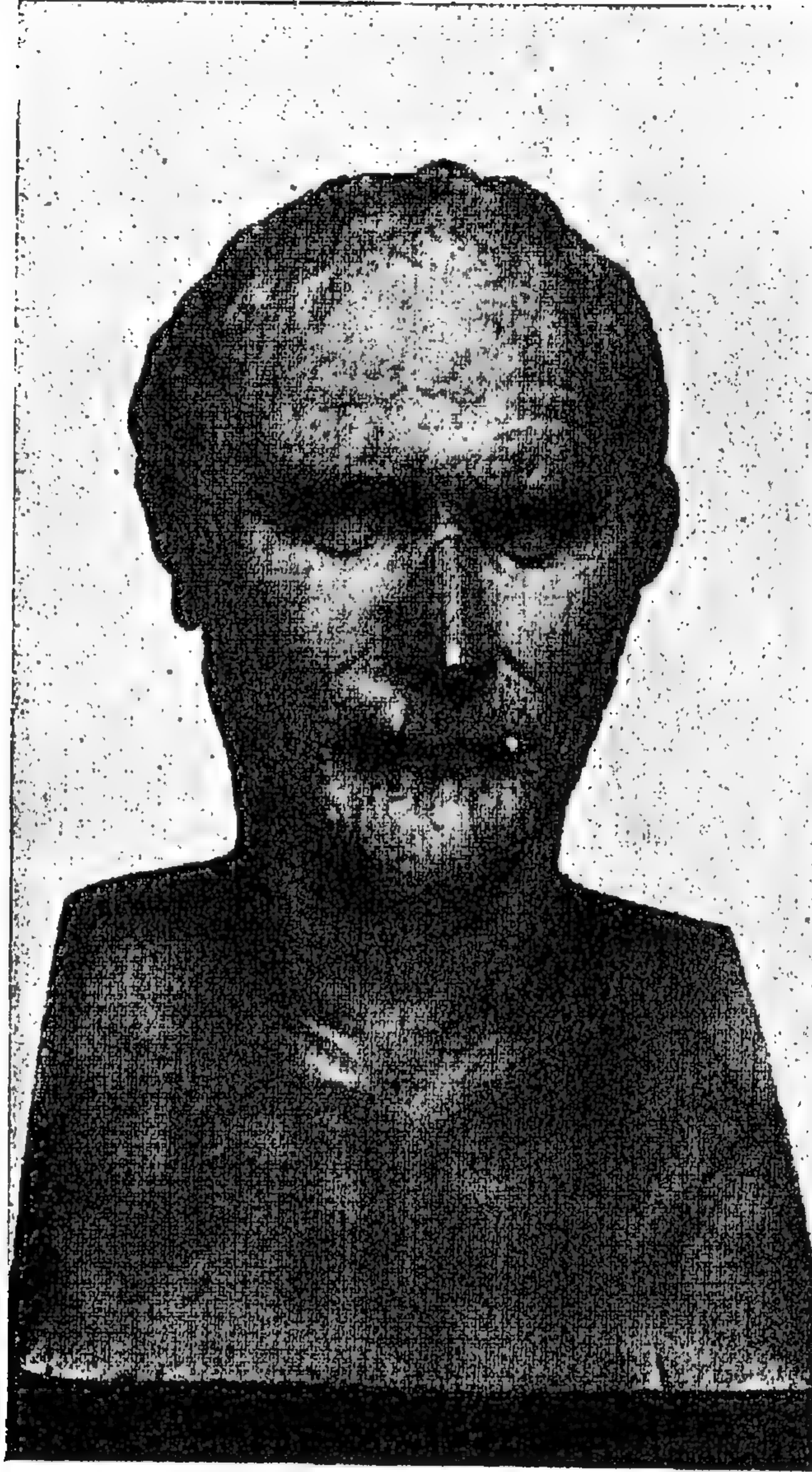
كان ممنون هذا أعظم قواد دارا وكانت له خبرة وحنكة في الفنون الحربية لا يضارعه فيها أحد من القواد الفرس . ولمكاته عند دارا حقد عليه القواد الفرس وسلطوا أحد خصيان دارا اسمه باجواس Bagoas ليقطله (بعد الواقعة الثانية وهي واقعة ايسوس) فدرس له السم ومات وراح ضحية اخلاصه وكفائه . ولما علم الاسكندر بموته اجهش بالبكاء . تلاحم الجيشان - جيش الاسكندر وجيش دارا - ثلاث مرات دارت الدائرة فيها كلها على دارا .

واقعة الجرانيك Le Granique :

الواقعة الاولى كانت في شهر مايو سنة ٣٣٤ قبل الميلاد على مقربة من ضفاف نهر جرانيكوس le Granique (ويصب في بحر مرمرية بين قرى بيغا وبوزلر كوي) وكانت معركة مروعة فيها انكسر جيش الفرس انكساراً شديداً بعد أن ترك ٣٠ ألف قتيل في ساحة الوغى ووقع في الأسر الفان من اليونانيين الذي جندهم ممنون (قائد دارا) من المدن اليونانية التي كانت خاضعة لدارا . فأخذهم الاسكندر أرقاء وأرسلهم إلى مقدونيا لتشييلهم في مناجم الذهب . وفر قائد جيش دارا وهو يتأوه ويتأوى . وما كاد خبر انكساره يذاع في البلاد حتى سارعت بلاد آسيا الصغرى للاستسلام للاسكندر ومن ضمنها جميع المدن اليونانية التي كانت خاضعة للفرس .

وتخليداً لذكرى انتصار الاسكندر على دارا أقامت مدن يونانية كثيرة مهرجانات

سموها « اسكندريات Alexandria »



ديموستين
خطيب اليونان

في هذه الواقعة كاد الاسكندر يقتل . لأن الاسكندر كان على رأسه خوذة بها جناحان من الذهب الوهاج فعرفه حالاً متريدات Mithridate صهر دارا وأحد قواده، ترجل متريدات وهجم على الاسكندر إلا ان الاسكندر ضربه ضربة ألقته على الأرض صريعاً . رأى روزاسيس Rhœsacés (أخو متريدات) ما حل بأخيه فهجم على الاسكندر وضربه بباطة أصابت خوذته وشطرتها شطرين . تلقى الاسكندر الضربة بقاب جرى وما هي إلا هنيهة حتى طعن الرجل طعنة فجلاء خر منها ميتاً . رأى سبتريدات Spithridate أمير ليديا ومن أتباع دارا ما حل بزميله فرفع سيفه ليضرب الاسكندر إلا ان كليتوس الأسود Clitus le Noir أحد ضباط الاسكندر أسرع وضرب أمير ليديا ضربة أطارت عظامه ففاضاً . وبذا نجا الاسكندر من الموت وانتصار الاسكندر في واقعة الجرانيك سهل له فتح بلاد الاناضول

واقعة أبسوس Issus

والواقعة الثانية كانت في ربيع سنة ٣٣٣- عندما زحف الاسكندر في قلب الاناضول ومرّ بأنقرة ثم دخل كليشيا واستولى على مضيق جبال طوروس . ووالى زحفه إلى أن دخل مدينة طرسوس^(١) . ومنها استمر زاحفاً إلى أن علم ان دارا جمع جيشاً عرمرماً في

(١) وطرسوس هذه تقع على نهر اسمه قديماً سيدنوس Cydnus (وسماء الترك قره صو ومعناه الماء الاسود كما يسمونه أيضاً طرسوس جاى أي نهر طرسوس) . فلما وصل الاسكندر الى طرسوس كان العرق يتصبب من جسمه من فرط التعب ومن شدة القيظ فتزل في النهر وكان ماؤه يكاد يقرسه البرد وسبح فيه فأصابته حمى شديدة جدا طرحته مريضا وكانت الحمى تطرد كل يوم في الزيادة والشدة والزمته ان يعتكف في كن بيته زمنا طويلا حتى ظن جنده انه لقي ربه ويقال ان فريدريك الاول امبراطور المانيا المشهور باسم Frédéric 1^{er} Barberousse غرق في هذا النهر نفسه في خلال سنة ١١٩٠ ميلادية عندما اشترك في الحرب الصليبية الثالثة ومن لطيف ما يروى أنه كان الاسكندر طبيب خاص لا يفارقه أبدا في جميع فتوحاته وغزواته . كان الاسكندر يعطف عليه ويحبه حبا جما ويشق به ثقة لاحد لها . فكثير حاسدوه والناقون عليه . حدث انه بينما كان هذا الطبيب يتناول الاسكندر وهو مريض شربة واذا بكتاب سري يرد له يقول فيه كاتبه ان دارا رشا طبيبه بمبلغ كبير من المال ليدس له سماً ناقعا في الشرية . فليثبت الاسكندر لطيبه ثقته به تناول الشرية باليد اليمنى وجرعها وتناول الكتاب الى الطبيب باليد اليسرى ليعرف ما فيه . وقد ثبت فيما بعد ان التهمة باطلة لا أصل لها .

شمال سوريا على مسيرة يومين من مضيق ييلان (وهو المضيق الذي هزم فيه البطل ابراهيم باشا ابن محمد على الكبير جيش السلطان محمود الثانى فى ٣٠ يولييه سنة ١٨٣٢) .

جيش الاسكندر كان يمتاز على جيش دارا بميزة كبيرة . هى ان الجندى المقدونى كان قليل السلاح قويه . بسيط الملبس نظيفه . سريع الحركة خفيفها . سهل الكر والفر . قنوع صبور . اعتاد على معيشة الكفاف والقناعة . متخففاً من الحاجيات . متعففاً من الكماليات . والجيش المقدونى كان فى غاية النظام والانضباط كانه جنود من جنس واحد مقدونى واغريقى . أما الجندى الفارسمى فكان كثير السلاح . ثقل الحركة . عسير الكر والفر . وكان جيش دارا خليطاً من الفرس والكرد والكرج والتتر والأرمن والأفغان والأشوريين والنبوريين والفينيقيين والاغريق الخاضعين لحكم الفرس . كان لهم ضجيج كضجيج الحجيج . وكانت مركبات الفرس المعدة لنقل الميرة والمؤن والذخائر والأسلحة والمهمات تمتد بالآلاف . يسير خلفها ٢٠٠٠٠٠ من الرجال والنساء والذراري أولاد وزوجات وسريات الضباط والجنود مع خدمهم وحشمهم . هذا عدا آلاف المركبات التى كانت تحمل معابد من الذهب والعاج . كما تحمل جميع كنوز دارا وأهله . وآلاف الآلاف من دنان الخمر . فكان الزمن اللازم لحركات جيش الاسكندر أقل خمس مرات من الزمن اللازم لحركات جيوش دارا . وكان جيش الاسكندر يتمون من البلاد التى يغزوها ومن السائب الذى يغنمه من جيش الفرس . وكان ضباط وجند جيش الاسكندر لم يعودوا على رفاة العيش . كانوا يأكلون طعاماً واحداً ويلبسون لباساً واحداً لا فرق بين كبير وصغير . لم يكن فيهم لحم أطيب من لحم ولا دم أطيب من دم . أما ضباط جيش دارا فكانوا ممن اعتادوا أن ينعموا بأطيب العيش ومتع الحياة . فكان لهم طهارة غير طهارة الجند ونظام خاص لمأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم غير نظام الجند

ويقول المؤرخ اليونانى أثينيه Athénée ان دارا كان جالساً على ايوان من الذهب الخالص يحرسه هو وعائلته القان من الفرسان الأشداء رأس عليهم أخاه اوكسانيرس Oxathères . وكان خصص لخدمته وخدمته أسرته ٢٧٧ طاهيا و ٢٩

خادما للمائدة و١٧ لصب الماء و٧٠ لصب الخمر و٦٦ لتزيين المائدة بالزهور والرياحين و٤٠ لتزيين شخصه وتعطيره . يضاف الى هؤلاء وهؤلاء ٣٢٩ مظربة ورقاصة معهم جميع آلات الطرب . فتأمل (١) .

وكثير من الولاة والقواد والقياقم والأشراف استصحبوا معهم جوقات من المغنين والمغنيات . والرقاصين والرقاصات . والموالى والندماء . مع آلات الطرب والموسيقى المتنوعة . كما استصحبوا كثيراً من المنجمين والمنجمات وجوقات من البهلوانية و«البهاليل» والمصارعين لتسليتهم وتساية زوجاتهم وبناتهم وأولادهم . ويقول أحد المؤرخين انه لزم لخروج هذا العدد الوفير - من غير المقاتلة - من أسوار مدينة (بابل) تسعة أيام كاملة .

فكان كل هذا مجتمعا سبب ضعف جيش الفرس وسبب ارتباكهم (٢) .

(١) قارن بين هذا البذخ وهذه الفخفة الفارغة وبين نقش أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . سأل عمر بن الخطاب الأحنف - وكان قد وفد اليه مع جندى البعرة - عن ثوب له . فذكر الأحنف نمنا يسيرا ثمانية او نحوها - ونقص مما كان اخذه به وكان قد اخذه بأثني عشر - فقال له عمر « هلا بدون هذا ووضعت فضائه موضعا تغنى به مسلما . . . » ومع كثرة شوائله وكثرة غزواته وكثرة فتوحاته كان سيدنا عمر خير الامراء قناعة وعدلا وسياسة . وصفه ابن مسعود بعبارة جمت بين الایجاز والاعجاز فقال (كان اسلام عمر فتحا . وهجرته نعرا . وامارته رحمة) .

ومثله المأمون . كان يقعد في صدر نهاده على لبود في الشتاء وعلى حصير في الصيف ليس معها شيء من سائر الفرش ويقعد للمظالم في كل جمعة مرتين لا يمتنع منه احد . يمثل هذه السياسة الرشيدة الرحيمة ويمثل هذه المدالة الاجتماعية تساس الأمم

(٢) وها سابقة تدل اعظم دلالة على ان الجيش المنظم مع قلته يلتصر دائماً على الجيش غير المنظم مع كثرته . ذلك انه بعد ان برح الجنرال بونايرت القطر المعري في شهر اغسطس سنة ١٧٩٩ خافه الجنرال كليبر الذي اشتهر بجبرائه ومهارته وبراعته في الفنون الحربية حتى ان نابليون نفسه سماه (الها من آلهة الحرب في ثوب عسكري) .

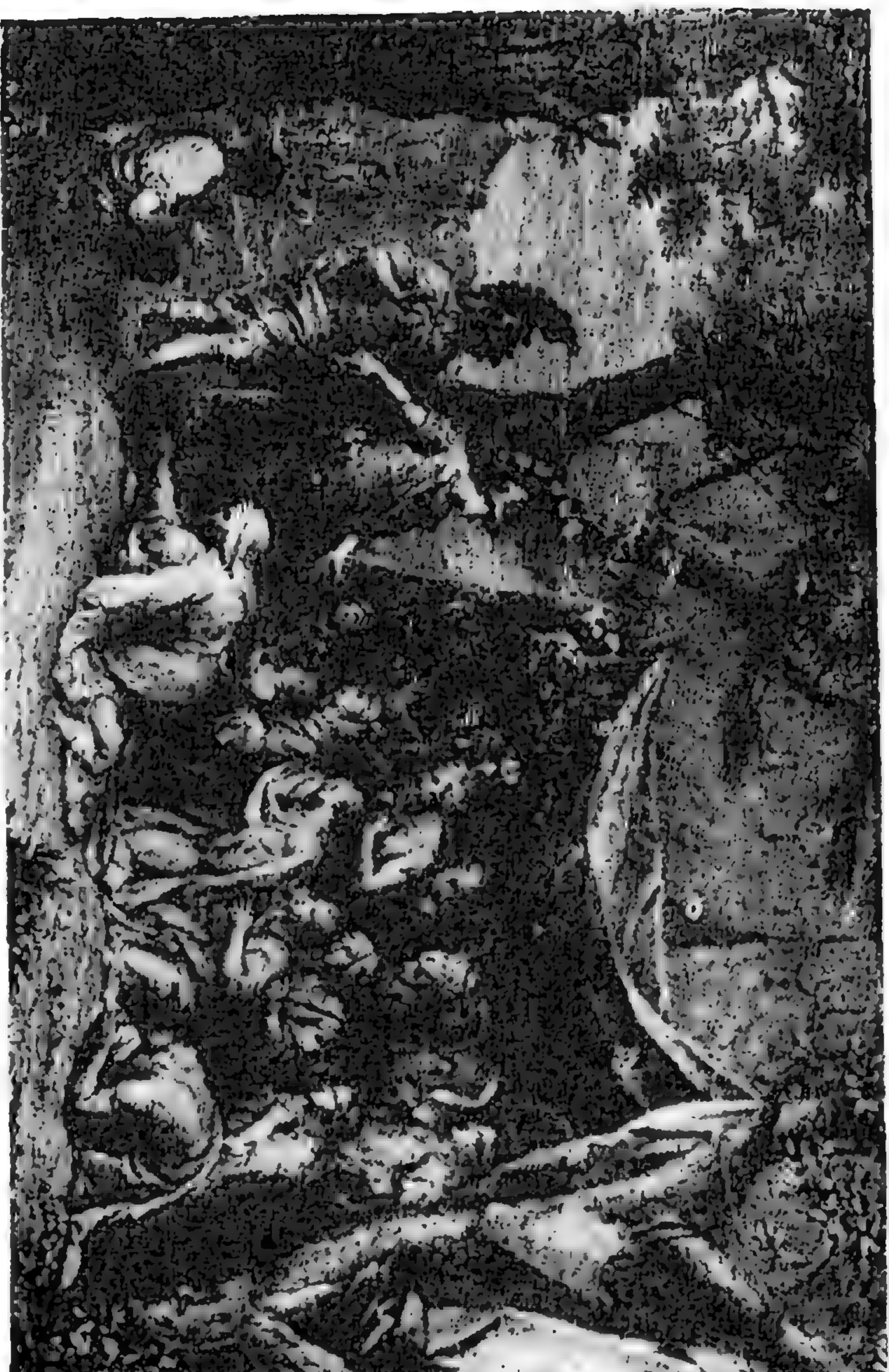
انفذ السلطان ايم الثالث صدره الاعظم يوسف باشا لطرده الفرنسيين من مصر فزحف من سوريا وفلسطين ولما وصل الى الحانكة أنذر الجنرال كليبر بتسليمه القاهرة والخروج من مصر . ولما رفض كليبر احتكما الى السيف والذال والطعان . التحم الجيشان - الجيش الفرنسي والجيش التركي في هايوبوليس - في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ - وكان عدد جنود الجيش الفرنسي ١٤٣٥٠ فقط اما عدد جنود جيش الصدر الاعظم فكان ٨٠٠٠٠ . وبالنظر الى أن الجيش العثماني كان خليطاً من الترك والكرد والالبانيين والسوريين والفلسطينيين وكان يحجر

يضاف الى هذه الميزة الكبيرة ميزة كبيرة أخرى . هي ان قواد جيش الاسكندر كانوا مدربين خير تدريب تلقوا فنون الحرب عن فيليب (أبى الاسكندر) وفيليب كان أبرع رجال الحرب فى عصره . تعلم كثيراً . وقاتل كثيراً . وانتصر كثيراً . وكان قواد الاسكندر كتلة واحدة متحدين مؤتلفين ففئت ارادتهم فى ارادة قائدهم الأ كبرالاسكندر . والاسكندر كان يراقب بنفسه ويحقق ويدقق . فاذا ما رأى مواضع ضعف قواها واذا ما رأى مواضع قوة زادها قوة .

أما القيادة الفارسية فكانت سبباً لتركها دارا لقواد جيشه . وقواد جيشه كانوا كالسك ياكل بعضهم بعضاً . اضطرب حبلهم . اتفقوا على ان لا يتفقوا . لهم بعدد رؤوسهم آراء . اختلفوا فى القيادة . والشركة فى الصناعة عداوة . بينهم داء الضرائر . كل ما عرفوه من فنون الحرب انما هو تقاليد سمرها الزمان تلقاها الأ بناء عن الأباء . ثم ترى القائد الفارسي يتحفز للوثوب على زميله القائد الأ غريبى أو القائد الأ شورى أو القائد السورى اذا ما رآه قد أصاب حظوة لدى دارا . والقيادة اذا ما اتحدت أو توحدت قويت ونجحت . واذا ما تنازعت أو تعددت ضعفت وفشلت .

كان دارا يتحرق لأخذ النار . التقى الجيشان فى نوفمبر سنة ٣٣٣ على مقربة من أيسوس Issus - فى جهة تعرف الآن باسم أرسلان بوزاز وطوبراق قلعة مى - على ضفتى نهر بيناروس Pinaros واسمه التركى (دلى چاي) وكان جيش دارا مؤلفاً من ٦٠٠.٠٠٠ مقاتل وجيش الاسكندر لا يزيد على ٤٠.٠٠٠

خلفه كثيراً من غير المحاربين من شيوخ ونساء واطفال واعداء وحميد وجوار وخدم وحشم ارتبك ولم يستطع ان يصمد امام الجيش الفرنساوى فانهمز شر هزيمة . واضطر الصدر الاعظم ان يفر الى الصالحية ثم الى سوريا وقد دخلها ولم يكن معه سوى ٥٠٠ من الفرسان الترك . تذكرني واقعة عين شمس هذه — واقعة ٢٠ مارس سنة ١٨٠٠ — بواقعة أخرى وقعت فى عين شمس نفسها فى شهر يولييه سنة ٦٤٠ ميلادية — أى قبل الواقعة الاولى بألف ومائة وستين سنة يفتلها كثير من المؤرخين . ذلك ان عمرو بن العاص لما غزا مصر ووصل الى عين شمس قاتل الروم . وكان جيش عمرو يبلغ ١٥٠.٠٠٠ مقاتل أما الروم فكان عددهم ٣٠.٠٠٠ وقد انتصر عمرو على تيودور قائد الروم انتصاراً ميبئاً سهل له فتح مصر كلها .



أم دارا وزوجته وابنه وبناته عندما وقعن في الأسر بعد موقعة الإسوس (راجع صفحة ١٩)
ويرى الإسكندر وصديقه هفستيون والأسرى أمامهما جثاة على الركب

كانت حرباً ضروساً دارت رحاها بأشد ما يكون من الهول رجّت لها الأرض رجّاً . فيها جرح الاسكندر في فخذه جرحاً أسال منها دمًا غزيرًا . وقد أبدى الاسكندر في هذه المعركة من البسالة والجرأة ما أدهش قوّاد الجيشين . إذ على الرغم من إصابته بجرح دام همّ الاسكندر بالكر على شخص دارا . ولما آانس دارا الخطر المهدق به ألقي سلاحه ودروعه ومعطفه وردائه وملابسه ومركبته وعرشه وولى الأدبار . فلما رأى الفرس أن ملكهم فرّ من الميدان القوا سلاحهم ولاذوا هم أيضًا بالفرار خاسئين . وقد غنم الاسكندر كل ما كان في ميدان الفرس من ذخائر وهبات وأسلحة وأسرجيع أفراد عيلة دارا . أمه واسمها سيزي جميس Sysigambis وزوجته ستاتيرا Statira وابنه وعمره ٦ سنوات وبنتيه إحداهما ستاتيرا (مثل اسم امها) وعمرها ١٦ سنة . كما وقع خصي دارا باجواس Bagoas أسيرًا وقد مثلوا بين يدي الاسكندر أذلاء داخرين . وقد بالغ الاسكندر في حسن معاملتهم وأذن لهم في أن يدفنوا نبلاء الفرس وأن يأخذوا من النفل والاسلاب ما يريدون . وبلغ عدد قتلى الفرس ٦٠.٠٠٠ من المشاة و ١٠.٠٠٠ من الفرسان و ٤٠.٠٠٠ أسير

ويقول أحد مؤرخي الفرس ان دارا طالب الصلح من الاسكندر وعرض اقتداء امه وزوجته وبنتيه وابنه بمبلغ ١٤٤.٠٠٠ جنيه فرفض الاسكندر وأفهم الرسول انه لا يضر شرّاً لا لدارا ولا لأهله وكل ما يريد ان يمثّل دارا بين يديه ليتسلم اهله ويعترف له ببسط ساططانه وحده بلا شريك على آسيا كلها .

وختم حديثه بقوله للرسول (لا تشرق على الأرض إلا شمس واحدة . فلا يمكن أن يكون لها إلا سيد واحد)

ظن أهل دارا في بداية الأمر ان دارا قتل وأرادوا أن يقيموا له مأتمًا . إلا ان الاسكندر هدأ روعهم وأكد لهم انه لم يقتل فتنفسوا الصعداء وزال عنهم بعض الهم والغم . كان الاسكندر على مساكنهم مقيماً . إلا انه عاملهم معاملة الملوك حتى انه لم يتطالع إلى ستاتيرا زوجة دارا ولم يلامسها وقد كانت قلقة قمر مهينة خصرها مرهف لم تر العين مثابا حنناً وجمالاً .

وانتصار الاسكندر في واقعة ايسوس سهل له غزو سوريا وفلسطين ومصر (١)

غزو سوريا وفلسطين

بعد تثبيت جيش دارا زحف الاسكندر شطر الجنوب ليستولى على جميع ثغور البحر الأبيض وفي الوقت نفسه أنفذ قائده الأكبر بارمانيون Parménion إلى دمشق ليستولى على كنوز دارا قبل أن تتسرب أو تبدد . وبالفعل دخل بارمانيون دمشق واستولى على كنوز دارا .

خضعت الموالي كلها للاسكندر . فبدأت رواد ثم بيلوس (جيل الآن) ثم صيدا بالتسليم . أما صور Tyr فتقاومت . ولتتمكن من احتمال الحصار أرسلت نساءها وشيوخها وأطفالها إلى قرطاجة (تونس) . لأن الفينيقيين - ومنهم أهالي صور - هم الذين أسسوها . حاصرها الاسكندر من يناير سنة ٣٣٢ الى اغسطس سنة ٣٣٢ - ثم فتحها غزوة والحرب غول للنفوس . فقد قتل الاسكندر من أهلها ٨٠٠٠ وأسر ٣٠٠٠٠ باعهم أرقاء عملاً بسنة الحرب التي كانت متبعة في ذلك الوقت عند قدماء اليونان . ولهذا القسوة البالغة حد الوحشية سبب . هو ان أهالي صور مثلوا بأسرى جيش الاسكندر ونكلوا بهم أشنع تنكيل . عذبوهم ثم شوهوهم ثم القوهم في البحر على مرأى من زملائهم . فثارت ثائرة الاسكندر وجنده وثأروا لآخوانهم بأن مثلوا بأعدائهم هم أيضاً شراً مثله .

في اثناء حصار صور - وبينما كان الاسكندر في مدينة ماراثوس Marathos - وصل الى الاسكندر وفد من لدن دارا ضم عشرة من ذوى قرابته حملوا اليه كتاباً يعرض عليه فيه ما يوفى جنيته وربيع مليون وعقد محالفة دفاعية هجومية . والتنازل له عن جميع البلاد الواقعة غرب الفرات . وليضمن له الوفاء عرض أن يزوجه من بنته لتزلفه عنده . وليستسيع الفرس التنازل عن هذه البلاد الواسعة أذاع دارا أن هذه البلاد ستكون مهر بنته . عقد الاسكندر مجلساً حريماً جمع جمجمة المقدونيين والاغريق وشاورهم في الأمر . ومن طريف ما يروى انه لما جاء دور بارمانيون أجاب « لو كنت الاسكندر لقبلت ما عرضه دارا » . فأجابه الاسكندر على الفور « وأنا كذلك لو كنت بارمانيون . غداً ندقهم دقاً . وقتلهم حتى تضع الحرب أوزارها » .

وبعدما استولى على مدينة « صور » زحف الاسكندر بجيشه الى ان وصل الى مدينة عكا فدخلها وغنم ما فيها^(١)

(١) قلعة عكا هذه حوصرت غير مرة :

— حاصرها فيليب اوجست Philippe Auguste ملك فرنسا وريشارد قلب الاسد Richard Coeur de Lion ملك إنجلترا في زمن الحرب الصليبية الثالثة ودام حصارها سنتين كاملتين ثم استولى عليها ريشارد في سنة ١١٩١ .

— وحاصرها أيضاً نابليون بونابرت في النصف الاول من سنة ١٧٩٩ في عهد ولاية احمد الجزار ولكنه عجز عن فتحها بعد أن حاصرها من ٢٥ مارس الى ١٠ مايو سنة ١٧٩٩ . ولناعتها واستبسال حاميتها كان الفرنسيون يقولون عنها :

« Entrer dans Acre, c'est descendre au tombeau, en sortir c'est renaître à la lumière »

— وحاصرها المصريون في سنتي ١٨٣١ و ١٨٣٢ وكان الجيش المصري تحت امرة البطل ابراهيم باشا بن محمد علي الكبير . حاصرها من ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٣١ الى ان سقطت في ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ وفيها اسر المصريون عبد الله باشا والى عكا نفسه بعد أن دافع عنها دفاع الابطال وبعد أن استشهد من جنوده ٦٠٠٠ ره مقاتل من أصل ٦٠٠٠ وقد أرسله ابراهيم باشا إلى مصر حيث عين له محمد علي باشا جزيرة الروضة مقاماً . فاقام فيها ذليلاً الى يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٣٣ وهو يفكر في طمحات الدهر ولسان حاله يقول حقاً ان الدولة ربيع قلب والامرة برق خلب . وقد كان مجموع القوات المصرية ٢٤٠٠٠ (خسرت مصر منهم ٤٠٠٠ بين قتل وجريح و ٣٠٠٠ مريض) غير جنود المدفعية . يمزها اسطول مصرى مولف من ١٦ سفينة حربية عقد لواؤها لامير البحر عثمان نور الدين باشا . وقد بلغ عدد القنابل التي ألقتها المصريون على عكا ٥٠٠٠٠ وعدد القذائف ٢٠٣٠٠٠ .

ومن المصادفات الغريبة أن خيمة ابراهيم باشا نصبت في المكان الذي نصبت فيه خيمة بونابرت من قبل باثنتين وثلاثين سنة . كما انه من المصادفات أنه كان بين الاشخاص الذين وقعوا اسرى مع عبد الله والى عكا خورشيد بك الذي اشترك مع احمد باشا الجزار في الدفاع عن عكا عند ما حاصرها نابليون ثم اشترك مع عبد الله باشا والى عكا عند ما حاصرها ابراهيم باشا . وفق في الحصار الاول وخاب في الحصار الثاني .

ولما وصل خبر سقوط عكا الى مصر امر محمد علي باشا بأن تقام الافراح ثلاثة ايام كاملة تطلق في خلالها مدافع القلاع والبنادر ثلاث مرات في كل يوم من الايام الثلاثة كما امر بالعفو عن المسجونين والمنفيين واطلاق سراحهم ليعم الفرح اهالى مصر قاطبة .

وقد احتفل المنصور له الملك فؤاد يوم ٢٧ مايو سنة ١٩٣٢ بالذكرى المشوية لسقوط عكا وانتصار جده البطل ابراهيم باشا احتفالاً غنياً دعا اليه الامراء والوزراء والكبراء

ولتسهيل غزو البلاد كانت الاسكندر يعامل الممالك والامارات والدويلات والولايات التي تستسلم له وتخضع بلا حرب ولا قتال معاملة حسنة . كان يترك ملوكها وامراءها وحكامها يحكمون كما كانوا بعد ما يطعم نظام حكوماتهم بالمبادئ الديموقراطية: حكم الشعب بالشعب لخير الشعب .

السيف أصدق أنباء من الكتب

بعد ما رفض الاسكندر ما عرضه دارا زحف نحو الجنوب دون أن يلاقى مقاومة تذكر ويروى انه لما وصل الاسكندر الى اورشليم Jerusalem (بيت المقدس) طلب من جدوس Jaddous رئيس الكهنة أن يمدّه وجنده بالميرة لأنهم كانوا في حاجة ماسة اليها فرفض . اغتاض الاسكندر وجن جنونه فأمر جنده بدخول المدينة جبراً . ولكن بمجرد ما وصل الجند الى أبواب المدينة أبصر الاسكندر مكتوباً على التاج الذى كان على رأس كبير الكهنة اسم الجلالة (الله) باللغة العبرية Yehovahi فانبرى من بين جنده وجثا على ركبتيه . دهش بارمانيون واخوانه من ركوع الاسكندر . سألوه في ذلك وقالوا له كيف تركع امام رجل والملك تسجد لك . فقال أنا لم أركع امام رئيس الكهنة بل ركعت امام الله . ثم زاد فقال انه لما كان في مقدونيا في مدينة (ديون) Dion فكر في سبيل لبسط ساططانه على آسيا فرأى في المنام رئيس الكهنة

والعلماء وخطب فيه رئيس الوزراء حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا خطبة بايعة اشاد فيها ببسالة الجندي المصرى ، وتلاه وزير الحرية سعادة على باشا جمال الدين ووضع على قاعدة تمثال ابراهيم باشا اكليلا جيلا من زهور القرنفل البيضاء على شكل دائرتين في ارضية من اوراق الزهور الخضراء وفي وسط الاكليل شريط طرز عليه — بواسطة مصنع الكسوة الشريفة — العبارة التالية بخط فارسي جميل « الى البطل الفاتح العظيم ابراهيم باشا من الجيش المصرى تمجيديا للذكرى المثوية لفتح عكا » وأرخوها بيوم الاحتفال ٢٧ مايو سنة ١٩٣٢ وزين الميدان بالاعلام والانوار كما اقام اصحاب المتاجر الموجودة متاجرهم بالميدان زينات بديعة . وفي المساء بدا الميدان في حلة باهرة من الانوار ولبثت موسيقى الجيش تصدح الى ساعة متأخرة من الليل . ولتخليد ذكرى هذا اليوم قيروا اسم ميدان الاوبرا وسموه ميدان ابراهيم باشا كما استبدلوا اسم شارع نوبار باشا باسم شارع ابراهيم باشا

هذا بنفسه لابساً الثوب الذى عليه الآن وقد أشار عليه بعبور الدردنيل ومحاربة الفرس وبشره بأنه سيمسك سيادته على آسيا كلها. ومن ذلك اليوم لم ير رجلاً يشبه الرجل الذى رآه فى منامه بسيماه وثيابه إلا رئيس الكهنة هذا. فصدق الرؤيا وأيقن أنه سيقهر دارا ويغزو آسيا بهناية الله وتوفيقه. ولما دخل المعبد فى اورشليم حضر الشعائر الدينية التى أقيمت لله تعالى ثم أطاعه كبير الكهنة على كتاب سيدنا دانيال وفيه ان أحد الأ غارقة سيقوض أركان سلطنة الفرس. مر الاسكندر من هذه المصادفات ومن فرط سروره أمر بترك اليهود وما يدينون وأعفى جميع يهود فلسطين وبابل والفرس من الخراج مدة سبع سنوات^(١).

بعد ذلك واصل الاسكندر زحفه إلى أن وصل إلى مدينة غزة^(٢). وكانت قلعة حصينة قائدها خصى ذو بأس شديد اسمه باتيس Batis فلما طلب منه التسليم رفض. حاصرها الاسكندر شهرين. ثم استولى عليها عنوة.

كاد الاسكندر يلقى حتفه أمام غزة. لأن أعرابياً من أتباع باتيس Batis أبصر الاسكندر وهو يقود جنده المهاجمين فاندس بين الجند وهوى بنفسه على قدميه متظاهراً بأنه يريد الانضواء تحت لوائه. جازت الحيلة على الاسكندر فرفعه من الأرض وقربه إليه. فانهز الاعرابى الفرصة واستل سكيناً كان يخفيه تحت ملابسه وهم بضرب

(١) كتاب سيدنا دانيال هذا آثار جد لا دينياً كبيراً. بفهمهم قال بصحته — وهم رجال الدين وقد استدلوا على صحته — من ضمن ما استدلوا به — بالتوفيق الذى أصابه اسكندر الأكبر فى فتوحاته وغزواته كما ورد فى الكتب والبعض الآخر انكر صحته ومنهم ميسو رينان Renan الفياوف الفرنسى الكبير. وها ما كتبه القس كلابو فى هذا العدد :

“Josèphe en effet affirme positivement que le Livre de Daniel fut présenté à Alexandre, lors de son entrée à Jérusalem, plus d'un siècle et demi avant l'époque d'Antiochus Epiphane, et que l'accomplissement des prédictions faites par ce prophète prouvait qu'il y avait en lui quelque chose de divin. (V. Josèphe, Ant. Jud. Livre X et XI." — V. E. Renan et l'Evangile, par l'Abbé Clabaut. P. 7.

(٢) فى كتاب الاقناع ان الامام الشافعى ولد على الاصح فى غزة سنة ١٥٠ من الهجرة. اما الامام ابو حنيفة فولد فى الكوفة فى سنة ٨٠ من الهجرة

الاسكندر . إلا ان الاسكندر مال وتنحى وطعن الاعرابي طعنة ألقته على الأرض قتيلاً . ولم يكد الاسكندر ينجو من طعنة الاعرابي حتى أصابه في كتفه شواظ من نار جرحه جرحاً بالغا . فترنح ذات اليمين وذات اليسار ثم أغشى عليه . ارتدت جنود الاسكندر قليلاً ثم استجمعوا قواهم وهجموا على القاعة واستولوا عليها وغنموا ما كان فيها من كنوز وذخائر وأسلحة وأسروا قائدها باتيس وكان عبداً أسود . صخرى الوجه . كبير الرأس في عظمة . بدينًا بطيئًا . هيئته جذابة أخاذة . له عينان براقتان . وقد بلغ عدد القتلى من أهالى غزة عشرة آلاف بيعت زوجاتهم وأمهاتهم وأولادهم أرقاء .

أظهر الاسكندر اعجاباً كبيراً بشجاعة هذا الرجل - والاسكندر خير من يقدر الشجاعة - وعلى الرغم من خيانة الاعرابي الذى حاول اغتياله بتحريض باتيس فان الاسكندر فكر فى العفو عنه تقديرًا لشجاعته وعملاً بالقول المأثور « عفو الملوك أبقى للملك » إلا ان الرجل لما مثل بين يدي الاسكندر صعد فيه بصره وصوته وكلمه كلاماً أحسن من الحجر . وتجبر امامه وتكبر وتثمر . فثار الاسكندر وكاد يدخل بعضه فى بعض غيظاً وقال سبيله أن تسقى الأرض من دمه . عراه الاسكندر ثم ربطه من رجليه فى مركبة قادها هو بنفسه فى وسط المدينة وما كاد يعود من حيث بدأ إلا والرجل جثة مهشمة جامدة هامة (١) .

(٣)

غزو مصر

بعد الاستيلاء على غزة استأنف الاسكندر زحفه . وبعد سبعة أيام وصل إلى الفرما Peluse أول حدود مصر . وفيها وجد أسطوله ينتظره .

فرحت مصر بحضور جيش الاسكندر . لأن الفرس كانوا طردوا فرعون مصر

(١) وتوجد رواية أخرى هي ان الاسكندر قعاً عينيه وقطع يديه وصلى اذنيه وجذع انفه ثم ضرب عنقه . والرواية الاولى اصح .

تقتلب الثأني وأمر فوا فى الظلم والنهب والعيث والتخريب والتعذيب . وسلبوا ما كان فى المعابد من كنوز وتحف وآثار وتقلوها الى بلادهم . كما كانوا سلبوا من مدينة اثينا ومن المدن اليونانية الاخرى ما كان فيها من كنوز وتحف وآثار وتقلوها الى بلادهم (اعادها الاسكندر الى اصحابها بعد ما انتصر على الفرس وغزا بلادهم) كما قتل ملكهم اوخوس Ochos - من قبل - العجل ابيس الذى كان يحمله المصريون ويقدسونه .

ولما باع الاسكندر مدينة منفيس عاصمة القطر تقدم حاكم مصر مازا كس Mazakès (وقد قُتل سلفه سابا كس Sabakès فى واقعة ايسوس Issus) سلمه الحامية وسلمه القلعة والمال الذى كان فى الخزانة وقد قدر بـ ١٠٠ مليون وستائة الف جنيه .

ومما سهل للاسكندر كسب عطف المصريين انه أمر باحترام المعابد واحترام ديانة المصريين واحترام عقائدهم وأمر بتركهم وما يدينون . وليستميلهم اليه قدم القرابين والذبائح لمعبود المصريين . كما قدم القربان للعجل ابيس . وأمر بتعمير وتجديد معبد طوطميس الثالث بالكرنك ومعبد أمينوفيس الثالث بالاقصر . ولما استتب له الأمر فى مصر أجلسه الكهنة على العرش فى معبد فتاح بمفيس . وعمأوا له المراسيم الدينية المعتادة . ولما بايعه كبير الكهنة فرعوناً على مصر (وملكاً على الوجه البحرى وملكاً على الوجه القبلى ولقبوه بابن معبودهم رع ومحبوب معبودهم آمون) خر له الناس سجداً . لأنه بوصف كونه ملكاً على مصر وابن رع ومحبوب آمون حق له من القداسة ما كان لفراعنة مصر لدى السبعة الملايين من المصريين الذين كانوا يسكنون وادى النيل فى ذلك الوقت (١) .

(١) لما غزا بونابرت القطر المصرى فى آخر القرن الثامن عشر تمنى لو انه اقتدى باسكندر الاكبر واعلن انه آله او ابن آله . وفى هذا يقول تارليه Tarlé استاذ التاريخ فى جامعة موسكو فى الكتاب الذى ألفه عن نابليون ما يأتى : — صحيفة ٦٢ —

“L'Orient l'avait toujours attiré et dans cette période de sa vie, il était beaucoup plus préoccupé d'Alexandre de Macédoine que de César, de Charlemagne ou de n'importe quel autre héros de l'Histoire. Un peu plus tard, alors qu'il parcourait les déserts égyptiens, il exprimait à ses

والذى سهل أيضاً للاسكندر كسب عطف المصريين انه كان فى مصر جاليات

compagnons et sur un ton mi-plaisant mi-sérieux, le regret d'être né trop tard et de ne pouvoir, tel qu'Alexandre de Macédoine qui avait conquis l'Egypte, s'y proclamer dieu ou fils d'un dieu." (Voir NAPOLEON par Eugène Tarlé, p. 62)

وبعد ما غزا نابليون ايطاليا والنمسا وروسيا وبالجيك وهولندا وبلغ اوج المجد اكره البابا على ان يسميه « قديساً » وجعل يوم ١٠ اغسطس - وهو يوم ميلاده - عيداً دينياً سماه (عيد القديس نابليون) St. Napoléon واعان كبير اساقفة باريس ان روح القدس حلت فى نابليون . كما اعلن رئيس اساقفة ليون ان روح القدس تقمصت فى شخص نابليون . واعلن رئيس اساقفة بوردو ان روح القدس هبطت على نابليون . واعتقد الناس ان روح القدس اعتادت ان تهبط عليه كل يوم وتوحى اليه كل يوم (راجع كتاب تاريخه صحيفة ١٣٨) . وتدل تصرفات نابليون على انه بعد ما بلغ ذروة المجد الحربى والسياسى رفع مقامه فوق مقام بابا روما خليفة المسيح . اذ انه لما حضر البابا الى باريس ليباركه امبراطوراً لم يقبل نابليون بده ولم يركع امامه حسب تقاليد الكاثوليك . ولما هم البابا بوضع تاج عرش فرنسا على رأسه اسرع نابليون واخذه منه ثم ادار ظهره للبابا ووضع التاج بنفسه على رأسه ثم وضع التاج — هو بنفسه أيضاً — على رأس زوجته جوزفين التى رفعها الى مقام امبراطورة .

اليس هو القائل :

" J'ai voulu l'empire de monde, et qui ne l'aurait pas voulu à ma place ? Le monde m'invitait à le régir. Souverains et sujets se précipitaient à l'envi sous mon sceptre."

وكان يقول دائماً :

" Je tiens mon sceptre de Dieu "

وفى هذا يقول الجنرال هانس فون سيكت Haus von Seekt وهو من اشهر رجال الحرب فى المانيا ان معظم الرجال العظام الذين اشتهروا فى الازمان الغابرة نسبوا افعالهم الخارقة للعادة الى توفيق رباني : خذ مثلاً اسكندر الاكبر فانه طلب من الاغريق ان يقدسوا شخصه ويقيموا له شعائر دينية . وطلب مثل ذلك من المصريين والاشوريين والاييرانيين والافغانيين والهنود الذين غزا بلادهم واخضعهم لسلطانه وثل عروش ملوكهم وامراتهم . وحذا حذوه من بعده خلفاؤه البطالة . فان بطليموس الثانى امر قدماء المصريين بتزييل ابيه بطليموس الاول وامه برنيس Bérénice منزلة الآلهة باسم les dieux Soter . ولما ماتت اخته ارسينويه الثانية Arsinoe — وكانت فى الوقت نفسه زوجته — الهما باسم (الالهة فيلادلف) ثم انتهز الفرصة ورفع نفسه معها — وهو لا يزال حياً يرزق — الى مرتبة الالهية les dieux Adelphe . وجاءت بعده كليوباترة ملكة مصر الشهيرة واقتدت به . وجاء بعدهم يوليوس قيصر وفعل مثل ما فعلوا . . . وهكذا .

وشارلمان Charlemagne — ومعتاها شارل الاعظم Carolus Magnus — الذى

يونانية كثيرة منتشرة في كثير من انحاء القطر المصري . وفدت عليها في خلال القرن

بسط سلطانه على فرنسا وبلجيكا وهولندا والنمسا والمجر وبافاريا والمانيا الغربية والمانيا الجنوبية وعلى جزء كبير من ايطاليا وبويع امبراطوراً على غربي اوروبا ونصب اولاده الثلاثة ملوكاً على فرنسا وعلى ايطاليا وعلى المانيا ارفع البابا في خلال سنة ١١٦٥ على المناداة به « قديساً » . وجاءت جامعة باريس في سنة ١٤٨٧ واختارت القديس شارلمان St. Charlemagne حامياً لها وولياً عليها . وشارلمان هذا طاصر هارون الرشيد وتولى الملك ٤٦ سنة وحارب ٣٥ مرة في اسبانيا وايطاليا وفي الحدود الغربية لملكته — بلاد السكس وبافاريا والدانمارك . ولما بلغ ذروة المجد رفع نفسه الى مقام « القديسين » .

وكثير من ملوك اوربا نشأ فيهم هذا الزهو وهذا الغرور فكان الواحد منهم يلقب نفسه " rex regum " اى ملك الملوك

ومثلهم اباطرة ايران قد اتخذوا لاقتسم لقب شاهنشاه اى ملك الملوك

وكهنة زاردشت كتبوا واشاعوا وروجوا بأن ملوك ساسان هم من سلالة الاله اورد مزد ووضعوا شخص الملك في مصاف اولياء الله الصالحين

ومثلهم ملوك الحبشة يصف الواحد منهم نفسه بأنه (ملك الملوك)

— واخالاوس Achilles الذى خلد هوميروس ذكراً في الاياذة المشهورة عبده الناس في ذلك الوقت كما يعبدون الله .

— وروى هيرودوت ابوالتاريخ انه رأى في آسيا الصغرى آثاراً مصرية قديمة عليها نقوش وصف فيها رمسيس الثانى نفسه بأنه (ملك الملوك وسيد السادات) وعندما كان يذهب رمسيس الى المعبد كان يلجم الملوك الذين وقعوا في اسره اربعة اربعة لجر مركبته من قصره الى المعبد ومن المعبد الى قصره .

— وتجد الامبراطور الرومانى جوستينين Justinien (وهو من اصل مقدونى ايضا) يكتب في كتاب له (هل يوجد ما هو اكبر عظمة واطهر قداسة من الجلالة الملوكية) وعندما كان ير امام الشعب كان الناس يجثون امامه . يركعون ثلاث مرات ويقبلون رجليه . وكان يصف نفسه بأنه (الامبراطور — الكاهن الذى اصطفاه الله وجعله في مصاف الملائكة)

وسرت هذه الروح من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر .

فتجد المعز لدين الله الفاطمى في الرسالة التى وجهها الى الحسن الاعصم زعيم القرامطة يتسم بسم النبوة ويسبغ على الامامة الفاطمية لونا من القداسة وينوء بنحواصتها وجلالتها المقدسة ومقدرتها الروحية الخارقة وكونها امامة الدنيا والدين معا .

قارن بين غرور هؤلاء الاباطرة والملوك وبين تواضع النبي عليه السلام وتواضع الخلفاء الراشدين من بعده — في الوقت الذى بلغوا فيه ذروة المجد الدينى والسياسى والحربى .

— كان النبي عليه السلام يكره ان تقبل يداه مخافة ان تجري العادة بهذا بين الناس فتحمل بينهم على عمل الذلة والخضوع . قال ابوهريرة رضى الله عنه « دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه

السابع قبل الميلاد . وكان فيها من بلاد اليونان كثير ممن استقدمهم الفراعنة واستخدموهم جنوداً . وكان فيها فوق هذا وذاك مدينة يونانية بحثة هي نقراطيس (كشف آثارها العلامة الأثرى فلندرز بيتري في خلال سنة ١٨٨٤ ويقول أنها واقعة على الضفة اليمنى من قناة قديمة تبعد عشرة أميال غرب فرع رشيد) أسسها اليونانيون في عهد بساتيك الأول فرعون مصر الذى طرد الفزاة وأعلن استقلال مصر . كما كانت توجد جالية يونانية كبيرة أيضاً في ممفيس عاصمة القطر .

تأسيس الاسكندرية

ألمع درة في تاج الاسكندر - وهى عظمة عظمتها - تأسيسه مدينة الاسكندرية . وقد بناها على مقربة من بلدة راكوتيس القديمة (بين جزيرة فاروس التى فيها منار الاسكندرية ورأس التين الآن وبحيرة مريوط . ويسمى مؤرخو العرب « راقوده ») وقد وفق الاسكندر في اختيار موقع الاسكندرية .^(١) لان موقعها صحى وهوائها نقي

وسلم فاشترى - سراويل وقال لاوازن : زن وارجع . فوثب الوازن الى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبها فغذب يده وقال : هذا تفعله الاطاحم بملوكها ولست بملك . انما انا رجل منكم . ثم أخذ السراويل فذهبت لاجله فقال : صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله »

وقال عليه السلام ايضا : انما انا عبد . آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد »
(١) وهى ثالث مدينة أسسها الاسكندر وسماها باسمه . الاولى الكسندروبوليس Alexandropolis والثانية الاسكندرون Alexandrette التى ضمها الترك الى بلادهم في سنة ١٩٣٩ على اثر اتفاق عقدوه مع فرنسا . وقد اقتدى الاسكندر بأبيه فيليب في تسمية بعض البلاد باسمه تخليداً لذكراه . الم يؤسس أبوه مدينة سماها باسمه Philippos وقد اشتهرت فيها بعد اذ فيها قهر أنطوان وأوكتاف جيش بروتوس Brutus وكاسيوس Cassius اللذين اغتالا يوليوس قيصر Jules César . وفي هذه المدينة أيضاً نشر القديس بولس تعاليم الانجيل لأول مرة في أوروبا .

وتوجد في ايطاليا مدينة اسمها (الاسكندرية) وسبب تسميتها بهذا الاسم أن فردريك الاول امبراطور المانيا اراد أخضاع ملك ايطاليا وبسط نفوذه الامبراطورى عليها فزحف عليها بجيش جرار ودخل روما حيث بايعه البابا امبراطوراً في كنيسة القديس بطرس المشهورة (في ١٨ فبراير سنة ١١٥٥) الا ان اهالى روما ثاروا عليه فقبض على زعيمهم أرنو Arnaud de Brescia وشنقه . ولم يكتف بشنقه بل أمر باحراق جثته والقائها في نهر ال (Tibre) ولما عاد فردريك الى بلاده عقد مجمعا في مدينة بزانسون Besançon في سنة ١١٥٨ وفيه حضر مندوبان من قبل البابا . وفي اثناء الاجتماع حصلت مشادة بين الكردينال رولان أحد مندوبي البابا

يأتيه من البحر ومن الصحارى الغربية . وجميع المؤرخين والسياح الذين زاروها أشادوا

والامبراطور . فقال الكردينال للامبراطور (ممن تستمد سلطتك ؟ اليس من البابا) فلما سمع احد الاشراف هذا الكلام هم بضرب الكردينال بسيفه . الا ان الامبراطور أمسك بذراعه واكتفى بان أمر بطرد مندوبي البابا من بلاده ونوى غزو إيطاليا من جديد لتأييد سلطانه . لجيش جيشا من ٥٠٠٠٠ مقاتل زحف به على إيطاليا واستولى على البلاد المهمة وأخضعها لسلطانه . الا ان مدينة ميلان عصت . لحاصرها سنتين ونصف سنة ثم سلمت جوعا فاصدر الامبراطور أمرا الى الاهالى بأخلائها وضرب لهم مهلة أسبوعا ثم دمرها من اولها الى آخرها وجعل عاليا سافلا . حدث في اثناء هذه الفترة أن مات البابا فاجتمع الكرادلة وانتخبوا الكردينال رولان (الذى ناوا الامبراطور) بابا . فاستوى على كرسي البابوية بأسم (اسكندر) الثالث . فالتف جميع الايطاليين حوله . وهو عقد محالفة مع ملك (صقلية) ومع جمهورية (البندقية) والثلاثة قاوموا الالمان . ولما اراد فردريك الزحف على إيطاليا من جديد ظهر الطاعون بين جنده فانقلب راجعا الى بلاده وخلصت إيطاليا من جبروته وأعاد الايطاليون بناء مدينة (ميلانو) . واعترافا بفضل البابا وشجاعته أسسوا على ضفة تانارو Tanaro احد روافد نهر البو (Po) مدينة محصنة سموها (اسكندرية) بأسم البابا (اسكندر) الثالث . أزاء اتحاد حكومة البابا وحكومة البندقية وتضامهما اضطر الامبراطور فردريك الى طاب الصالح . ولاظهار حسن نيته سافر الى إيطاليا ودخل مدينة ميلانو حيث استقبله اهالها بحفاوة عظيمة وليظهروا له ولاءهم استبدلوا اسم (الاسكندرية) باسم (القيصرية) Césarée ولكن بعد وفاته ابدلوا اسم القصر اليها اسم (الاسكندرية) بأسم البابا (اسكندر) الثالث ولا يزال اسمها حيا عاصمة بلاد (أثيوبيا) واسكندرية إيطاليا هذه مشهورة في التلوية وما يليها —

والنما في يونيه سنة ١٨٠٠ وبها الامراء والنبلاء ووجوه البلد يقصدون معبد آمون Le Piémont وبلاد ميلانو كذا كان يستلمه ويؤتوحى معبد جوبيتر آمون سيوه . ملبو Mincio . وقد امضى من المدينة والحضارة مبانعا عظيما وكان لها جيش قوى يبلغ ٢٥٠٠٠٠ Desaix والجنرال كالميا على عرشها ٤٥ ملكة وجاء وقت غزت أثيوبيا بلاد مصر واستعمرتها سنة ١٨٠٠ . وفي هذا يقول هيرودت أبو التاريخ (استوى على عرش مصر من عهد مينا أول نفسه — حرا الى طوطوميس الرابع ٣٣٠ ملكا منهم ١٨ من ملوك أثيوبيا) .

القاهرة كان في بلاد أثيوبيا مدن كبيرة ومعابد كثيرة . وكان لها قوانين ومحاكم وأدارات وأنظمة الى انها بلغت من المدنية شأوا بعيدا . وكان لاهالى أثيوبيا كتابة خاصة أشبه بالكتابة المصرية . ١٧٩٩ الميلادية .

الجنرال ما وكان للكهنة سلطة واسعة مطلقة لا حد لها . يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون . ويودور العقلى أن الكهنة كانوا يختارون الملوك من رجالهم . وبمجرد ما يقع اختيارهم على انهم يجمعون الكبراء والعظماء في حفلة دينية ويمننون ان (جوبيتر آمون) أوحى اليهم ان يختاروا فلاناً ليتولى الملك . وفي الحال يخرون للاذقان سجداً امام الملك الجديد ويقدمون له صاعداً لخدمة كائنه اله .

الذين قاتلوا من قضايتهم ما كانوا يحكمون على احد بالاعدام حتى ولو كانت جنايته تستوجب قتل الاعدام . كانوا يرسلون الى المجرم رسولا من قبل القاضى يسلمه اشارة الموت وبمجرد ما يراها

بجودة هوائها وصحة مناخها . منهم ديودور الصقلي Diodore وسترابون Strabon وأمين مارسلين Ammien Marcelin وكنت كورس Quinte-Curce وبلين Pline . حتى ان كثيراً من أطباء الأقدمين كانوا يشيرون على المرضى بالسبل بالاقامة فيها (راجع صحيفة ٣ من كتاب الأستاذ برشيا مدير المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية) . وشهد بهذا مثاهم المقرئ المورخ المشهور (سنة ١٤٤١ ميلادية) وتدل التقارير الرسمية والاحصاءات السنوية التي تنشرها الحكومة المصرية على صحة هذه الشهادات .

اذ ان وفیات الاسكندرية أقل من وفیات المدن المصرية الأخرى .
وقد اذنب الاسكندر أكبر مهندسيه - واسمه دينوكرات Diocrates - من أهالي جزيرة رودس - لتخطيط المدينة . وتولى الاسكندر بنفسه تعيين مواقع الشوارع والمعابد والأسواق والملاهي . ثم حصنها تحصيناً قوياً بدلالة وثيقة رسمية هيروغليفية عثر عليها حديثاً يرجع عهدها الى سنة ٣١١ قبل الميلاد . ذكرت الاسكندرية وسمتها (قلعة ملك البحرين القبلي والبحري ابن رع ومحبوب آمون) الى أن قيل في هذه الوثيقة (وهذه القلعة - ولم فاشترى سرابا بحر الروم وكان اسمها قديماً راكوتيس Racotis) وكان في نية يقبلها لجذب يده وقال : ~~هذا هو اسمها كزاً للتجارة بين آسيا وأوروبا وإفريقيا~~ السراويل فذهبت لأعماله فقال : صاحب الشيء الحق بشيئكم . وقال عليه السلام ايضاً انما انا عبد . أكل كما يأكل العبد . من سرقة نقراطس (١) وهي ثالث مدينة أسسها الاسكندر وسمها باسمه . (٢) وتم تأسيس الاسكندرية Alexandropolis والثانية الاسكندرونة Alexandrette التي ضمها اليه . وقد زارها كثير من ١٩٣٩ على أثر اتفاق عقده مع فرنسا . وقد اقتدى الاسكندر بأبيه فيليب . وقد زارها كثير من البلاد باسمه تخليداً لذكراه . الم يؤسس أبوه مدينة سماها باسمه Philippos وقد أسس Domitien اذ فيها قهر أنطوان وأوكتاف جيش بروئوس Brutus وكاسيوس Cassius الذين استالوا يوليوس قيصر Jules César . وفي هذه المدينة ايضاً نشر القديس بولس تعاليم الانجيل لأول مرة في أوروبا .

وتوجد في ايطاليا مدينة اسمها (الاسكندرية) وسبب تسميتها بهذا الاسم أن فردريك الاول امبراطور المانيا اراد أخضاع ملك ايطاليا وبسط نفوذه الامبراطوري عليها فزحف عليها بجيش جرار ودخل روما حيث بايعه البابا امبراطوراً في كنيسة القديس بطرس المشهورة (في ٨ فبراير سنة ١١٥٥) الا ان أهالي روما ناروا عليه فقبض على زعيمهم أرنو Arnaud de Brescia وشنقه . ولم يكتف بشنقه بل أمر بإحراق جثته والقائها في نهر الـ (Tibre) ولما عاد فردريك الى بلاده عقد مجعاً في مدينة بيزانسون Besançon في سنة ١١٥٨ وفيه حضر مندوبان من قبل البابا . وفي اثناء الاجتماع حصلت مشادة بين الكردينال رولان أحد مندوبي البابا

ولتخطيط وتجميل مدينة الاسكندرية استقدم الاسكندر من بلاد اليونان كثيراً من المهندسين ومن المماريين ومن الفنانين ومن مهرة الصنائع وكل من له بسطة في علم أو فن وبينما كان الاسكندر يعمل في تأسيس مدينة الاسكندرية ورد له نبأ استيلاء أسطوله على جزر الأرخبيل اليوناني مثل جزيرة تندوس Tenédos وجزيرة لسبوس Lesbos وجزيرة خيوس Chios وجزيرة Cos ولما مثل أسرى جزيرة تيندوس أمامه أمر باعتقالهم وأرسلهم إلى اسوان في جزيرة فيله .

استولى الاسكندر على مصر وكان عمره ٢٤ سنة فقط . أراد الاسكندر أن يزور واحة سيوه^(١) ليستوحى آمون معبود المصريين ويستلمه . وليس له الكهنة

(١) كانت لها شهرة كبيرة في عهد الفراعنة وفي عهد الاغريق ذلك عليها الآثار القديمة التي عثروا عليها في « جبل الموتى » في خلال سنة ١٩٤٠ وجبل الموتى هذا يبعد عن بلدة سيوه بنحو ١٥٠٠ متر . وتجد واحة سيوه مذكورة في اشعار الاغريق وفي كتب مؤرخيهم وحج اليها كثيرون من اهالي برقة ومن اهالي قرطاجة (تونس) ومن اهالي اثينا ومن اهالي اسبارطة يستلمون وحى آمون كما فعل الاسكندر

ويوجد « لجوبيتير آمون » معبد آخر مشهور قائم في مدينة مروا عاصمة بلاد (أثيوبيا) وهي البلاد الواقعة في أعلى النيل ومنها بلاد النوبة وما يليها —

كان الحجاج والسياح والامراء والنبلاء ووجوه البلد يقصدون معبد آمون هذا ويستوحونه كما كان يستلمونه ويستوحى معبد جوبيتير آمون سيوه . وكانت بلاد (أثيوبيا) قد بلغت من المدنية والحضارة مبلغاً عظيماً وكان لها جيش قوى يبلغ ٢٥٠٠٠٠ مقاتل . وقد استوت على عرشها ٤٥ ملكة وجاء وقت غزت أثيوبيا بلاد مصر واستعمرتها وضمتها اليها . وفي هذا يقول هيرودت أبو التاريخ (استولى على عرش مصر من عهد ميناء أول ملوك مصر الى طوطوميس الرابع ٣٣٠ ملكاً منهم ١٨ من ملوك أثيوبيا) .

كان في بلاد أثيوبيا مدن كبيرة ومعابد كثيرة . وكان لها قوانين ومحاكم وأدارات وأنظمة تدل على انها بلغت من المدنية شأواً بعيداً . وكان لاهالي أثيوبيا كتابة خاصة أشبه بالكتابة الهيروغليفية .

وكان للكهنة سلطة واسعة مطلقة لا حد لها . يولون من يشاءون ويعزلون من يشاءون . يقول ديودور الصقلي أن الكهنة كانوا يختارون الملوك من رجالهم . وبمجرد ما يقع اختيارهم على واحد منهم يجمعون الكبراء والعظماء في حفلة دينية ويعلمون ان (جوبيتير آمون) أوحى اليهم بأن يختاروا فلاناً ليتولى الملك . وفي الحال ينخرون للاذقان سجداً امام الملك الجديد ويقومون له شعائر دينية كأنه اله .

وقد قاذفهم لئلا قضائهم ما كانوا يحكمون على احد بالاعدام حتى ولو كانت جنايته تستوجب الاعدام . كانوا يرسلون الى المجرم رسولا من قبل القاضي يسلمه اشارة الموت وبمجرد ما يراها

ابن آمون . سافر من راكوتيس في محاذة شاطئ البحر الأبيض . وقد صحبه في هذه الرحلة بطليموس (الذى استوى على عرش مصر فيما بعد) وكالباستين مؤرخ غزواته . وفي اثناء الرحلة التقى بوفود حضرت اليه من برقة (ليبيا) قدمت اليه هدايا كثيرة عربوناً لولاثم واخلاصهم ودعته لزيارة ليبيا . ولما وصل إلى مدينة باريتونيوم Parætoniou (مرسى مطروح الآن - والعرب يسمونها البرطوم وهو تحريف لامم باريتونيوم) - اتجه جنوباً نحو واحة سيوة التى تبعد عنها مسيرة ١٢ يوماً^(١) . كانت الرحلة شاقة جداً . وزادها مشقة نفاد الماء الذى جلبه الاسكندر على الجمال . ومصادفة سفر الحملة في الشهور الواقعة في صميم الحر . ثم هبوب عاصفة هوجاء من ربح سموم ذرّت الرمال في وجه الجند للدرجة يئسوا معها من النجاة . وبينما الاسكندر وجنوده على هذه الحالة من اليأس . واذا بمطر غزير يهطل عليهم فاستبشروا خيراً . وزادوا استبشاراً بظهور غرابين في سماء الصحراء (وقيل ثعالبين) فاستبشر الاسكندر خيراً بظهورهما . وأمر القافلة بالمسير في اتجاه الغرابين . فساروا حيثاً إلى أن رأوا على بعد أشجار النخيل والزيتون التى كانت بالواحة . ولما دخلوها وجدوا عيون ماء وفيرة - منها العين المقدسة وعين الشمس - كما وجدوا بحيرات عدة . وبمجرد وصول الاسكندر قصد معبد آمون

المجرم يدخل داره ويقتل نفسه . والمجرم الذى لا يقتل نفسه بنفسه كان يجلب العار على نفسه وعلى أهله . روى ان أمأ وثبت على ابنها وخنقته خنقاً لأنه حاول الهروب ليتخلص من الانتحار . وكذا بالنسبة الى الملوك . فان الكهنة اذا ما ارادوا التخلص من ملك أرسلوا اليه رسولا يذره بأن الآلهة ساخطون عليه ويطلبون منه أن يفتحر فكان يطيع الامر طاعة عمياء . لأن أوامر الآلهة التى يوحون بها الى الكهنة كانت أوامر بانه لا تقبل نقضاً ولا ابراماً .

(١) وهذا الطريق هو الذى اتبعه الحديوي عباس عندما زار واحة سيوة في سنة ١٩٠٥ - وهو هو الطريق الذى اتبعه ايضاً المغفور له الملك فؤاد الاول عندما زار سيوة في سنة ١٩٢٧ - وقد وصف الدكتور مأمون عبد السلام رحلته الى واحة سيوة في سنة ١٩٢٧ في مقالات عدة نشرها في الاهرام وفي مجلة الاثنين . وقد جاء فيها ان معبد آمون اندثر ولم يبق منه الا بضعة احجار . لأن رجال الحكومة في عهد عباس الاول هدموا المعبد واستعملوا حجارته في بناء مركز الحكومة . ولعل أوفى وصف لواحة سيوة والطرق الموصلة اليها هو الوصف المذكور في مجلة الجيش المصرى في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٨ بقلم حفرة اليوزباشى رفعت الجوهري . مأمون مركز مرسى مطروح . وقد ألم بتاريخ واحة سيوة في العهد المصري القديم (غزو الفرس وعصر الاسكندر) وفي العهد الرومانى وفي العهد العربي وفي عهد محمد على باشا الكبير وفي عهد السنوسي . وفي عهد الحديوي عباس وفي عهد الملك فؤاد وفي عهد جلالة الملك فاروق . فالرجع اليه : نـ . ميلدالمزيد من البيان . وطول الطريق من مرسى مطروح إلى سيوة ٣٠٠ كيلو متر (٣٠٢ بالاضبط) تقطعها السيارات في عشر ساعات ويقطعها الهجين في خمسة ايام

الذى كان قائماً على ربوة اسمها الآن (يغورنى) وكان معبد آمون سيوه فرعاً من معبد آمون الكرنك .

راع الكهنة حضور الاسكندر المقدوني إلى واحة سيوه . وراعيهم تجشمه المشاق المائلة للوصول إليها . ولا سيما انه لم يسبق ان فرعوناً من فراعنة مصر حج الى سيوه (١) . ولما رأى الكهنة الاسكندر وجنده هرعوا اليه واستقبلوه استقبالاً رائعاً وأدخلوه المعبد . ثم تقدم اليه كبير الكهنة - وكان شيخاً فانياً يجيد اللغة اليونانية - وأحضر معه المعبود آمون وحيا الاسكندر باسم (ابن آمون) . ثم أدخله وحده داخل حجرة في المعبد . وفيها استوحى الاسكندر آمون رع . فأوحى اليه بما أوحى . وتقبل الاسكندر وحيه واستبشر . وذاع خبر الوحي وطبق الافاق . واعتقد الناس ان الإله آمون أخذ ابنه الاسكندر في رعايته وعنايته وكتب له النصر في جميع فتوحاته وغزواته . قد جاء المستقبل مصدقاً ومؤيداً لنبوءة آمون . مما حمل الاسكندر على

(١) لما غزا الفرس ديار مصر اراد قبض في سنة ٥٢٥ قبل الميلاد ان يستولى على واحة سيوه وان يهدم معبد امون . فدير عليها حملة قوية مؤلفة من ٥٠٠٠٠ مقاتل . ولكن طول الطريق وهبوب الذاريات ونفاد الماء حالت دون وصول جنده فهلكوا على بكرة ابيهم ولم يصل جندي واحد الى سيوه .

— في فبراير سنة ١٨٢٠ جرد محمد علي باشا الكبير حملة عسكرية لاحتلال واحة سيوه الفها من ١٣٠٠ جندي رأس عليهم حسن باشا الشهابي فاحتلت سيوه وضمتها الى مصر .

وقد صعب هذه الحملة العالم الفرنسي فريدريك كابو Frédéric Cailliaud الذي تخصص في علم المعادن وفي علم طبقات الارض . وبعد أن عاد من رحلته نديه محمد علي باشا الكبير لكشف مناجم الزمرد التي كان الفراعنة يستغلونها من جبل زاباره Zabarah . سافر إليها من ادفو واتجه الى شاطئ البحر الاحمر فعثر عليها في طريقه ووجدها كما تركها البطالة . وقد زار أيضاً الواحة الخارجة وعثر فيها على معابد أثرية لم يرها أحد من قبل . ثم رافق الحملة التي جردها محمد علي باشا الكبير لفتح السودان فزار حلفاء ودنقلة ومروا وواصل سيره الى ان وصل الى سنار . وقد التقى في طريقه (الالقصر) بمحمد علي باشا الكبير كما التقى في اسوان بسايمان باشا الفرنسي ألف عن رحلاته هذه مؤلفات عدة وصف فيها معابد بلاد النوبة وآثار الانعمر والعراة المدفونة كما نقل صورة من جدول فراعنة معمر في معبد رمسيس الثاني بالعراة المدفونة . وهذا الجدول — الفريد في نوعه — كان اشترام ميمو Mimaut قنصل فرنسا ثم باعه الانجليز في سنة ١٨٣٧ وهو يزين الآن المتحف البريطاني بلندن .

وقد رمت مصلحة الآثار المصرية المعبد الذي كان شيد داراً في واحة الخارجة . وكانت على وشك تجديد بمعد امون في واحة سيوه ولكن الحرب حالت دون ذلك .

أن يوصى بدفنه بعد موته في واحة سيوه في حضن أية المعبود آمون . وقد كتب الاسكندر إلى امه (اولمبياس) كتاباً قص عايلها فيه رحلته إلى واحة سيوه .
وها نص الحديث الذي دار بين كبير الكهنة والاسكندر على ما رواه بعض المؤرخين :

كبير الكهنة : السلام عليك يا بنى . تقبل هذا اللقب من الآله آمون .
الاسكندر : أتقبل هذا الاسم يا أبت ومن الآن سأسمى نفسى ابن آمون رع .
كبير الكهنة : تعال . أنت ابنى من صلبى . أحبك حباً جماً سيقى ما دام رع .
وسيقى ما لك وعزك ما دام هورو

الاسكندر : أسأل الآله رع أن ييسط سلطانى على المعمورة كلها وعلى الناس كافة وبعد أن انتهت رحلة واحة سيوه زایلها الاسكندر إلى منفيس من طريق واحة قارة ومنخفض القطار . فوصل إليها بعد مسيرة ١٨ يوماً . وفيها وجد وفوداً كثيرة وفدت من بلاد اليونان ومن تراقيا لتقدم له هدايا وشعائر الولاء والاحلاص . وقد أرسل إليه نائبه أنتيباتير Antipater الذى أقامه مقامه في مقدونيا ٤٠٠ من مشاة اليونان الصناديد و ٥٠٠ من فرسان تراقيا البواسل .

وقد انتهز الاسكندر فرصة وجوده في مصر وأرسل بعثة علمية إلى بلاد السودان لتكشف منابع النيل وتدرس أسباب فيضان النيل وتحاريقه . سافرت البعثة وبحث وحققت ودقت . فاهتدت إلى ان سبب فيضان النيل هبوط أمطار غزيرة تقي بلاد الحبشة . وقد سر أرسطاطاليس بنتيجة أبحاث البعثة . لأن علماء اليونان وغيرهم كانوا يجهلون سر هذه الظاهرة الطبيعية .

واسكندر الأكبر هو الذى أمر بحفر ترعة الاسكندرية ليوصل إليها المياه من النيل . لأن الماء القليل الذى كان يحصل عليه أهالى ضيعة راكوتيس - موضع كوم الشقافة الآن وهى الضيعة التى شيدت عليها مدينة الاسكندرية - ما كانت تكفى لسد حاجة سكان المدينة الجديدة . فأمر الاسكندر بحفر ترعة كبيرة تأخذ من فرع النيل الكانوبى عند مدينة شيدا - النشو البحرى الآن - راجع صحيفتى ٩ و ١٥ من كتاب « تاريخ خليج الاسكندرية القديم » للأستاذ الجليل عماد موسى - أما ترعة

المحمودية الموجودة الآن فأنشأها محمد علي باشا الكبير وسماها باسم الساطان محمود وهي تأخذ مياهها من فرع رشيد على مسافة ربع فرسخ من فوه . وقد استخدم محمد علي باشا لحفرها ٣١٣ ألف عامل .

وبعد موت الاسكندر - وفي زمن بطليموس فيلادلف - بُنى فنار الاسكندرية الذي عد أحدي عجائب الدنيا . وقد بناه المهندس سوسترات Sostrate وبلغت تكاليف بنائه ١٩٢٠٠٠ جنيه ذهب . وكلمة Phare (فنار) مشتقة من اسم جزيرة (فاروس) - رأس التين الآن - حيث شيد فيها الفنار .

أقام الاسكندر في مصر ستة أشهر^(١) وقبل أن يغادرها نصب اثنين من المصريين

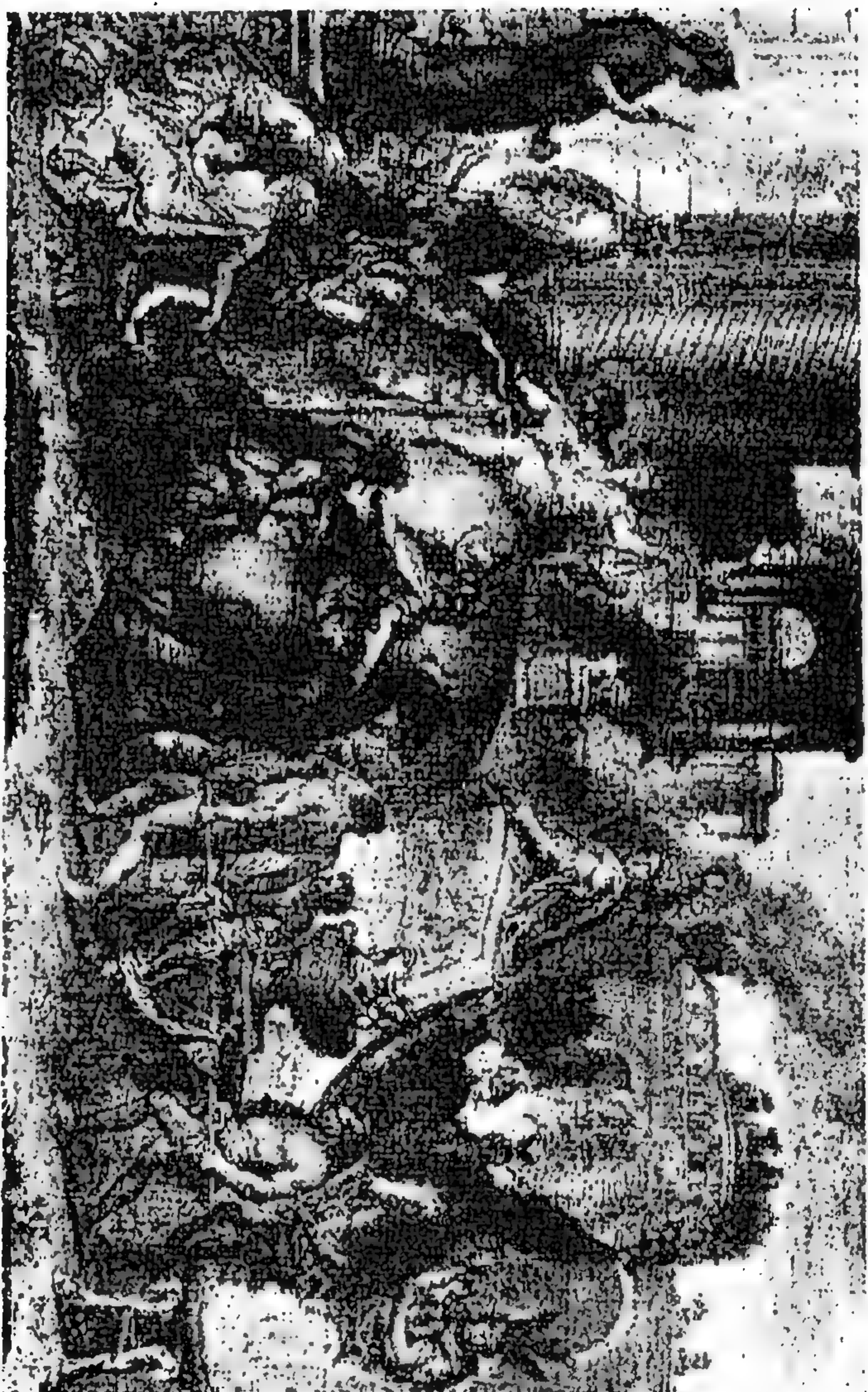
(١) فكر الاسكندر في اثناء وجوده في مصر في نقل عاصمة ملكه من مدينة بيللا (مقدونيا) الى الاسكندرية (مصر) . ولكن عدم اتمام تشييد مدينة الاسكندرية واضطراره الى مغادرة مصر لمحاربة الفرس حالا دون تنفيذ نيته .

ومآلة نقل عواصم البلاد من مكان الى مكان لها سوابق في التاريخ . فقد نقلت عاصمة روسيا من ليننجراد الى موسكو . ونقلت عاصمة تركيا من استانبول الى انقره . ونقلت عاصمة الهند في سنة ١٩١١ من كلكتا الى دلهي . وقد نقلت عاصمة مصر من طيبة الى تل العمارنة (في عهد أمينوفيس الرابع) ثم الى ممفيس ثم الى الاسكندرية ثم الى القاهرة . وفي خلال سنة ١٨٩١ - بعد الثورة الفرنسية بسنتين - فكر الفرنسيون الحوارج - لاستئالة المقاطعات الجنوبية من فرنسا اليهم - في نقل عاصمة فرنسا من باريس الى ليون . ونقلت عاصمة ايطاليا من ميلانو - وكان اتخذها نابليون عاصمة لـ إيطاليا - الى تورينو Turin ثم من تورينو الى فلورنسا ثم الى روما بعد ما نادى البرلمان الايطالي بفكتور ايمانويل ملكاً على ايطاليا في ١٤ مارس سنة ١٨٦١ . ولعل أهم حادثة في تاريخ نقل العواصم كان نقل عاصمة الامبراطورية الرومانية في سنة ٣٣٠ بعد ميلاد المسيح من روما - مدينة ريموس Remus ورومولس Romulus الى بيزانطة - التي سميت القسطنطينية باسم الامبراطور قسطنطين الذي اتخذها عاصمة لامبراطورية - وقد دامت حفلات الافراح ابتهاجاً بهذا النقل أربعة أيام بلياليها لم يُر ولم يُسمع بأهيج وأروع منها . لائن الامبراطور قسطنطين لبث خمس سنوات يبذل مجهوداً جباراً لتجميل وتوسيع المدينة وقد استخدم لتحقيق اغراضه ٤٠٠٠٠ عامل . فشيد القصور الفخمة والمباني الكبيرة والكنائس المدينة وشق الشوارع وبني الارصفة وأقام أقواس النصر والتاثل . ولزيادة تجميلها نقل اليها آثاراً كثيرة من روما ومن الاسكندرية ومن أثينا ومن أنطاكية كما نقل اليها آثاراً كثيرة من مدن آسيا الصغرى حتى جعل القسطنطينية أجمل مدينة في الشرق . ومن الكنائس الجميلة التي شيدتها كنيسة الرسل وقد جعلها مدفنًا للامبراطورة ولعل أهمها وأخفها كنيسة آيا صوفيا المشهورة . ولعل أغرب من هذا كله نقل مصر من آسيا الى أفريقيا إذ كانت مصر في قديم الزمان ممدودة جزءاً من آسيا ثم نقلت من آسيا وادخلت ضمن بلاد افريقيا - راجع كتاب المؤرخ Le Bas في التاريخ القديم جزء اول صحيفة ٤٧ .

- وهما بتيزيس Pétisis و دولواسبس Doloasps - على المصالح المدنية في القطر .
ونصب يونانياً اسمه أبولونيوس Appolonios حاكماً على منطقة الحدود الغربية (ليبيا)
ويونانياً مصرياً من مدينة تقاتيس اسمه كليومين Cléomène على منطقة الحدود الشرقية
(بلاد العرب) وعين اثنين من الضباط المقدونيين مساعدين للحاكمين المصريين .
ولما برح الاسكندر مصر قصد توأ فينيقيا (فلسطين الآن) وأقام في صور . وفي
أثناء زحفه وصل اليه خبر وفاة ستاتيرا زوجة دارا فحزن عليها وأمر بان تكون حفلة جنازتها
من الفخرومناروع ما يكون . علم وهو في صور أن دارا ملك الفرس يجهز جيشاً جرّاراً في
بابل . قدره بعض المؤرخين بستمئة الف جندي من المشاة واربعين الفاً من الفرسان
مزودين بمائتي مركبة حربية . واختار للملاقاة الاسكندر مهول اربل Arbèle على الضفة
اليسرى من الدجلة . زحف الاسكندر بجيشه وكان مؤلفاً من ٥٠.٠٠٠ مقاتل^(١) . مر ببلدة

(١) يذكرني تلاحم جيش جرار عدد المقاتلة فيه ٦٠.٠٠٠ بجيش عدد المقاتلة فيه
٥٠.٠٠٠ — أى أقل من العشر — بكلمة مأثورة عن أحد الضباط الفرنسيين شان جارينيه
Changarnier عند ما قاتل الفرنسيون مغاربة الجزائر في خلال سنة ١٨٣٦ أذ حدث أن أحاطت
قوة كبيرة من المغاربة بقوة صغيرة من الفرنسيين . فظن الفرنسيون أن قائدهم سيأمرهم
بالتقهقر أمام عدو يتفوق عليهم كثيراً في العدد . الا ان القائد قام فيهم خطيباً وقال « انظروا
امامكم . هم ٦٠٠٠ وانتم ٣٠٠ . فالتوتان متعادلتان . هلموا »

وتذكرني هذه الحادثة بحادثة أخرى مثلها . ذلك ان دارا الاول ملك الفرس كان أراد اخضاع
الاعريق فهزمه الاعريق في ثلاث وقائع فاعتناظ وحقد على الاعريق وآلى على نفسه ان يثأر
لنفسه ويسحقهم سحقاً . وبلغ من حقه أن اوصى خادمه بان يذكره كل يوم قبل تناول الطعام
بالاعريق ليزيد حقه حقداً وكراهيته كراهة . فكان يقول له الخادم : (يا سيد الاثام . تذكر
ما فعله الاعريق بك وبجيشك) . الا ان المنية عاجلت دارا قبل ان يأخذ بثأره . ولما خلفه
كزديس الاول Xersés I حاول تنفيذ نية سلفه بغزو بلاد اليونان بجيش جرار فقابله
الاعريق بعزم صادق وشجاعة نادرة . ومع انهم كانوا أقل عدداً منه بنسبة ١ إلى ١٠ فأنهم
هزموه أربع مرات شرّاً هزيمة ٣ مرات منها في البحر (واقعة سلامين Salamine وواقعة
ميكال Mycale وواقعة اوري ميدون Eurymédon) وفي البحر في واقعة بلاتيه Platie .
فلما فشل ثار عليه جنده وقتلوه . وكان اهم عوامل انتصار الاعريق — وهم القلة — على
الفرس — وهم الكثرة — صمود الاعريق لافرس في مضيق الترموبيل Thermopyles .
فان ٣٠٠ من جنود مدينة سبارطا (الاعريق) قاوموا وهم تحت أسرة ملكهم ليونيداس
Léonidas جيش الفرس وأوقفوا زحفه عدة ايام تمكن فيها الاعريق من تعبئة جميع
جنودهم . هلكوا جميعاً ولكنهم انقذوا وطنهم ومكنوا مواطنهم من كسر شوكة الفرس .
ولتخليد ذكرى هذه البطولة الرائعة وهذه التضحية الهائلة أقيم لهم أثر نقش عليه العبارة الالمانية :
(يا عابر هذا الطريق . اذهب وخبر ببارطة بان أبنائنا ضحوا بحياتهم هنا أطاعة لامرنا)



دخول اسکندر مدینه بابل

نصبيين ثم بمدينة نينوى (امام الموصل) واستمر زاحفاً إلى أن التقى بجيش الفرس في جوجاميل (شمال أربل) وفي أول مايو سنة ٣٣١ قبل الميلاد نشبت المعركة بين الجيشين بأشد ما يكون من العنف والاستبسال دكت منها الأرض دكاً . ولما رأى دارا أن الاسكندر يتولى قيادة الفياق الذي صوبه نحوه أوجس في نفسه خيفة وفر من الميدان وترك جنوده أشتاتاً فبطش بهم الاسكندر تلك البطشة الكبرى التي جعلتهم حصيداً خامدين^(١) .

اقتفى الاسكندر أثر دارا . ولكن دارا كان أسرع وهرول إلى بلاد الكرد فلم يتمكن الاسكندر من أسره . ولما بلغ الاسكندر مدينة أربل^(٢) وجد فيها كنوز دارا وكية هائلة من ذخائر الحرب فاستولى عليها كلها . ولما تقصص الولاية والامارة واستتب له الأمر لقب نفسه (ملك آسيا) . ثم سار بجيشه إلى أن وصل إلى بابل^(٣) . وقبل أن يدخلها مثل بين يديه حاكم القاعة والكهنة وأعيان ووجوه المدينة وقدموا له الطاعة وبايعوه (ملكاً على بابل) وبهذا انسلخت بابل من حكم الفرس . كما انسلخت مصر من قبل . ولكسب عطف رعاياه الجدد أمر الاسكندر بتجديد وتعمير جميع المعابد التي دمرها الفرس . وعلى الأخص معبد مردك .

(١) ومن الغريب أن بعض مؤرخي العرب كانوا يؤرخون الحوادث الكبيرة بتاريخ انتصار الاسكندر على دارا . نجد مثلاً المقرئ يقول في كتاب (امتاع الاسماع) صحيفة ٤ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد (سنة احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر ابن فيليب المجدوني على دارا وهي سنة الف وثلاثمائة وستة عشرة لا ابتداء ملك بختنصر وفي الصحيفة ٤٤ يقول وقيل دخل صلى الله عليه وسلم (المدينة سنة اربع وخمسين من طام النبل وهو اليوم العشرون من ايلول سنة ثلاث وثلثين وتسعمائة للاسكندر وهو الرابع من تيرماه وببدء تاريخ العام الهجري بالنسبة إلى السنة الميلادية يقع في يوم ٢٥ يونيه سنة ٦٢٢ .

(٢) فيها ولد القاضي بن خلكان ونسبه هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن ابراهيم بن ابى بكر الاربلى الشافعى . وهو من بيت كبير بأربل من مدد الوراق على الشاطيء الشرقى من نهر دجلة . قال عن نفسه في كتاب وفيات الاعيان انه ولد يوم الخميس حادى عشر ربيع الآخر سنة ٦٠٨ بمدينة أربل . وان والده كان يتولى التدريس بـ مدرسة الملك المعظم وتوفي في سنة ٦١٠ من الهجرة . وقد خرج من أربل سنة ٦٢٦ من الهجرة ودخل حلب واقام بها . واربل — او اربيل — اسمها مشتق من الكلمة الاشورية اربا ايلو ومعناها مدينة الالهة الاربعة . وقد ساعدت السلطان صلاح الدين الايوبي في حربه مع الصليبيين واشتركت معه في موقعة حطين التي انتصر فيها عليهم

(٣) وصفها بوسويه Bossuet اكبر خطباء رجال الدين بفرنسا بكلمة جامعة قال فيها :

“Babylone semblait née pour commander à toute la terre” .

ومعنا : كأن بابل خلقت لتحكم على العالم بأسره

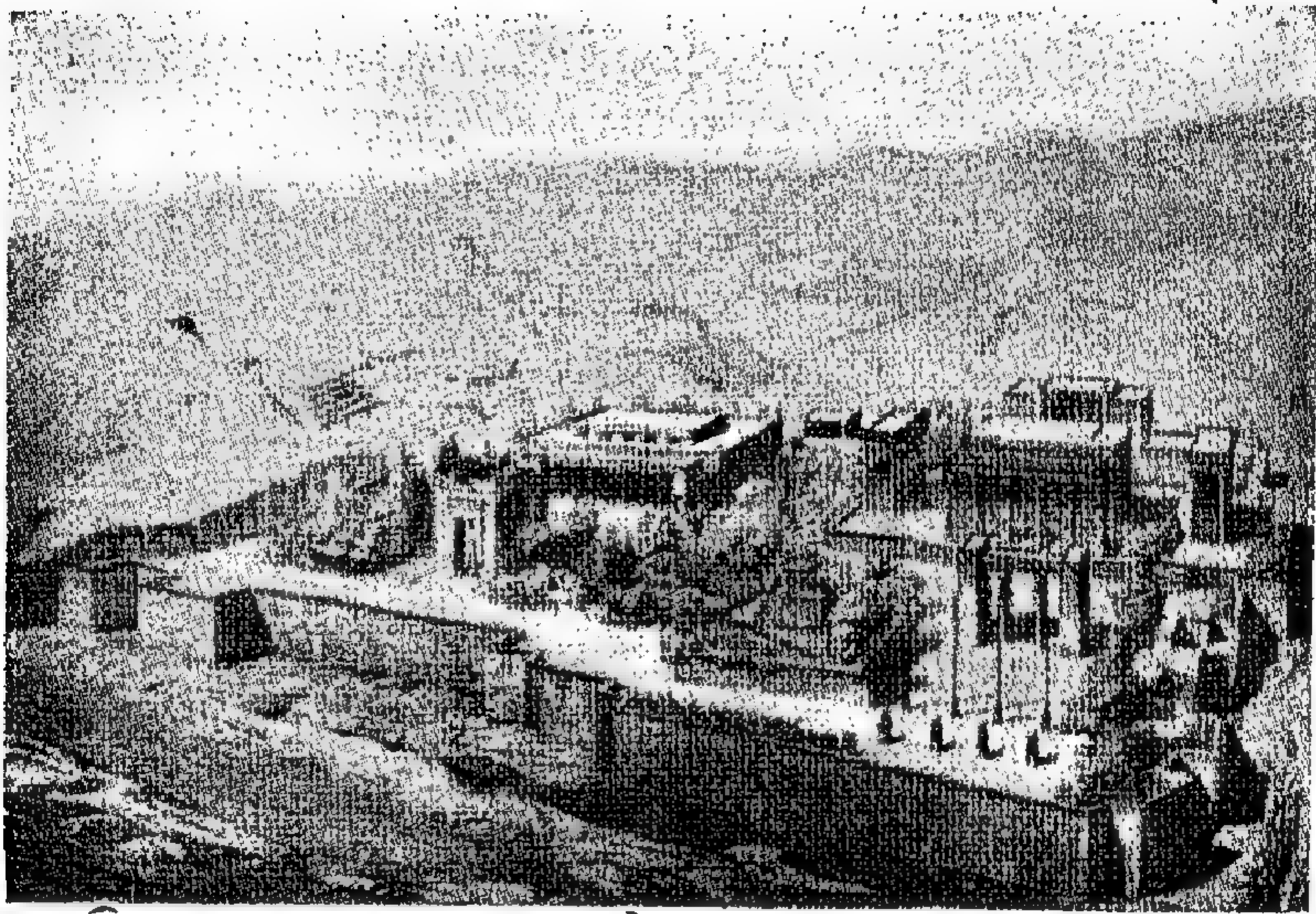
أقام الاسكندر شهراً في بابل ثم زحف بجيشه نحو الشرق . وفي أثناء زحفه مرّ على مدينة (الرّي) حيث أقام تسعة أيام (وقد شيد فيها سلويكوس الذي خاف اسكندر الاكبر - وكان أول ملوك عائلة السلويكوسيين - قصوراً فخمة وصارت الرّي في عهده مدينة زاهرة . إلا ان المغول غزوها في خلال سنة ١٢٢١ ودمروها وجعلوها عاليها سافلها . وقد فتحها العرب في السنة الثانية والعشرين من الهجرة - سنة ٦٤٣ ميلادية - في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب . فسار المسلمون تحت قيادة نعيم لقتال الفرس فهزمهم وأسروا قائد الفرس اسفندياز . وبعد أن فتح العرب «الرّي» بسطوا سلطانهم على طبرستان وجرجان وما إليها . والرّي بلد من بلاد الديلم من العراق العجمي على بعد خمسة كيلو مترات من طهران وكانت مدينة من أمهات البلاد . قال الاصطخرى انها كانت اكبر من اصبهان

وبعد مسيرة ٣٠ يوماً وصل الاسكندر إلى مدينة «سوس» ^(١) Suzo حاضرة الأخمينيين (وبالفارسية هخامنشي) وفيها وجد الخزان عامة بسبائك وافرة من الذهب والفضة قوتها المؤرخون بأربعمائة مليون من جنيهاات اليوم .

وبعد ما استولى الاسكندر على «سوس» زحف واستمر زاحفاً إلى أن عبر نهر الأراكس Araxe (واسمه الآن الكر أو الكور) ووالى سيره إلى أن بلغ بازارجاد ^(٢)

(١) في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب وفي السنة الحادية والعشرين من الهجرة فتح العرب «سوس» وكان في سوس جسد النبي دانيال وقيل ان اسمه « قاضي الله » . وفي معجم البلدان تحت نهر هو الذي نقل جثمان النبي دانيال الى سوس لما فتح بيت المقدس . وقد سهل للعرب فتح السوس انتصارهم في موقعة نهاوند . ونهاوند هذه كانت مدينة عظيمة بينها وبين همدان ثلاثة ايام . وكان عدد جيش المسلمين في موقعة نهاوند ٣٠٠.٠٠٠ تحت إمرة النعمان وعدد الفرس ١٥٠.٠٠٠ تحت قيادة الفيرزان قتل منهم في ساحة الحرب ٣٠.٠٠٠ وفر الباقون الى الجبال المجاورة وهناك قتل منهم ٨٠.٠٠٠ وفر الفيرزان الى همدان . وما ماورد في تاريخ الطبري عن هذه الموقعة : (وحمل النعمان وحمل الناس وراية النعمان تنفض نحوهم انقضاض العقاب . والنعمان معلم ببياض القباء والقانسوة . فاقتتلوا بالسيوف قتالا شديداً ولم يسمم السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها فقتلوا فيها من اهل فارس في ما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركة وما يلقى الناس والدواب فيه واصيب فرسان من فرسان المسلمين في الزلق في الدماء . فزلق فرسان النعمان في الدماء فصرعه واصيب النعمان حين زلق به فرسه وصرع) وكان المسلمون يسمون فتح نهاوند «فتح الفتوح» لانه لم يبق للفرس بعد هذه الواقعة قائمة . (وبعد ذلك استولى المسلمون على همدان).

(٢) وبازرجاد هذه فيها قبر قورش Cyrus ملك الفرس ومحاربا الآن مدينة فازا Pasa حيث توجد آثار قديمة في الحدود الفاصلة بين ولاية فارس وولاية كارمان .



قصر الملك دارا والملك كزر كسيس في برسبوليس

(الآن مشاد مراب) . وكان كسرى الأول ملك الفرس اتخذها مركزاً وشيد فيها القصور الفخمة . ومنها تابع سيره إلى أن وصل إلى برسبوليس Persépolis^(١) (ويسمى بالعرب اصطخر واسمها الآن تخت جمشيد على مقربة من شيراز^(٢) . ويفصلها نهر الكور

(١) و برسبوليس هذه واقعة في هضبة تسمى الآن مردشت يجري من تحتها نهر الآركس (الكور أو بندير) . أسسها قورش Cyrus ملك الفرس واتخذها الساسانيون مقراً لهم . كما اتخذها أمراء العرب من بعدهم مقراً لحكمهم . واسمها الافرنجي أو الاغريق « برسبوليس » معناه مدينة الفرس أما اسمها الفارسي تخت جمشيد فعناه عرش جمشيد والفرس يسمون الخرائب الباقية من آثارها تشيل مينار ومعناها « الاريمون عموداً » .

(٢) ولد ابن سينا في خلال سنة ٣٧٠ من الهجرة بمجوار شيراز وشيراز هي مسقط رأس السعدي (مشرف الدين سعدى بن صالح الدين عبد الله) وحافظ من فحول شعراء الفرس . حافظ ولد في سنة ١١٨٤ وتوفي في سنة ١٢٨٢ . وقد وصفه أحد الكتاب الفرنسيين بكلمة جامعة قال فيها

" La plus noble figure de ce qu'on peut appeler l'humanisme persan." وهو صاحب الالياذة الفارسية (كلستان) وصاحب المنظومة الاخرى (البستان) وقد عاش السعدي في زمن هولاكو (الذي بعد ماغزا من البلاد ماغزا لقب نفسه « ملك الدنيا » وقد ساح السعد كثيراً . فزار مكة ١٤ مرة وطاف في مصر وفي الحبشة وفي الاناضول وفي ارمينيا . وقد وصفت به الحال الى انه كان حماراً في الاستانة وحملاً في القدس وكنثاساً في انطاكية وطرابلس (في زمن الصليبيين) . وقد اشتراه تولى من حلب بمائة دينار وزوجه بنته ولما أعتقه سافر الى تركستان وافغانستان والهند وفيها درس دين البراهمة . قال شيرازي لمصرى « لما كانت شيراز شيراز كانت القاهرة كورة »

والفردوسي — ويسمونه هوميروس الفرس — ولد في طوس في خلال سنة ٩٣٢ بمجوار مدينة مشهد . وهو الذي نظم الالياذة الفارسية الاخرى التي يسمونها « الشاهنامه » من ٦٠٠٠٠ بيت . أتمها في سنة ١٠١٠ بعد مجمود دام ٣٥ سنة وأهداها الى السلطان محمود التزنوي ومنعها تاريخ الايرانيين والطورانيين والساسانيين وعطف فيها على اسكندر الاكبر . وقد نقلها الى اللغة العربية أحد ادباء الاقدمين (البنداري) وراجعها وضبطها الدكتور عبد الوهاب عزام . وقد توفي الفردوسي محرراً في سنة ١٠٢٠ ودفن في طوس وقد احتفل بمرور ١٠٠٠ سنة على ميلاده وشيد له بهذه المناسبة قبر عظيم . ويوجد في طهران شارع كبير اسمه : شارع الفردوسي . ومثله الامام محمد احمد الغزالي فقد ولد في طوس هو ايضاً في سنة ٤٥٠ من الهجرة (١٠٥٨ ميلادية) . اما عمر الحيام فولد في نيسابور في اقليم خراسان وعلى بعد ٧٣ كيلو متراً من مشهد . وقد دمرها الاسكندر ثم عمرها سابور الاول . واتخذها الساجوقيون عاصمة لهم . اما عمر الحيام فقد ولد في نيسابور في سنة ١٠٤٠ وتوفي فيها في سنة ١١٢٤ (سنة ٥١٧ من الهجرة) وهو صاحب « الرباعيات » الشهورة . وقد ترجمت الى اللغة الانجليزية والى اللغة الفرنسية . وعلى ذكر قبور المعطاء نقول : على مقربة من بغداد توجد « الاعظمية » حيث يوجد قبر الامام « الاعظم » ابي حنيفة النعمان ولهذا سميت « بالاعظمية »

وبلاد الفرس الآن مقاطعة من ايران . فيها مدينة برسبوليس وبازار جاد وشاهبور وفيروز آباد (بلد الفيروز آبادي) .

أو الكر (Araxe) وكانت من أجل مدن العالم في ذلك الوقت وقد وصفها أحد الكتاب فقال أنها كانت :

" l'une des grandes merveilles classiques de la terre "

وكان ملك الفرس كزر كس Xerxés (وبالفارسية خشايارت) قد شيد فيها قصوراً فخمة ومباني غاية في الأبهة . فلينتقم الاسكندر منه - لأن سلفه كزر كسيس سبق أن أحرق مدينة أثينا Athènes وكثيراً من المدن اليونانية - أمر باحراق مدينة برسبوليس من أهلها إلى آخرها جزاء وفاقاً ونكالاً لما بين يديها وما خلفها . فأحرقها وتركها قاعاً صفصفاً لا دار فيها ولا ديار . قاصداً بذلك أن يمحو من الوجود ذكر ملك الفرس كزر كس . وقبل أن يحرقها عمل بقول من قال (من عزب) أي من غلب أخذ السلب . فسلب جميع الأموال التي كان جمعها فيها ملوك الفرس . وكانت قيمتها تبلغ في ذلك الوقت ١٢٠٠٠٠٠ تالنت أي ما يعادل ٢٨ مليون جنيه انجائيزى ذهباً . واستولى أيضاً في مدينة بازارجاد Pasargade على أموال مكنوزة قدرت بمبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه ذهباً .

وفي ربيع سنة ٣٣٠ زحف الاسكندر بجيشه واستولى على آخر عاصمة للفرس هي مدينة أباتان (ومحليها الآن همدان ومنها بديع الزمان الهمداني ومهران الهمداني) (١). أراد الاسكندر أن يقطع دابر دارا . فعزم على مطاردته إلى أن يقبض عليه . إلا أن بسوس Bessus حاكم ولاية باكتريان (بخارى) - وهو الذي غصب فيما بعد عرش الفرس وسمى نفسه أرتا كزر كس Artaxersès (وبالفارسية أرتخشيرشا . وقد ذكر في الشاهنامه باسم اردشير) اعتقله وقبل أن يدركه الاسكندر قتله . فلما وصل الاسكندر إلى باكتريان لم يجد امامه إلا جثة هامدة . فأمر بدفنه في برسبوليس في مدافن آباءه وأجداده باحتفال عظيم يليق بمقامه . ولا تزال آثار قبره موجودة حتى الآن في تخش رستانم (ضواحي برسبوليس) ويصفها مؤرخو الافرنج بقولهم أنها كانت :

le Reims ou le Westminster des Achéménides

(١) استولى العرب على همدان في السنة الحادية والعشرين من الهجرة في عهد خلافة سيدنا عمر بن الخطاب
توفي ابن سينا في همدان سنة ٤٢٨ من الهجرة (١٠٣٦ ميلادية)

ويقولون عنها أيضاً أنها كانت :

" la plus opulente ville qu'il y eut sous le soleil "

أي أغنى مدينة وجدت تحت الشمس. وكان عمر دارا وقت قتله ٥٠ سنة. وقد قتل في شهر يولييه سنة ٣٣٠. وكان آخر ملوك عائلة الاخمينيين ^(١) وكان عددهم ١٣ ملكاً حكموا ٢٠٩ سنة. وكان ملكهم يمتد - على حد تعبير احد ملوكهم - من البلاد التي ليا إليها قرأ إلى البلاد التي ليا إليها حر .

(١) وليلاحظ ان دارا الذي حاربه الاسكندر هو دارا الثالث وكان اسمه كودومان وهو ليس من سلالة الملوك . أما دارا الاول فهو الذي خاف قمبيز وكان قبل أن يستوى على عرش الفرس حاكماً على مقاطعة هيركاني (مازندران وجرجان اليوم) فلما علم ان قمبيز رجع الى سوريا خائباً من غزو مصر وأن معظم جيته هلك ادعى انه سميرديس أخو قمبيز - وكان قمبيز قتل اخاه قبل أن يبارح بلاد المعجم لغزو مصر - فلما اتصل قمبيز بخبر اعتلاء سميرديس الكاذب على عرش المعجم انتحى من فرط غيظه . ولما اعتلى سميرديس الكاذب عرش المعجم سمي نفسه دارا الاول . وكان دارا الاول رجلاً طامعاً طامعاً اشتبك مع أعدائه في ١٩ موقعة وبسط سلطانه على بلاد الميديين واللميين والبابليين والارمن والسكرجستان ومازندران وجرجان وبخارى وجميع البلاد الواقعة جنوب بحر قزوين (ومنها المدائن طيسفون Ctésiphon والري Raghés وهمدان) وكان يصف نفسه هكذا (انا دارا . الملك المعظم . ملك الملوك . ملك جميع البلاد التي تتكلم جميع اللغات . ملك البلاد الشاسعة . انا من الاخمينيين . فارسي . من ابناء فارس . ومن اصل آري) وقد زار مصر في خلال سنة ٥١٧ قبل الميلاد وبعدها ببنتين - اي في سنة ٥١٥ - عبر الدردنيل ودخل بلاد تراقيا ووصل الى نهر الدانوب . ولما قتل راجعاً أخضع تراقيا ومقدونيا . وفي سنة ٥١٢ جهز جيشاً غزاه به بلاد البنجاب (في الهند) وأنشأ اسطولاً ضخماً رأس عليه الاميرال سكيلاكس . فطاف الاسطول سواحل بلاد بلوشستان والخليج الفارسي (كما فعل من بعده نيارك اميرال اسكندر الاكبر) ولما ثارت عليه بلاد اليونان جهز اسطولاً من ٦٠٠ سفينة نقلت ٤٠٠٠٠ جندي فارسي انزلتهم في خليج ماراثون Murathon على مقربة من أثينا وفيه التقى جيش الاغريق وكان عدده ٣٠٠٠٠ مقاتل بجيش الفرس فانتصر الاغريق ومزقوا جيش دارا كل ممزق . اراد دارا أن يثار لنفسه فلبث ثلاث سنوات يجهز جيشاً قوياً زوده بجميع معدات القتال . ومن أجل هذا سافر الى مصر وليث فيها زمناً ثم فيه حفر القنال الذي يوصل النيل بالبحر الاحمر وهو القنال الذي افتتحه من قبل سبتي الاول فرعون مصر في خلال سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد وواصل به البحر الاحمر بالبحر الابيض . ويوجد بمتحف شركة قنال السويس شواخص حجرية هي الشواخص التي كان دارا قد اقامها تخليداً لذكري حفر القنال . ولما تم تجهيز الجيش الذي أعده دارا لغزو بلاد اليونان شبت ثورة في مصر . ومات دارا في السنة نفسها خلفه كركسيس Xersés ابن اخي (او ابن اخت) قمبيز .

يقول شاعرنا العربي : « ان الطعام يقوى شهوة النهم » *L'appétit vient en mangeant* .
فلما رأى الاسكندر أن البلاد التي أخضعها تخضع له بلا مقاومة زحف واجتاز جبال
البرز واستولى على البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين . فاستولى على بخارى
وتركستان وأفغانستان وبلوخستان . وأسس ثلاث مدن سماها (اسكندرية) . الاولى
وتسمى الآن هرات Hérat في مقاطعة خراسان ^(١) . والثانية في جنوب هندكوش
(وهي الآن قندهار) . والثالثة في بلاد القوقاز ^(٢) (وهي المدينة الثالثة عشرة التي

(١) في خلال القرن الثالث عشر سقطت هرات هذه في ايدي جنكزخان . وبعد ١٥٠ سنة
غزاها تيمورلنك وجعلها حاضرة احدى مقاطعات سلطنته .
ومن الاقوال المأثورة عن نادرشاه احد ملوك الفرس قوله (ان خراسان سيف المعجم
ومن ملك هرات ملك قبضة سيف المعجم)
ومن طراز تيمورلنك وجنكزخان الطاقية هولاء الذي بسط هو الآخر سيطرته على
بلاد المعجم وسوريا والعراق والناضول وعلى جميع بلاد آسيا وغزا الهند وروسيا واحتل موسكو
ونقل عاصمة مملكة تبريز ولقب نفسه (ملك الدنيا) . وقد تولى من سنة ١٢٥٦ الى سنة ١٢٦٥ .
ولعله قرأ او سمع ان الاسكندر لقب نفسه (ملك آسيا) فاراد ان يسمو عليه فلقب
نفسه (ملك الدنيا) . ومن قبل اقتدت كليوباترة ملكة مصر بالاسكندر (ملك آسيا)
فضمت الى القابها الاصلية لقب (ملكة افريقيا) . فصارت ملكة مصر وافريقيا وقبرص
وسوريا . وقد حذت حذوهم ايرين Irène امبراطورة الشرق . اذ ارادت بسط سلطانها على
الشرق والغرب معاً لتكون (امبراطورة أوروبا) فانهزت فرصة تتويج شارلمان Charlemagne
في خلال سنة ٨٠٠ في كنيسة ماري بطرس بروما ومبايعته امبراطوراً على الغرب وجهزت
بعثة مؤلفة من وزراء وقواد وكهنة ووجوه واعيان البلد ومن بعض ذوي قرايتها لتمرص
على شارلمان امبراطور الغرب ان يتزوجها لتكون امبراطورة الشرق والغرب معاً . ومن
سخرية القدر انه بينما كانت تفكر الامبراطورة ايرين في بسط سلطانها على الشرق والغرب
معاً كان أحد وزرائها نيسيفور — Nicéphore — قد ائتمر عليها لخلعها وأحل نفسه محلها ونصب
نفسه في خلال سنة ٨٠٢ ميلادية امبراطوراً على الشرق في كنيسة آيا صوفيا المشهورة في بيزانطة
وامام الاثمن الواقع غادرت الامبراطورة ايرين بيزنطة واقامت في جزيرة الامراء ثم انتقلت
الى جزيرة لسبوس Lesbos حيث توفيت .

(٢) ضم الاسكندر جنوب القوقاز (قافقاسيا) والكرج الى امبراطوريته وانصب
يازون حاكماً على جورجستان ليعاين يازون أن يتيسر عقيدة أهل البلاد من عبادة الكواكب
الى عبادة الاصنام الا ان ثورة شبت وظهر من بين الكرج رجلاً اسمه « فارنواز » دعاهم الى
الاتحاد وجعل يث فيهم روح الحرية والاستقلال وحب الوطن ويشمل في نفوسهم نار الحق
ضد الفاسبين حتى نجح في دعوته فالتف الناس حوله والى منهم جيشاً جراراً استعان به على طرد
الافريق من بلاده ثم بويع ملكاً على جورجستان المتحدة

سميت « الاسكندرية » باسم الاسكندر) .

انتهز الاسكندر فرصة وجوده في البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين
وجرد حملة عسكرية ليدرس طبيعة بحر قزوين وتعرف ان كانت هذا البحر
يتصل بالأوقيانوس أو هو بحر قائم بنفسه في وسط البلاد المحيطة به .

علم الاسكندر في آخر صيف سنة ٣٣٠ أن بسوس Bessus نصب نفسه (ملكاً
على آسيا) باسم ارتاكزركسيس Artaxersès فوالى الاسكندر مطاردته إلى أن قبض
عليه بطليموس أحد قواد الاسكندر (وهو الذى أسس في مصر بعد موت الاسكندر
دولة البطالسة ونودي به ملكاً على مصر^(١)) فأمر الاسكندر بجذع انفه وصلى اذنيه
ثم أرسله إلى همدان حيث أعدم صلباً .^(٢)

استمر الاسكندر في زحفه إلى أن وصل إلى مدينة « سمرقند » وبوصوله إلى نهر
ياكزارت (سردارية الآن) بلغ أقصى حدود بلاد الفرس من جهة الشمال الشرقى .

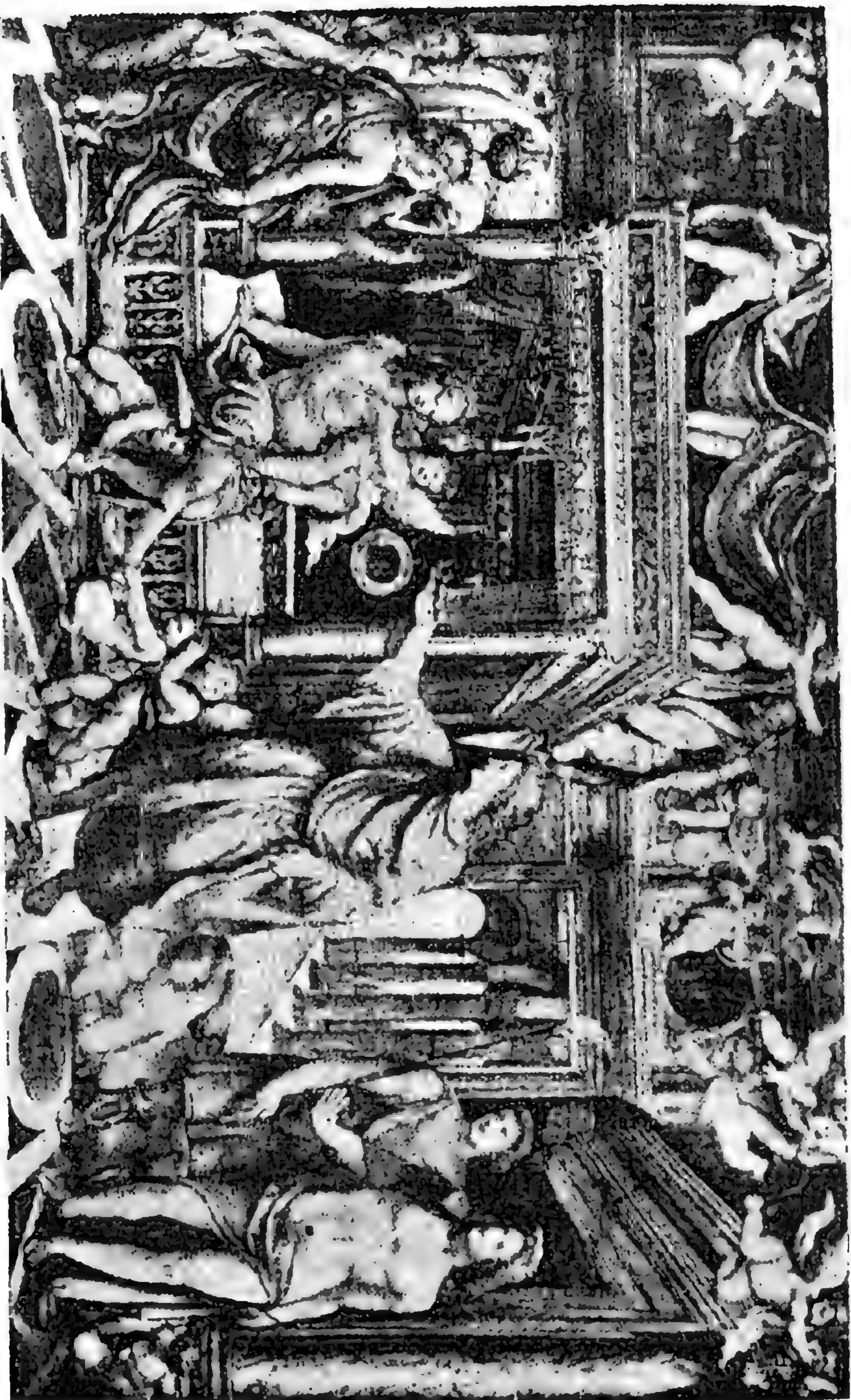
(١) وقد دام حكم البطالسة على مصر ٢٩٣ سنة انتهت بانتهاء حياة كايوبطرة ملكة مصر
(٢) بلاد المعجم من البلاد المنكوبة بكثرة غزوها . مثلاً كمثل جميع البلاد التي تقع
في منترق الطرق . غزاها الطورانيون والآريون والمندونيون والعرب والمغول والتك والروس
والافغان . والمدة التي قضتها بلاد المعجم تحت حكم الغزاة كانت أطول من المدة التي قضتها تحت
حكم الفرس أنفسهم . في خلال ثلاثة آلاف سنة حكمها الفرس ٨٢٥ سنة فقط وحكمها الاجنبي
٢١٧٥ سنة . وقد سميت بلاد الفرس الآن (ايران) وشعار الايرانيين الآن هو (ايران
للايرانيين . نحن ايرانيون . وسابق دائماً ايرانيين في أفكارنا وفي تفكيرنا ولا نقبل اكراهاً
في عقائدنا ولا في آدابنا) . والحديث عن ايران وكثرة غزوها يسوقنا - والحديث ذو شجون -
إلى الكلام على بتول ايران الذى اتجهت إليه انظار العالم وأصبح الآن « عصب الحرب » ففي
سنة ١٨١٣ انتزعت روسيا من فتح علي شاه معاهدة كلستان وفيها تنازل الشاه عن بلاد الكورج
وداغستان وشروان ومجرى ومنها باكو الغنية بآبار البترول الشهيرة . ووقت عقد هذه المعاهدة
لم تكن روسيا ولا غيرها من الدول تقدر أهمية آبار البترول ولما علم قيصر روسيا أن الحان كان
يستغل البترول بكمية قليلة من هذه البلاد استشار أعضاء الجمع العلمى في سان بطرسبورج عاصمة
روسيا عن ماهية هذا البترول ونفعه فسافروا وعاینوا وحققوا ودققوا ثم رفعوا تقريراً إلى القيصر
قالوا فيه : (إن البترول سائل معدني ذو رائحة كريهة لا ينتفع به أبداً) - فتأمل .

وفيهما أسس مدينة جديدة سماها اسكندرية القصوى (وهي الآن خودشنت) . (١)
وهنا حدث حادث كانت له أهمية خاصة في حياة الاسكندر . ذلك ان أحد
قواد ارتاكزركسيس Artaxersès واسمه الأمير أوكسيارت Oxyarte اعتصم بقلعة
حصينة اسمها قلعة ارياماز مشيدة في وسط البلاد الواقعة بين بخارى وبلاد افغانستان .
فلما وصل الاسكندر اليها حاصرها ثم طلب من الأمير التسليم فأبى وتحداه . فأمر
الاسكندر جنده بتساق جدران القلعة . ووعد من يفوز منهم بمكافأة مالية كبيرة .
وما هي إلا لحظة حتى وثبت الرجال من اماكنهم كالأسود الضارية وتسلقوا القلعة
في جوف الليل . ولما يئس المحاصرون من المقاومة ساءوا .

كان من بين الأسرى روكسان Roxane بنت الأمير أوكسيارت . وكانت
ناهدة الدين . لطيفة الخصر والقدمين . غضة بضة كأنها سبيكة فضة . وكأن عينيها
كوكبان دريان . ويقال انها وماتيرا زوجة دارا كانتا أجمل نساء الفرس . فلما رآها
الاسكندر هام بها . وأصاب حبها شغاف قلبه . ورغب في الزواج منها . وقد تمت
حفلة زواجه بها في قلعة خوريين Choriène التي سلمت بعد ما سلمت قلعة ارياماز .
وكان زواج الاسكندر بروكسان حسب العوائد والتقاليد الايرانية . ومنها انهم
استحضروا رغيفاً شطره الاسكندر بسيغه شطرين (ولا تزال هذه العادة متبعة عند
أهالي تركستان حتى اليوم)

بعد زواج الاسكندر . وبعد بلوغه ذروة المجد العسكري . وبعد أن بسط سلطانه على
جميع البلاد الواقعة بين البحر الأبيض وحدود الهند . دبرت مؤامرة لاغتياله . وكان من
المؤتمرين به ليقتلوه فيلوتاس من أعظم قواده وأبوه بارمينيون أكبر قواده وعمره
٧٠ سنة . حاكهما الاسكندر أمام مجلس عسكري . والمجلس حكم عليهما بالاعدام .
وقد حدثت حادثة ثالثة فرح لها قلبه من الحزن . ذلك أن الاسكندر كان أقام

(١) « خودشنت » هذه مشهورة في التاريخ الحديث بأستيلاء الروس عليها بين سنتي
١٨٦٠ و ١٨٦٤ عند ما غزت تركستان . فبدأت روسيا بأخضاع ولاية خوكند وأحتلت
مدنها الكبيرة تاشكند و خودشنت (مدينة الاسكندر) ثم طامت وزحفت واستولت على بخارى
ومهرقند وخجوه ومرو (بين بلخ وهرات)



زواج اسکندر بروکسان

حفلة في سمرقند دعا إليها مملوكه وخواصه وكان من بينهم صديقه الحميم كليتوس Clitus (واسكندر مدين له بحياته إذ ألقاه من الموت في موقعة الجرانيك وهي أول موقعة نشبت بينه وبين جيش دارا) وفي أثناء الحفلة وكانت الخمر قد لعبت بالرؤوس - والخمر جماع الاثم - تبادل الاسكندر وكليتوس الكلام بشدة وعنف ، فاض صدر الاسكندر من الغيظ وظن أن هناك مؤامرة أخرى مدبرة لاغتياله . فثار ثأره وأفرط بيده إلى سيفه ليستله ثم طعن صديقه طعنة أطارت عظامه فضاضاً ، ولما تنفس الصبح وأفاق الاسكندر من سكرته وعرف ما جنته يده انفجر باكياً . وغشيه همٌّ وغم . لأن موت كليتوس كان ثلعة في الجيش لا ترتق . اعتكف الاسكندر في كن بيته لا يكلم الناس ثلاثة أيام وثلاثة ليال سوياً . اضرب فيها عن الأكل والشرب واحتجب عن خلائه وسجرائه . هذا ولما وصل الاسكندر إلى حدود الهند دفعه زهوّه وحب الاستطلاع إلى غزو بلاد الهند . وكان قد سمع الشيء الكثير عن غنى أمرائها . فأراد من جهة اخضاعها لسلطانه ومن جهة أخرى معرفة تلك البلاد الدائية التي روى له عنها الرواة كل عجيب وغريب . وقد اتخذ غزو الهند ذريعة لحث البعثة العلمية التي تصاحبه على درس جغرافية هذه البلاد ودرس نباتاتها وحيواناتها ودياناتها وعاداتها وكل ما يهم العلم . وعرفه عنها . ففي سنة ٣٢٧ قبل الميلاد برح الاسكندر بلاد باختر ^(١) Bactriaue وبرفقته زوجته

(١) وباختر Bactres هذه يسميها العرب بلخ وهي بلد جلال الدين الرومي ولد فيها في سنة ١٢٠٣ ميلادية وتوفي في سنة ١٢٧٢ وهو مؤسس مذهب المولوية وله منظومة شهيرة يبلغ عدد آياتها ٤٠٠٠٠ ترجمت إلى اللغة التركية وطبعت في عهد محمد علي باشا الكبير في مطبعة بولاق سنة ١٨٢٦ وقد ترجمها إلى اللغة الألمانية روزر Roser وطبعت الترجمة في مدينة لايبزغ Leipzig في سنة ١٨٤٩

و « بلخ » مشهورة في التاريخ بمحاذنة من اغرب الحوادث . ذلك ان نينوس Ninus مؤسس مملكة اشور استعان بالعرب لغزو البلاد الواقعة شرق بلاده وغربها . وبعد ما دواخ بلاداً كثيرة وغزا ارمينيا صمدت « بلخ » أمام جيوشه الجرارة وعجز عن فتحها . فدفرت سيميراميس Sémiramis زوجة اونيس Onnès احد ضباطه وسيلة للاستيلاء على « بلخ » ذلك انها لاحظت ان اهالي بلخ وجهوا همهم للدفاع عن اسوار المدينة واهملوا القلعة المشرفة على المدينة اعتقاداً منهم بان القلعة حصينة منيعة امنع من عقاب الجو لانها مبنية على صخرة عالية فاستعملت سيميراميس حيلة للاستيلاء عليها واستولت عليها بالفعل — فاضطر اهالي بلخ إلى التسليم . فن فرط اعجاب الملك بمهارتها واعترافاً بفضلها تزوجها . وبعد موت الملك

الأميرة روكسان (وقد ولدت له ولدًا في السنة التالية . ولكنه مات وهو صغير) .
وبعد أن اجتاز وادي كابول دارت بين الاسكندر والهنود معارك عدة جرح
الاسكندر في احدها كما جرح بطليموس . وفي أثناء زحفه استولى على قلعة ماساجا
Massaga الحصينة . ثم اجتاز وادي (بشاور) واستولى على سلسلة جبال بيرسار ثم
اجتاز نهر أورنوس Ornos إلى أن بلغ بلاد البنجاب . ثم عبر نهر الهندوس في ربيع
٣٢٦ والتقى بأمراء الهند على نهر هيداسب . دارت رحى المعركة بأشد ما يكون من
الهلول . وفيها انتصر الاسكندر على الهنود انتصاراً مبيناً . وسلم الملك بوروس Porus
نفسه إلى الاسكندر^(١) . ولما سأله الاسكندر كيف يريد أن يعامل أجابه بأنه يريد أن
يعامل معاملة الملوك . فأجابه الاسكندر إلى طلبه . وعامله معاملة الملوك . وكانت هذه
المعاملة أساس صداقة متينة بينهما . وقد أسس الاسكندر في المنطقة التي حصلت فيها
الموقعة مدينتين سمى الأولى Nicée (أي المنصورة) والثانية بوسيفالي Bucephalie
باسم جواده المشهور Bucephale . ولما أراد الاسكندر التوغل في بلاد الهند تذر
الجند ورفضوا المسير وقالوا ان الحرب أضنتهم وأنهم يودون العودة إلى بلادهم .
وكانوا قد قطعوا في ثمانى سنوات ونصف سنة - من يوم أن زابلوا وطنهم ووصلوا إلى

نيدوس — في سنة ١١٩٦ قبل الميلاد — استوت هي على عرش مملكة بابل ثم طمعت وغزت
أرمينيا وجميع البلاد الواقعة على بحر قزوين وعلى بلاد كثيرة من بلاد آسيا الغربية كما مدت
فتوحاتها إلى مصر وليبيا وأثيوبيا . وكان في نيتها غزو بلاد الهند أيضاً وقد اشتهرت سيميراميس
بالاعمال العظيمة التي عماتها على ضفتي الفرات لتجميل وتوسيع مدينة بابل عاصمة الاشوريين . وبلغت
من العظمة والمجد شأواً كبيراً حتى ان فولتير Voltaire فيلسوف فرنسا الشهير لما اراد مدح
إمبراطورة روسيا كاترين الثانية زوجة بطرس الاكبر — سمّاها سيميراميس الشمال
La Sémiramis du Nord ويروي ان حياتها انتهت بمأساة من افطم الماكي أذ راحت ضحية
طمع أبنا نينياس Ninias الذي طمع في الملك فاعتالاه في خلال سنة ١١٧٩ قبل الميلاد واستوى
هو على العرش من بعدها .

(١) كان جيش بوروس مؤلفاً من ٣٠٠٠٠ مقاتل و ٣٠٠٠ مركبة يؤيدها ٣٥ فيلا
من كبار الفيلة يراها الجندي المقدوني فتتهل له كأنها قلاع متحركة

الهند - ١٨٠٠٠ كيلو متر^(١) وزادهم تصميماً على رفض السير أن مطراً لا يفيض استمر
يطل عليهم ٧٠ يوماً حتى أنهم قواهم المادية والمعنوية . ولتخليد ذكرى وصول
الاسكندر إلى الهند شيد ١٢ معبدآ في شكل أبراج .

ولكسب عطفه ورضاه خطا بعض الجند نحوه وعرتوا أجسامهم وأبانوا له جروحهم
وهزالهم . ولما ذكرهم بما غنموه من الأموال والأثلاب والسراري أجابوه (ومن منا
يستطيع جر ما غنمه من الهند إلى مقدونيا) ثم استعطفوه بصفته أباهم وسيدهم وملكهم
متضرعين إليه بأن يرأف بهم وأن يشفق على نفسه وعليهم . ثم تقدم أسن قواده سينوس
Cenus وقال له « ان لبدنك عليك حقاً . ارحم نفسك وجسمك تركت مقدونيا من زمن
مديد أنساك أهلاك ووطنك ولقتك . ان ثيابك تستر في جسمك جروحاً أصابتك من سلاح
الفرس ومن سلاح شعوب وقبائل تعد بالمئات . وطئت قدماك أرض آسيا وأنت أكثر
شبان مقدونيا جمالاً وقوة . فانظر الآن ما وصل اليه جسمك من نحافة ونحول وهزال » .
وقد كهن له الكهنة بسوء المصير إذا أصر على متابعة توغله في آسيا . لم تؤثر فيه بلاغة
ولا ضراعة ولا شفاعاة ولا تهديد ولا وعيد . وقال سأغزو بلاد الهند ولو أغزوها وحدي ثم
التي بنفسه في النهر وهو مرتد ملابسه العسكرية وسبح إلى أن بلغ الشاطئ الآخر . فلما
رأى جنده ما فعله ملكهم أنصعوا وتبعوه . ولما رأى سينوس أكبر قواده سناً ما فعله
اسكندر التفت إلى المقدونيين وقال لهم « هلموا يا أسود مقدونيا . لا يعود اسكندر إلا
بكم ومعكم » ثم سقط ميتاً .

عاد الاسكندر أدراجه . ولما وصل إلى نهر أسيزين Acésine واسمه الآن شتاب
(وهو أحد الروافد الخمسة التي يتألف منها بلاد البنجاب والبنجاب معناها الأنهر الخمسة)
وجد عامله هيفستيون Hephestion قد أسس مدينة جديدة سماها (الاسكندرية)
وكان تأسيسها بناء على أمر الاسكندر . وفيها استقبل سفراء أمير بلاد كاشمير الذين
وفدوا ليهدوا إليه ٣٠ فيلاً .

(١) طول دائرة الكرة الأرضية عند خط الاستواء يبلغ ٤٠٧٦ ر ٤٠٠ كيلو متراً . فطول
المسافة التي قطعها الاسكندر وجنوده حتى نهر هيداسب بالهند — ١٨٠٠٠ كيلو متر —
يساوي نصف طول دائرة الكرة الأرضية (يضاف إليها المسافة التي قطعها الاسكندر
وجنوده بعد زحفهم ووصولهم إلى المحيط الهندي ثم عودتهم ووصولهم إلى بابل)

كان الاسكندر أراد أن يكشف مصب نهر الهندوس الذي قيل له أنه يصب في المحيط الهندي . فكلف كراتير Cratère أحد مهندسيه بأن يبني له أسطولاً كبيراً . فاضطر كراتير أن يسير حملات الى جبال همالايا لجلب الأخشاب من أدغالها وغاباتها . وبعد مجهود جبار وعمل شاق وفق لبناء ٨٠٠ سفينة كبيرة وصغيرة موسقة زاداً وذخائر . اختار لها أمير البحارة من الفينيقيين والمصريين والبرصيين واليونانيين . ونصب صديقه نيارك الجريدلي Néarque أميراً أعلى هذا الأسطول الضخم . أبحر الأسطول في نوفمبر سنة ٣٢٦ وقبل ابحار الأسطول صعد الاسكندر وباركه باسم (أبيه آمون) . ثم سار الأسطول على الطائر الميمون . وفي أثناء هذه الرحلة اضطر الاسكندر الى مقاتلة شعوب هندية كثيرة بعضها أولو بأس شديد . الا أن الاسكندر قاتلهم واتصر عليهم . واستولى على مدن كثيرة منها مدينة البراهمة . وفي إحدى هذه الوقائع كاد الاسكندر يلقي حتفه . لأنه أراد أن ييث الحماسة في روح جنده فتسلق سلماً وصعد على جدار حصن ثم ألقي بنفسه في داخل الحصن . فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الاسكندر فأنهالوا عليه ضرباً وطعنًا فأصابته طعنة في صدره . فخر على الأرض بلا حراك . فلما رآه جنوده قد وقع دبّت فيهم روح الحماسة والانتقام . فنزّلوا وهجموا على الهنود واعملوا فيهم السيف والنار الى أن أفنّوهم على بكرة أبيهم هم ونساؤهم وأولادهم . ثم حملوا الاسكندر وأخرجوا الرمح من صدره وعالجوه إلى أن شفى . وبمجرد شفائه واصل السير على نهر شتاب إلى أن وصل إلى نقطة تلاقى هذا النهر بنهر الهندوس . وفيها أمر عامله بأن يبني مدينة جديدة سماها « اسكندرية » تقع في منتصف الطريق الذي تنتهى إليه هذه الرحلة النهرية .

وفي شهر فبراير سنة ٣٢٥ استأنف الرحلة على نهر الهندوس . وفي خلالها اضطر لمقاتلة البراهمة . وانهز فرصة خضوع بعض الامارات فغير اسم عاصمتهم وسماها « الاسكندرية » ثم أسس مدناً أخرى كثيرة .

وفي يولييه سنة ٣٢٥ وصل الاسكندر إلى مدينة باتالا الواقعة على رأس دلتا نهر الهندوس (حيدر آباد الآن) وبهذا خضعت له كل البلاد الواقعة على نهر الهندوس من بلاد الكشمير إلى الاوقيانوس الهندي . وقد وفق العلماء الذين كانوا معه في هذه

الرحلة فدرسوا طبيعة الاراضى وكشفوا ما فيها من معادن - ذهب وفضة ومالح - ونباتات وحيوانات . كما كشفوا تخطيط هذه البلاد النائية .

أراد الاسكندر أن يعرف مجرى نهر الهندوس . فجرد تجريدة علمية عسكرية شطرها شطرين . رأس هو شطراً سار بأسطول مؤلف من أسرع السفن فى الفرع الغربى واستصحب معه ٩٠٠٠ مقاتل . وبعد مسيرة بضعة أيام لاحظ هبوط مستوى النهر ثم انسحابه نحو البحر ووقوف السفن . وكانت هذه أول مرة رأى فيها أهل أوروبا هذه الظاهرة الطبيعية - ظاهرة جزر البحر - وزادت دهشتهم لما عادت المياه وارتفعت - ظاهرة المد . بعد ذلك استأنفت السفن المسير إلى أن وصلت إلى الأوقيانوس الهندى . طار الاسكندر فرحاً لما رأى لأول مرة المحيط الهندى . فأمر بذبح الذبائح وتقديم القرابين إلى الآلهة ابتهاجاً وشكراً على هذا التوفيق الكبير . وبعد ذلك عاد الاسكندر إلى باتالا واجتاز الفرع الغربى إلى أن وصل إلى المحيط مرة أخرى . ومنه رجع إلى باتالا (حيدر آباد) .

وفى أواخر أغسطس سنة ٣٣٥ قبل الميلاد بدأت رحلة العودة إلى الوطن . وفى أثناء الرحلة أمر بتأسيس مدينتين سماهما (الاسكندرية) إحداهما فى داخل البلاد والأخرى على شاطئ البحر . ثم دخل فيافى بلوشستان : وكانت فلاة جرداء لا ماء فيها ولا زاد . فقامى الجند أهوال الحروالظماً والجوع والعراى . ومات منهم آلاف . واضطروا إلى ذبح الخيل والبغال وأكأها . وكان الاسكندر يواسى المرضى والجرحى ويقوى عزائمهم وكان يسير معهم على قدميه جنباً لجنب . فواصلوا المسير إلى أن بلغوا مدينة بورا Poura (والآن Kélat عاصمة بلوشستان) وفيها لموا شعثم واستراحوا . ثم واصلوا السير إلى أن بلغوا مدينة اسكندرية (قندهار الآن) ومنها يم مدينة بازرجان حيث دخلها فى أوائل سنة ٣٣٤ قبل الميلاد . وقد دهش لما علم أن لصوصاً سطوا على قبر كسرى ونهبوا ما فيه وسلبوا جثمانه . بعد ذلك سار حتى وصل إلى مدينة برسبوليس ومنها إلى سوس . وقبل أن يدخل مدينة سوس التقى بالاميرال نيارك . ومنه علم أن الاسطول طاف الخليج الفارسى ووصل إلى مصب نهر الفرات .

وفد فرح الاسكندر فرحاً شديداً بوصول أسطوله سالماً بعد أن أدت مهمته خير الاداء .
ومن فرط فرحه أنعم على نيارك بتاج من الذهب الخالص مكافأة له واعترافاً بجبايل أعماله .
حث الاسكندر جنوده المقدونيين على الزواج من الايرانيات : بدأ هو فعقد
زواجه بستانيرا بنت الملك دارا^(١) . وزوج صديقه هفستيون باختها . وفي ليلة واحدة
زوج ثمانين من قواده بثمانين أميرة من أميرات الفرس . وكل جندى مقدونى تزوج من
فارسية أتحمه بتحفة مالية عظيمة فتهافت الجند على الزواج . ويقال ان عشرة آلاف
جندى تزوجوا من ايرانيات في الفترة التي أقامها الاسكندر وجيشه في سوس . ثم سرت

(١) لزواج الملك القاهر بنت الملك المتهور - وابق في التاريخ المعرى وسابقة في
التاريخ الفرنساوى .

اما سوابق التاريخ المعرى فهي انه بعد ان حارب فرعون مصر رمسيس الثانى الحيثيين في
خلال سنة ١٢٩٥ قبل الميلاد وانتصر عليهم في واقعة قاديش (وتجد تفصيل هذه الواقعة منقوشا
في معابد لقصر وابو سنبل والرامسيوم) تصالح مع خيتزار Khitisar ملك الحيثيين وعقد معه
معاهدة حددا فيها منطقة نفوذ كل واحد منهما ولتوثيق عروة الصداقة صاهره وتزوج بنته .

ولي عهد أمينوفيس الثالث فرعون مصر — من الأسرة الثامنة عشرة — كثر الزواج
بين أسر الفراعنة وأسر ملوك آسيا . فملك بابل كاداشمان Kadashman خطب لابنته أميرة معربية .
وشوطارنه Choutarna ملك الميتاني Mitanni (مملكة الميتاني تقع في شمال العراق —
وارمينا جزء منها — وكان لها شأن يذكر قبل ميلاد المسيح بألفى سنة) أرسل بنته جيلوكيبيار —
ومعها حاشية مؤلفة من ٣١٧ شخصاً — الى أمينوفيس الثالث Aménophis III فرعون مصر
ليزوجها . وابنه دوشراتا Douchratta الذى خلفه أرسل بنته تادوك هييا Tadouk hipa
ليزوجها ابن أمينوفيس الثالث . وأمينوفيس الثالث نفسه أمته أميرة من أميرات الميتاني
لأن أباه طوطميس الرابع صاهر ملك الميتاني .

وأما زيس فرعون مصر فانه بعد ما ناوأه الاغريق تزوج يونانية من برقة أسماها لاديس
Ladice ثم رضى عن الاغريق وأقطعهم اراضى واسعة في مصر ومكنهم من تأسيس مدينة يونانية
في مصر هي نقراتس Naucratis . وقد اقتدى في هذا بلسفه بسامتيك الذى اقطع الاغريق
(Les Ioniens et les Cariens) اراضى واسعة على ضفتي النيل كما ندهم لتعليم اولاد
المعربين اللغة اليونانية . وسليمان الحكيم ملك يهوذا الذى تولى حكم بني اسرائيل — من سنة
١٠١٩ الى ٩٧٩ قبل ميلاد المسيح — صاهر ملك مصر وتزوج بنته .

اما السابقة الفرنساوية فبعد ان قهر نابليون النمساويين وانتزع منهم بلادا كثيرة من ايطاليا
والنمسا والمانيا وهزمهم في مارنجو Marengo والم Ulm واسترليتس Austerlitz ولاندشوت
Landshut وأكول Eckmuhl وناجرام Wagram — في ٨ يولييه سنة ١٨٠٩ — تصالح مع
امبراطور النمسا وتزوج بنته ماري لويز — في ابريل سنة ١٨١٠ — فأصبحت امبراطورة فرنسا
ورزق منها ولدا في ٢٠ مارس سنة ١٨١١ سماه ملك روما Roi de Rome

هذه الروح في برسبوليس وصور وهمذان فتزوج آلاف من الاغريق من بنات الفرس وقد وصف المؤرخ إيفيب Ehippe حفلات زواج مائة من الضباط المقدونيين. بمائة من بنات الفرس وصفاً رائعاً . ومما رواه أن حفلات الافراح دامت خمسة أيام متوالية جمعت كل ما أخرجته قرائح الاغريق والفرس والهنود من فنون وآلات طرب (بهلوانية وحواة وموسيقى ومطربين ومطربات وروايات مسرحية وسواريح وذبايح ورقص وغير ذلك) (١) .

وفي صيف سنة ٣٢٤ بعد أن أخذ للسفر أهبطه زايل الاسكندر مدينة سوس وبلغ همذان حاضرة الأخمينيين . ومنها انتقل إلى بابل في ربيع سنة ٣٢٣ . وكان في نيته الطواف حول بلاد العرب والبحر الأحمر . ثم تجهيز حملة قوية تؤيدها ألف سفينة حربية لغزو قرطاجنة (تونس) والبلاد المتاخمة لها وأسبانيا وجزيرة صقلية . ومن أجل هذا أرسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت إلى جزائر البحرين في الخليج الفارسي ثم عادت قبل أن تتم رحلتها . فأرسل الاسكندر بعثة ثانية وصلت إلى جزائر البحرين هي أيضاً ثم عادت . أرسل بعثة ثالثة وأمرها بأن تسير إلى أن تصل إلى هير ونبوليس Heroonpolis (السويس الآن) ولكن البعثة لم تصل إلى نصف الطريق . أرسل

(١) في عهد عمر بن الخطاب كانت بلاد العجم فوضى . في غضون أربع سنوات استوى على عرشها ثلاثة عشر ملكاً . وقد غزاها العرب وانتصرت جيوش المسلمين على جيوش العجم في عدة وفاتح أهمها واقعة القادسية وقد استمرت عدة أيام (يوم أرمات ويوم أغواث ويوم عمات ولاية الهرير) وانتهت بانتصار العرب وقد سهاى لهم فتح « المدائن » - في شهر صفر سنة ١٦ من الهجرة - والكوفة (ويسمى بعضهم « خد العذراء ») ثم موقعة جلولاء (سنة ١٦ من الهجرة - ٦٣٧ ميلادية) انتصر فيها المسلمون أيضاً وسهلت لهم فتح تكريت والموصل وفتح ماسبذان وفتح قريضاء والرقعة والرها من بين الموصل والشام . وفتح الجزيرة وفتح أرمينيا وما إليها . وقد انتشر الاسلام في هذه البلاد بعد أن كان العجم يعبدون النار وأخذت عبادة النار تتضاءل وبعد زمن لم يبق من عباد النار إلا فئة قليلة في طهران وكرمان ويزد

والمدائن مشهورة في التاريخ باستواء امرأة على عرش الفرس . ذلك أنه بعد أن خلع اردشير الثالث توات الملكة بوران بنت كنرى بزدجرد من ولد شهریار وتوجت في (المدائن) . وهي التي عقدت معاهدة صداقة مع الامبراطور هرقل وردت إليه في ١٤ سبتمبر سنة ٦٢٩ العايب الحقيقي الذي صاب عليه المسيح . وتنت حفلة رده في القدس . ومن هذا التاريخ يحتفل النصارى بعيد رد العايب في ١٤ سبتمبر من كل سنة Fête de l'Exaltation de la sainte croix

بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفذ ماؤها فعادت^(١) وليسهل المواصلات بين المشرق والمغرب أسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها (الاسكندرية) تكون فرضة بحرية (لها شط العرب الآن) تصدر منها حاصلاتها إلى بابل وما إليها . ثم أسس مدينة أخرى على ساحل بلاد العرب سماها الاسكندرية أيضاً . رحّل إليها كثيراً من الأغريق ومن المتطوعين ومن القوم الرحل .

وقد حدث والاسكندر في ههذان أن أصيب صديقه الحميم هيفستيون بحمى خبيثة أودت بحياته فحزن عليه الاسكندر حزناً شديداً . جن جنونه فبقي ثلاثة أيام طرماً بجوار جثمانه لا يتناول فيها الطعام ومن فرط غضبه أمر بصاب جلوسياس Glaucias الطبيب

(١) المصريون سبقوا المقدونيين في جوب البحار لاستكشاف بلاد افريقيا . ذلك ان فرعون مصر نبحاو ابن إسمانيك الأول — من العائلة السادسة والشرين التي تولت حكم مصر قبل ميلاد المسيح بـ ٦٠٠ سنة — أراد وصل النيل بالبحر الاحمر فسخر عمالا كثيرين لتنفيذ مشروعه على الرغم من ان الكهنة الذين استأجروا الاله معبودهم قالوا له ان هذا العمل يفيد الاجني أكثر مما يفيد المصري (كما قال تماماً محمد علي باشا الكبير عند معارضوا عليه حفر قناة السويس ليوصل البحر الابيض بالبحر الاحمر) ونصحوه بالمدول عنه فلم يستمع لنصيحتهم . ولما هلك من العمال ١٢٠ ألفاً قبل ان ينتصف العمل عدل عن تنفيذ مشروعه (وهو المشروع الذي أعاده دارا الأول) ثم وجه فكره الى مشروع آخر وهو استكشاف سواحل أفريقيا فجهز أسطولاً كبيراً بدأ طوافه من البحر الاحمر ولبث ثلاث سنوات يخوض البحار الى ان عاد الى مصر من بوغاز جبل طارق بعد ان مر على رأس الرجا الصالح . فكشف هذا الطريق قبل ان يكشفه الرحالة البرتغالي فاسكودي جاما Vasco de Gama

سابقة أخرى : في عهد الملكة هاتشيبسوت Hatshepsout — التي تولت الحكم بعد طوطوميس الثاني وقبل ميلاد المسيح بالب وخمسمائة سنة — أرسلت أسطولاً لاستكشاف سواحل أفريقيا الشرقية . فأجتاز الأسطول البحر الاحمر — سبب تسميته بالبحر الاحمر وجود طحالب « احمر » بكثرة في قاع شواطئه — من اوله الى آخره ومر ببوغاز باب المندب ثم عاد الى مصر بعد ان استكشف سواحل بلاد الصومال والحبشة وما إليها . ونجد تفصيل هذه الرحلة منقوشاً على جدران الدير البحري في القاعة المسماة (قاعة البونت Pount) والبونت هذه كان قديماً اسم بلاد اثيوبيا . وهذه الملكة هي التي تم في عهدها صنع ملة الكرنك التي استغرق نحتها ونقلها وأقامتها سبعة شهور .

وبحزم هذه الملكة وعزمها وحسن تعريفها للامور مدة حكمها — وقد دام ١٨ سنة — مهدت لحلفاء طوطوميس الثالث سبيل بسط نفوذ مصر على بلاد الحبشة والسودان والنوبة وسوريا والعراق المعجم والعراق العربي وكردستان وأرمينيا فبلغت مصر في عهده ذروة المجد السياسي والعسكري .

الذى عاجله على نعش الميت (وجلس سياس هذا كان طيب الاسكندر الخاص) ولم يكتف بهذا الاثم الفظيع بل ارتكب آثاماً أخرى أفظع منه فأمر بمخنق جميع عبيده . وأمر بتدمير مدينة كوسبي فهلكت بما فيها ومن فيها . ثم صال على الفيلة التى كانت مهداة اليه وصار يطعمها بمخنجره وهى تفر وتزأر . ثم جمع أربعائة أسد من الأسود الضواري فى ميدان مسور ألقى فيه ٣٠٠٠ من الأسرى والعبيد قتلاحوا والأسود وانتهت المأحمة بموت الأسود والعبيد على بكرة أبيهم . وأبطال الأفراح والمآدب أياماً بطات فيها الموسيقى وجميع أنواع الطرب . ثم أمر بنقل جثمانه إلى مدينة بابل . ولتخليد ذكره أمر بإقامة أثر فخيم له . ومن عجيب أمر الاسكندر وهو فى هذان أن أرسل بعثة إلى مصر لتزور واحة سيوه وتستأجر أباه (آمون) فى أمر صديقه هيفستيون ليأمره إن كان يصح أن يقدسه ويرفعه إلى درجة الأولياء والقديسين أو يكتفى باعتباره بطلاً من الأبطال . سافرت البعثة وعادت وأخبرت الاسكندر أن أباه آمون أجاب بوجوب اعتبار صديقه (بطلاً من الأبطال) فناط الاسكندر بصديقه كليومين Cléomène بأن يشيد له فى اسكندرية مصر معبدين : معبد فى وسط المدينة ومعبد آخر فى جزيرة فاروس (رأس التين الآن)

بعد ذلك سار الاسكندر إلى بابل . وفى أثناء سفره التقى بوفود كثيرة حضرت إليه من ليبيا ومن الحبشة ومن قرطاجنة ومن ايطاليا . ومن سائر البلاد التى غزاها لتهدى إليه هدايا وتقدم له شعائر الولاء والاخلاص .

ولما عبر نهر الدجلة التقى برسل من الكلدان جاءوا ليحذروه من دخول بابل بدعوى أن معبودهم ماردك تنبأ بأن دخول الاسكندر مدينة بابل سيكون دباراً عليه . لم يبال الاسكندر بنبوءة معبود الكلدان ودخل بابل . وفيها أقام حفلات كثيرة كان يدعو إليها جنده ووجوه البلد ومياسيرهم . ويوزع عليهم الهدايا والاحوم والخمر . وفيها أيضاً وجه همه إلى تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب .

وبينما كان الاسكندر يدير شئون بابل أصابته حمى الملاريا . وكانت كثيرة الانتشار فى هذه البقاع - الحمى بريد الموت - فأقعدته وصارت وطأة الحمى تشتد يوماً بعد يوم إلى أن تجلى نهار ١٣ يونيه سنة ٣٢٣ وفيه تنازعت غمرات الموت ففاضت

روحه ولفظ نفسه الأخير . فكان آخر يوم له في الدنيا وأول يوم من الآخرة . والدنيا أمد والآخرة أبد .

ومن عجيب تاريخ الاسكندر أن حياته كانت كلها توفيقات آتاه الله من كل شيء . سبباً . منذ دب إلى أن شب .

مات الاسكندر وعمره ٣٣ سنة . بعد أن تولى الملك ١٣ سنة . وبعد أن غاب عن وطنه عشر سنوات قضاها في آسيا غزواً وفتحاً وبعد أن ترك ذكرى لا تفنى أبداً . ولا بعد الأبد إن كان بعده بعد . (١)

(١) وقع موت الاسكندر وقع الصاعقة على قواده وضباطه وجنوده فحزنوا عليه حزناً كبيراً وكانت جنازته من اروع ومن اظم ما رأى الراؤون . وفي هذا يقول احد المؤرخين P. de Hénaut

“Alexandre était passionnément aimé de ses soldats, non pas seulement à cause des triomphes que leur valait son génie militaire, mais aussi parce qu'il partageait courageusement leurs fatigues et leurs épreuves.

“ Un jour, dans un désert où toute l'armée souffrait d'une affreuse soif, un soldat lui apporte dans un casque un peu d'eau recueillie à grand' peine. A Dieu ne plaise, dit Alexandre, que je sois le seul à me rafraichir quand tous mes braves soldats ont soif. Et il refusa l'eau. »

وما ابلغ ما قاله لامارتين Lamartine في الجزء الخامس من كتابه (تاريخ تركيا

(Histoire de la Turquie) على اثر وفاة السلطان سليمان القانوني :

“Jamais, depuis les funérailles d'Alexandre, l'âme d'un grand homme n'avait paru, en s'évanouissant, faire évanouir aussi l'âme d'une armée» P. 12”

ولما مات واشنطن Washington في ١٤ ديسمبر سنة ١٧٩٩ بعد ما حارب الانجليز وأخرجهم من بلاده واسس جمهورية الولايات المتحدة وتولى رئاسة حكومتها ثماني سنوات أجمع المؤتمر الأمريكي وقررا إقامة أثر تخليداً لذكراه كما أوجب على كل أهالي الولايات المتحدة ان تلبس الحداد عليه شهراً كاملاً وان تخصص كل ولاية من الولايات المتحدة يوماً لذكائه والصلاة على روحه . وبلغ من عظم تقدير الامم والشعوب له وفرط حزنهم عليه ان اقامت انجلترا نفسها (مع انه حاربها وأخرجها من بلاده) حفلات لتأبينه . وراثه نابليون بونابرت رسمياً باسم فرنسا ولم يكتف برثائه بل أمر بان تنكس الاعلام الفرنسية في جميع مدن فرنسا وبحال بشر يطأ أسود حداداً عليه وهكذا تجلت عظمة الرجل بعد مماته أكثر مما تجلت في حياته .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر أقول انه في ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٢٥ توفي الجنرال الفرنسي Foy الذي اشترك في حروب فرنسا ابان الثورة الفرنسية وفي عهد نابليون وأبلى فيها كاهها بلاء حسناً وبعد سقوط نابليون كان من أشد أعداء عودة نظام الملكية في فرنسا وبلغت به الجرأة ان ناوأ شارل العاشر ملك فرنسا مناوأة عنيفة جدا فالتف حوله أنصار كثيرون فلما توفي هرع ١٠٠٠٠٠ من أهالي باريس والتفوا حول نعشه وشيعوا جثمانه واقاموا مظاهرة حماسية كانت من اروع المظاهرات ولم يكتفوا بذلك بل فتحت جميع مدن فرنسا باب اكتتاب عام وجمعت مليون فرنك (١٠٠٠٠٠ جنيه) قدموها هدية لاولاده الفقراء .



ترك الاسكندر امبراطورية شاسعة الأرجاء تمتد من الهند إلى مقدونيا. وبعد موته تنازع قواده السلطان على هذه البلاد الواسعة وانتهى بهم الأمر إلى اقتسامها. فاختص بطليموس Ptolémée بديار مصر^(١). ولاوميدون Laomédon بسوريا. وفيلوتاس Philotas بكليزيا. وميناندر Ménandre بليديا (ولاية ايدن). وليوناتوس Léonnatus بفريجى (خداوندكار). وبيتون Pithon ببلاد ميديا. وكولنوس Coluos ببلاد سوس. وأرخون Archon بمملكة بابل. وخصصوا لأومين Eumène بلاد سوس وما إليها وقبل أن يتنازعوا ملكه تنازعوا جثمانه: ففي اليوم الثامن لموت الاسكندر اقتتل بطليموس وبرديكاس للاستيلاء على رفاقته. وبينما كان القواد يتنازعون جثمانه كانت زوجته روكسان Roxane أخذت جثمانه خفية وهرّبت به إلى دمشق على ظهر جمل. إلا أن حاكم دمشق رفض دخول جثمان اسكندر المدينة. كما رفضت سوس من قبل. كما رفضت همدان من قبل. وفي اليوم الثلاثين لموته فاز بطليموس بالاستيلاء على رفات الاسكندر ونقلها إلى ممفيس بمصر كما ثبت ذلك من كتابة منقوشة على قطعة من المرمر معروفة بأسم «مرمر باريين Parieu»^(٢)

ويقول بوزانياس Pausanias أن جثمان الاسكندر بقى في ممفيس في عهد بطليموس الأول ثم نقله ابنه إلى الاسكندرية بعد ٤٠ سنة. ولكن ديودور الصقلى وسترابون وبعض المؤرخين المتقدمين قالوا بأن بطليموس الأول هو الذى نقل

(١) وبطليموس هذا كان أحد قواد الاسكندر. صاحبه في جميع فتوحاته وفرواته في آسيا الصغرى وفي سوريا وفي فلسطين وفي مصر — ورافقه في رحلته لواءة بيوه — كما صاحبه في العراق وفي بلاد المعجم والافغان والهند وفي غيرها. وله فضل انقاذ الاسكندر في حادثتين كاد يلاق فيهما حتفه. وقد ألف كتاباً قيماً عن حروب الاسكندر فصل فيه ما رآه وما سمعه.

(٢) يتوالى الزمن وبكثرة الحفريات تتجلى للمؤرخين نواح عدة من التاريخ القديم. فخذ مثلاً تاريخ الفراعنة كان مجهولاً للمصريين ولأهل الغرب. فكانت الآثار المصرية القديمة المنتشرة في الوجهين البحرى والقبلى وفي بلاد النوبة — من معابد وهياكل ومقابر ومصاطب ومسلات — صامته صموتاً دام التي سنة متوالية. بقيت صامته عشرين قرناً إلى أن انطقها شاه بليون العالم الأثري الفرنسي فصارَت تحدثنا عن تاريخ الحضارة المصرية القديمة من عهد ميناء أول ملوك مصر إلى آخر الفراعنة ومن آخر الفراعنة إلى عهد الأغريق والرومان.

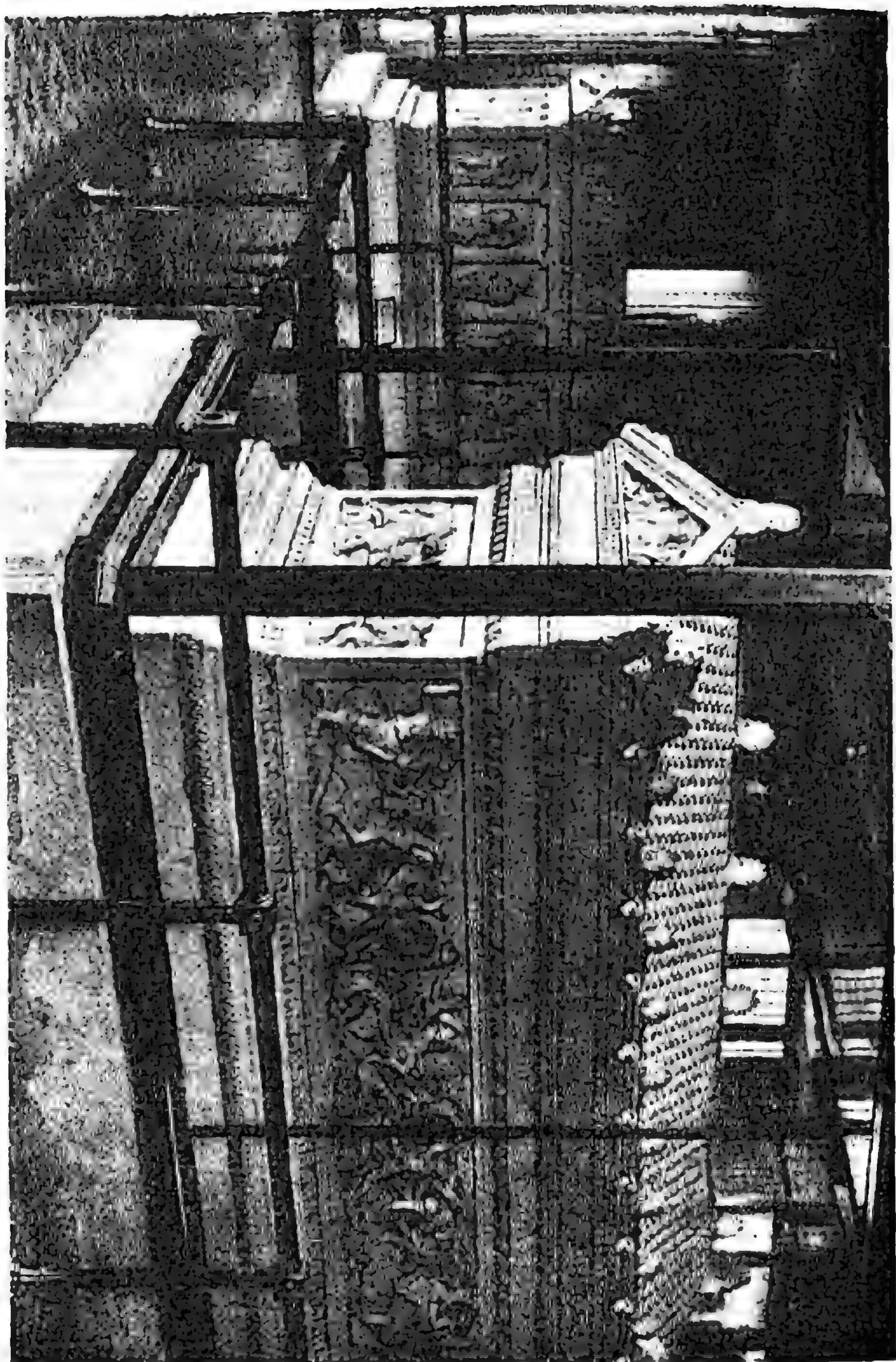
جثمان الأسكندر الى الاسكندرية ودفنه في البناء المشهور بأسم « سينا » وكانت جثمانه لا يزال باقياً فيه الى عهد الرومان .

كانت بيللا Pella عاصمة مقدونيا - ومسقط رأس الاسكندر - أولى بضم رفات الأسكندر . الا ان بطليموس أراد بنقل جثمان الاسكندر الى مصر الدعاية الى مصر بتشويق الناس الى زيارة مصر بزيارة قبر الأسكندر كما أراد أيضاً العمل برغبة الاسكندر الذى أوصى بدفنه في سيوه بجوار أبيه الاله آمون .

ولا يدري الا الله أين يوجد الآن على وجه التحقيق جثمان الاسكندر . الشائع انه في الاسكندرية اما في شارع النبي دانيال أو في كوم الشقافة (محل قرية راكوتيس

كان الفضل لهذا الفتح العلمى العظيم لحمة بونابرت التى غزت مصر في أواخر القرن الثامن عشر عند ما ذهب الجنرال بونابرت الضابط بوشار Bouchard لبناء طابية في رشيد - سميت فيما بعد طابية جوليان Fort Julien - فغمر في خلال شهر أغسطس سنة ١٧٩٩ على حجر من البازالت الاسود عليه ثلاث كتابات مختلفة أحداها كتابة يونانية وهذه الكتابة كانت ترجمة مرسوم رفعه السكينة المصريون في سنة ١٩٣ قبل ميلاد المسيح لتخليد ذكرى تتويج بطليموس الخامس أبيفان . وقد نقل هذا الحجر الى القاهرة وأودع المعهد العلمى الذى أنشأه بونابرت . وعند ما أخرج الانجليز جنود بونابرت من مصر اشترطوا في الاتفاق الذى عقده الجنرال الانجليزى هونشinson Hutchinson قائد القوات البريطانية مع الجنرال مينو Meunou قائد القوات الفرنسية ان تكون بعض الآثار المصرية القديمة التى جمعها علماء الحملة - ومنها حجر رشيد هذا - ملكاً للحكومة الانجليزية وبالفعل سلم الفرنسيون هذه الآثار الى القائد الانجليزى وهو نقلها الى اندره ولا تزال باقية في المتحف البريطانى British Muséum حتى اليوم .

وقد وفق شامبليون وكشف سر اللغة الهيروغليفية بعد ان تعلم اللغة القبطية واللغة اليونانية واللغة العبرية واللغة السكلدانية واللغة الصينية واللغة العربية . وأول الاسماء التى حل طالاسمها وفك رموزها هى اسماء اسكندر الاكبر وبرنيس وقيصر وديموسيين ونبيرون وتيبير . وقد زار شامبليون آثار مقابر بني حسن والاثنوتين والعرابة المدفونة وأدفو وارمنت والاقصر ورادى الملوك والسكرتك والقرنة وقاو وأسنا والكاب ووادى حلفا وأبسميل . وكان يكبد ويجهد ويعمل في هذه الجهات النائية في الليل على ضوء القمر وعلى ضوء مصباح ضئيل وفي النهار تحت اشعة الشمس المحرقة التى كانت تبلغ في كثير من الاحيان ١٥ درجة . فكان العرق يتصبب من جبينه وينشئ عينيه ويستقط على اوراقه . ومع ذلك لم تثنه المتاعب والمصاعب والحر اللافتح عن عزمه على مواصلة كشف أسرار مقابر الفراعنة وأهمها مقابر سبتي ورمسيس وأمنئوفيس وطوطميس وآثار دير المدينة والدير البحري ورمسيسيوم ومدينة أبو والشيخ عبادة . وبعد هذا الفتح العلمى الكبير طار اسمه وذاع فتحه في أوروبا وفي أمريكا وسموه شامبليون (المصرى) . ومن غريب أمر هذا الرجل انه بدأ وعمره ١٦ سنة بتعلم اللغة القبطية . وبعد سنة قدم الى جمعية الفنون والصنائع في مدينة جروتوبل بفرنسا رسالة في جغرافية مصر القبطية . وبعد اربع سنوات - وكان عمره ٢١



ناروس الاسكندر الموجود في متحف استانبول

القديمة التي شيد عاينها الاسكندر مدينة الاسكندرية (ولا تزال الحفريات التي بدأها الاستاذ بريشيا Brescia والأستاذ أدرياني Adrinii وسار فيها الأستاذ الن رو Allen Row مدير المتحف اليوناني الروماني بشف الاسكندرية جارية بهمة بلدية الاسكندرية . كما ان سمو الأمير الجليل عمر طوسون خصص شطراً من ماله ومن وقته ومن علمه الواسع لكشف قبر الاسكندر

ويوجد في استانبول ناووس فخم يقال انه الناووس الذي كان فيه جثمان الاسكندر . ولكن لم يثبت هذا القول ثبوتاً يعول عليه . والمؤرخون متفقون على ان التابوت الذي أودع فيه جثمان الاسكندر كان مصنوعاً من الذهب الخالص وكان مرصعاً بالأحجار الكريمة وكان يحوى كثيراً من المجوهرات التي غنمها الاسكندر من بلاد

سنة - نشر كتاباً عن (مصر في عهد الفراعنة) . ولما بلغ سن الثانية والثلاثين رفع النقاب عن أسرار اللغة الهيروغليفية وكان ذلك في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٢ (أى من مائه وعشرين سنة) . وقبل وفاته في ٤ مارس سنة ١٨٣٢ - وعمره ٤٢ سنة - رفع تقريراً عن جميع الآثار المصرية التي شاهدها ووصفها وصفاً علمياً دقيقاً كما وصف جميع المعابد الواقعة على ضفتي النيل بين الشلال الأول والشلال الثاني . ولف أجرومية في اللغة الهيروغليفية طبعت ونشرت بعد وفاته بثلاث سنوات (سنة ١٨٣٥) . وقد لقي شامبليون في حياته من محمد علي باشا الكبير كل عطف وتقدير . وقد خلدت فرنسا ذكره باطلاق اسمه على احد شوارع مدينة باريس وأقامت له تمثالاً في مدخل إحدى جامعاتها . كما خلدت مصر ذكره باطلاق اسمه على احد شوارع القاهرة .

ويقول الكاتب الفرنسي الشهير شاتوبريان Chateaubriand أن ذكرى شامبليون ستبقى خالدة ما بقيت الآثار المصرية خالدة .

ومثل التاريخ المصري القديم وكشف نواح عدة منه تاريخ حضارة الأمم التي استوطنت شواطئ الدجلة والفرات . فإن كل ما عرف منها قديماً كان منقولاً عن التوراة وعن بعض الرواة الأقدمين . ولكن لما اتت دائرة التنقيب والحفريات وكثرت عثر العلماء على آثار قديمة تعد بالآلاف . فقرأوا ما عاينوا من النقوش والكتابات وعرفوا نواحي عدة من تاريخها الذي يرجع عهده إلى أربعة آلاف سنة قبل ميلاد المسيح . وقد وفق العالم الاثري (ليونارد ولي Leonard Woolley) بواسطة الحفريات التي أجراها في خلال المدة من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٢٩ إلى معرفة تاريخ أول أسرة من أسرة « أور » Our وطن ابراهيم الخليل . وكشف أيضاً عن بعض آثار يقال انها من آثار الطوفان . فالتاريخ القديم يتطور ويتسع أفقه امام العلماء بكثرة التنقيب والحفريات وبتوالي الزمن . وما أصدق ما قاله في هذا الصدد مسيو جان كابر البلجيكي Jean Capart من كبار علماء الآثار المصرية

" Les découvertes obligent les auteurs à tenir constamment leur œuvre sur le métier "

والأمل معقود على الحفريات الجارية والمستقبل لمعرفة محل وجود قبر الاسكندر بتأبوتة وناووسه وحايه ومجوهراته .

الفرس من بلاد الهند ومن سائر البلاد التي غزاها . ولا يعلم الا الله أن كانت لاتزال موجودة حتى الآن أم سرقها الاصوص كما سرقوا كثيراً من المجوهرات والتحف والآثار التي كانت في مقابر الفراعنة . (١)

ومن المآسي التي وقعت بعد موت الاسكندر خصام عنيف قام بين روكسان Roxane وضررتها ستاتيرا Statira . لجأت روكسان إلى أم الاسكندر أولمبياس Olympias لتحميمها من شر ستاتيرا . إلا أن أولمبياس أمرت بقتلها هي وابنها . كما أمرت بقتل بارسين Barsine محظية ابنها اسكندر هي وابنها . وبعد موت انتيباتير Antipater توالى المآسي في أفراد عائلة الاسكندر فقتلوا على بكرة أبيهم . وهكذا انقرضت عائلة من شاد اكبر امبراطورية في العالم كما تلاشت امبراطوريته نفسها .

ذو القرنين

من هو ذو القرنين الذي ورد ذكره في سورة الكهف :
« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً . انا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبباً . حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً . قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسناً . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . واما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً . ثم اتبع سبباً . حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سبباً . كذلك وقد أخطأنا بما لديه

(١) كان التابوت الذي وضع فيه جثمان اسكندر الاكبر مهنوعاً من الذهب الخالص وكان مدفوناً في معبد باسكندرية اسمه بانيوم Panéum على مقربة من كوم الدكة الحالي . وبعض المؤرخين رووا أن بطليموس التاسع طمع في ذهب التابوت فاستبدل التابوت الذهب بتابوت من زجاج . ومعبد البانيوم Panéum هذا استحال هو ايضاً فيما بعد الى كنيسة دفن فيها سانت أثناس St. Athanase . والكنيسة استحالَت هي ايضاً فيما بعد الى مسجد هو مسجد المطارين الموجود الآن .

خُبراً ثم أتبع سبباً . حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً . قالوا ياذا القرنين أنت يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيتنا وبينهم سداً . قل ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً . . . إلى آخر الآية »

فهل ذو القرنين هذا هو اسكندر الأكبر المقدوني أم هو ملك آخر ؟
انى لا أدري من لقب اسكندر المقدوني بذى القرنين . لأن وصفه بذى القرنين لم يرد في كتب المؤرخين الذين عاصروه - مقدونيين كانوا أو يونانيين أو آشوريين أو ابرانيين أو مصريين أو يهود أو غيرهم - ولا في كتب المؤرخين الذين اتوا من بعده يونانيين كانوا أو فرنساويين أو ايطاليين أو انجليزاً أو الماناً أو روساً أو . . . فالقول بأن اسكندر المقدوني هو ذو القرنين قول خطأ . ولا أدري كذلك من ذا الذى قال بأن ذا القرنين الوارد ذكره في القرآن الكريم اسمه اسكندر أو هو اسكندر المقدوني . كل هذا خلط في خلط .

على أن ما أرجحه انا هو أنه لما غزا اسكندر المقدوني ديار مصر ودخل ممفيس وبويع في معبد *Ptah* فرعوناً على مصر البسه الكهنة القانسوة الفرعونية *Pschent* (وتنطق بسكنت) وهي القلنسوة التي اعتاد فراعنة مصر أن يضعوها على رؤوسهم في الحفلات الدينية الرسمية . وهذه القلنسوة مكونة من تاجين تاج أبيض وتاج أحمر . فالتاج الأبيض رمز سيادة الفراعنة على الوجه القبلي والتاج الأحمر رمز سيادتهم على الوجه البحري ^(١) وكذلك فعل الكهنة مع اسكندر لما دخل معبد جوبيتر آمون *Jupiter Ammon* في واحة سيوه ونودي به ابن الآله آمون رع . فلما ظهر اسكندر أمام الملائكة في ممفيس بوصف كونه فرعون مصر وفي واحة سيوه بوصف كونه ابن الآله آمون وعلى رأسه تاجان (وكان شكل التاج يشبه علامة الاستفهام الأفرنجية وهي أشبه

(١) "Le pschent, mitre symbolisant l'union des deux royaumes de Haute et Basse Egypte. Il était composé de deux coiffures emboîtées : l'une rouge et basse, couronne de la Basse-Egypte, l'autre, blanche et haute, couronne de la Haute-Egypte."

شيء بقرن) لقبوه بذى القرنين بمعنى ذى التاجين - انظر الى الرسم الذى يمثل
محراب معبد دندره بقنا - . (١)

فالقول بأن ذا القرنين الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم هو اسكندر المقدونى
قول خطأ . ووصف اسكندر المقدونى بذى القرنين خطأ آخر اللهم الا اذا كان المراد
بذى القرنين ذا التاجين .

والبطالسة اقتدوا بملكهم اسكندر . فكان كل من يستوى منهم على عرش مصر
يتوج فى ممفيس فى معبد فتاح Ptah وفى الحفلات الرسمية الدينية التى كانت تقام أجالا
لأيزيس Isis وسيراپيس Sérapis كان بطليموس يظهر أمام الملأ مرتدياً لباس قدماء
الفراعنة وعلى رأسه القلنسوة الفرعونية .

على انه من باب المزيد فى البيان والتبيين نورد هنا أقوال بعض المجتهدين والمفسرين :



كتب إلينا حضرة العالم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى
بمحكمة مصر الشرعية يقول :

« حضرة صاحب العزة الأستاذ الجليل عزيز بك خانكى

« بعد واجب التحية والسلام : تشرفت بخطابكم فى السؤال عن ذى القرنين
ويأجوج ومأجوج . أما ذو القرنين فإنه اختلف فيه كثيراً بين المؤرخين المتقدمين حتى
لقد ظن بعضهم وشاع عند كثير من العامة أنه الاسكندر المقدونى . بل ورد ذلك فى
حديث لا أصل له بل هو حديث منكر شاذ . واليقين من الأدلة التاريخية والعلمية
أن الاسكندر ليس ذا القرنين . لأن الاسكندر كان وثنيًا وذو القرنين وصفه فى
القرآن يدل على أنه كان رجلاً مؤمناً صالحاً يعبد الله وحده . بل قد يفهم من بعض
الآيات أنه كان يوحى إليه . وقد نص على أنه ليس الأسكندر المحققون من العلماء وفى

(١) وماك ما قاله بهذا المعنى ايضا الكاتب الروائى الشهير اسكندر دوماس

Alexandre Dumas فى كتابه القوقاز ، Le Caucase

« Voyez les médailles d'Alexandre, où comme fils de Jupiter Ammon, il porte les cornes paternelles et l'explication de ce nom de Zoul-Karnain vous sera donnée. — Page 12. »

مقدمتهم شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (ج. ١، ص ١١٤) والحافظ العلامة ابن كثير في تفسيره (ج. ٥، ص ٣٢٢ - ٣٢٣) من طبعة المنار . والمؤلف نفسه في تاريخه المسمى (البداية والنهاية ج ٢ ص ١٠٢ وما بعدها) وقد ذكر أقوالاً كثيرة فيه . والراجح عندي أنه (الصعب ابن الحارث الرائشي ذي مزائد بن عمر الهمال ذي مفاح بن عاد ذي شداد بن عامر) إلى آخر نسبه وهو من ملوك اليمن الأقدمين في عصر ما قبل التاريخ . وقد نص على ذلك العلامة أبو محمد عبد الملك ابن هشام صاحب السيرة في كتاب (التيجان) الذي رواد عن وهب بن منبه . وهو مطبوع في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٧ هـ وأخباره مفصلة في (ص ٨١ وما بعدها) وكذلك نص عليه العلامة المؤرخ الكبير أبو محمد الهمداني اليمني المتوفى سنة ٣٣٤ هـ في الجزء الثامن من كتابه (الأكليل) الذي طبع في بغداد سنة ١٩٣١ م بعناية استاذنا العلامة الأب انستانس الكرملي البغدادي . وأخباره مفصلة هناك (ص ٢١٧ وما بعدها) وليس هذا الذي اخترته على سبيل الجزم والقطع بل هو الراجح فقط لأن مدينة اليمن وآثارها لم تكتشف بعد اكشافاً علمياً ولكن ظواهر التاريخ وما بقي في أيدينا من أخباره تبعث في رأينا فكرة عن مدينة العرب والجزيرة أنها منبع المدنيات كلها وأنهم أقدم حضارة ظهرت على البسيطة . وأنها كانت قبل ذلك بلاداً عامرة بالجنان والأنهار ثم عدت عليها عوادي الزمن فأحالتها صحارى ومجاهل . وأرجح أنا من ذلك أن اللغة العربية أقدم اللغات وأما وأن اللغات الشرقية كلها أو أكثرها إنما هي فروع أو تحريف عن اللغة العربية . ولو كانت البلاد الاسلامية تنهض نهضة علمية حقيقية لعمرت جزيرة العرب واكتشفت آثارها وأظهرت خفايا الكنوز فيها ولأمكن تحقيق مثل هذه الابحاث التاريخية تحقيقاً علمياً ينفي الخطأ ويظهر الصواب

«وأما ياجوج وماجوج فان لم يكن هذا الوصف منطبقاً على بلاد الصين فلا أدري شيئاً عن تحقيقها . ولعل استاذنا العلامة الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار وكيل جمعية الشبان المسلمين يستطيع أن يفيدكم في هذا الموضوع بأوثق مما أستطيع . والتوفيق من الله وأرجو أن تقبلوا مني خالص التحية والسلام . . . » الجمعة ٢٣ رمضان سنة

احمد محمد شاكر القاضي الشرعي

١٣٥٩ - ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٤٠

وكتب اليها حضرة الاستاذ الجليل محمد فريد وجدى يقول :

مصر في ٢٣ / ١٠ / ١٩٤٠

حضرة صاحب العزة الأصولي الكبير عزيز خانكي بك

تحية طيبة مباركة . وبعد فقد تشرفت بكتاب منكم تسألون به رأيي في أمرى
ذى القرنين ويأجوج وماجوج . واني أشكر لعزتكم حسن ظنكم بي . وأجيبكم :

أوافق عزتكم في أن ماورد بسورة الكهف عن ذى القرنين لا ينطبق أكثره على
الأسكندر المقدوني . وأن لا ذكر في التاريخ عن يأجوج وماجوج وسدهم . وفي
الكتاب الكريم أخبار أخرى غامضة . يصرح القرآن نفسه بغموضها . وينهى عن
الحوض فيها والتنازع عليها كما في هذه الآية : « هو الذي أنزل عليك الكتاب
منه آيات (محكمات) هن أم الكتاب . وأخرى (متشابهات) فأما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما يشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . وما يعلم تأويله إلا الله »

« أضيفوا الى هذا أن الاسلام أمر ذويه بالتثبت في القول . وعدم الخلط والخطب
فيما يعلمون وما لا يعلمون : « يثبت الله الذي آمنوا بالقول الثابت » . « ولا تقف
ما ليس لك به علم » . « وقل رب زدني علما »

« وأمرهم باقامة سلطان العقل في كل ما يعرض للبحث وجعله مناط التكليف . فلم
يجد المسلمون أسلم لأنفسهم وأحوط لدينهم من طريق انتهجوه منذ قيامهم الى
جماعة . وهي أن يتناولوا ما يعين لهم من المعارف مستقلة عن الدين . لا مطبقة عليه .
ولا مقيدة به . لأنه اطلق لهم وجوب العلم اطلاقاً . ولم يقيد العلم إلا بأن يكون حقاً .
لا خيالا ولا ظناً » وأن الظن لا يغني من الحق شيئاً » . وما كادوا يدونون لهم علما
للأصول حتى توجهوا بهذه القاعدة التي تعتبر من أجل المفاخر في عهد كان الناس
قاطبة دائنين لمبدأ الحرفية في الدين الا وهي : « إذا تعارض حكم العقل ونص
الكتاب وجب تأويل نص الكتاب حتى ينطبق على حكم العقل » ذلك لأن
العقل مناط التكليف في الاسلام كما قدمنا . لا الأقوال المأثورة . ولا الآراء الموروثة .

« لهذا السبب لم يستهول المسلمون في أى عهد من عهودهم ما يجدونه في كتابهم من
الأمور التي تحار فيها العقول . وتختلف فيها الأفهام . فكان أسهل شيء عندهم أن

يعتبروها من مثابه القرآن . تاركين حياها الى حين أو الى الأبد . ويمضون في اقتباس المعلومات من مصادرها مستفيدين مما هدوا اليه من وسائل التحقيق والتمحيص . وليس يخفى عليكم انهم أخذوا جميع ما وقع لهم من كتب العلم وترجموها وزادوا مادتها . ولم تحدث فيهم منازعات تذكر من التناقض بين العلم والدين . الأمر الذي أشعل النار في العالم الغربي أكثر من ألف سنة

« فان عدتم فسألتوني بعد هذا التفصيل عن حقيقة رأيي في ذى القرنين وياجوج واما جوج أجبتكم بأنى لم أحصل عنهما علما يحسن نشره . وهما في نظري من مثابه القرآن الذى لا يضر المسلم أن يجهله بل امر أن لا يجعله موضوع نزاع بينه وبين الناظرين . وتفضلوا بقبول احترامى الفائق وشكرى الجزيل ما محمد فريد وجدى

روح البيان

وورد فى الصحيفة ٦٢٤ من الجزء الثالث من كتاب تفسير القرآن المسمى بروح البيان للأستاذ الشيخ اسماعيل حقى افندى ما يأتى حرفياً :

« (ويسألونك عن ذى القرنين) هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ شرق الأرض وغربها أو سأل قريش بتأنيهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه اسكندر ابن فيلقوس اليونانى ملك الدنيا بأمرها . كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة : مؤمنان وكافران . فالمؤمنان سليمان وذو القرنين والكافران نمروذ وبختنصر . وفى مشكاة الأنوار شداد بن عاد بدل ببختنصر وكان ذو القرنين بعد نمروذ فى عهد ابراهيم عليه السلام على ما يأتى ولكنه عاش طويلاً ألفاً وستمائة سنة على ما قالوا . وفى تفسير الشيخ وكان بعد نمود وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المنتشار الذى هو من الملائكة بمنزلة الوزير . قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبياً ولا ملكاً وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم واتقادت له البلاد . مات بمدينة شهر زور بعدما خرج من الظلمة ودفن فيها . وفى التبيان مدة دوران ذى القرنين فى الدنيا خمسمائة . ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس ومات به . وإنما سمى بذى القرنين لأنه بلغ قرن الشمس أى جانبها مشرقها ومغربها . كما لقب أردشير واضع

الترد بطويل اليدين لنفوذ أمره حيث أراد . وفي القاموس لما دعاهم إلى الله ضربه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم دعاهم فضربه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياه الله . كما سمي على بن أبي طالب رضى الله عنه بذى القرنين لما كان شجعتان في قرني رأسه أحدهما من عمرو بن ود والثانية من ابن ملجم لعنه الله . وفي قصص الأنبياء وكان قد رأى في منامه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه به . وقال الأمام السيوطي رحمه الله في الأوائل أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك انه طلع له في رأسه قرنان كالظافير يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم انه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فان سمعت به من أحد قتلتك . فخرج الكاتب من الحمام فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فيه في الأرض ثم نادى : ألا ان للملك قرنين فأثبت الله من كلمته قصبتين فمربهما راع فقطعهما واتخذهما مزمراً فكان اذا زمر خرج من القصبتين ألا ان للملك قرنين فانتشر ذلك في المدينة . فقال ذو القرنين هذا أمر أراد الله ان يديه . وأما ذو القرنين الثاني وهو اسكندر الرومي الذي يؤرخ بآيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثمانئة سنة . وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف . وهو الذي حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطى أرضهم وكان كافراً عاش ستاً وثلاثين سنة . فالمراد بذى القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني . وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله تعالى .

وذكر البغيني في شرحه عن البخاري صحيفة رقم ٢٣٣ جزء ١٥ أن ذا القرنين المذكور في القرآن المذكور في السنة الناس بالاسكندر ليس الاسكندر اليوناني . فإياه . فبشرك ووزيره أنسطاطانيس - كذا - والاسكندر المؤمن الذي ذكره الله في القرآن اسمه عبد الله ابن الضحاك ابن معد قاله ابن عباس . ونسب هذا القول أيضاً إلى علي ابن أبي طالب رضى الله تعالى عنه . وقيل اسمه مسعد ابن عبد الله وذكر له نسباً ينتهي إلى سبأ ابن قحطان . وقد جاء في حديث أنه من حمير وأمه رومية وكان يقال له ابن الفيلسوف لعقله وقال وهب ابن منبه اسمه الاسكندر .

ثم قال العيني ومن هنا يشارك الاسكندر اليوناني في الاسم . وكثير من الناس يخطئون في هذا ويؤمنون ان الاسكندر المذكور في القرآن هو الاسكندر اليوناني ^(١) وهو زعم فاسد . لأن الاسكندر اليوناني الذي بنى الاسكندرية كافر مشرك وذو القرنين عبد صالح ملك الأرض شرقاً وغرباً حتى ذهب جماعة الى نبوته . واختلفوا في الزمن الذي وجد فيه فقيل بعد نوح وقيل بعد اسحق وقيل بين عيسى ومحمد والأصح أنه كان في أيام الخليل ابراهيم عليه السلام واجتمع به في الشام وقيل بمكة وسمى بنى القرنين قيل لأنه باع قطرى الأرض المشرق والمغرب . وقيل لأنه ملك فارس والروم . وقيل كان ذا ضفيريّين من شعر . والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرناً . وقيل غير ذلك . انتهى من العيني باختصار

وجاء في صفحة ٩٤ من كتاب (مصر في قيصريّة الاسكندر المقدوني)
للاستاذ اسماعيل مظهر ما يأتي :

« الذي نعرفه أن ذا القرنين الذي ذكر في القرآن الكريم عربي يمني وليس الاسكندر المقدوني . وأذكر أنني اطلعت مرة أن ملكاً من ملوك حمير يسمى الصعب ويلقب بنى القرنين وذلك في كتاب التيجان لابن هشام وبرواية وهب بن منبه . ولما كنت غير متحقق من ذلك كتبت للأستاذ « ا. ه. ر. جب A. H. R. Gibb » كتاباً أستوضحه فيه هذا الأمر فأجاب حفظه الله بما يأتي :

(١) (وقع في هذا الخطأ المؤرخ الفرنسي جورج راديه Georges Radet اذ قال في صفحة ٤٢٠ من كتابه « اسكندر الاكبر » " Dans le Coran, une des surates investit d'une mission divine l'Homme aux deux cornes" Zoul-Quarnaïn : Iskander est devenu un précurseur de Mahomet. . . ")

وبهذا المعنى ايضاً ما قاله العالم فيلسوف المؤرخ الالمانى :

" Dans le Coran aussi, Alexandre poursuit son existence, car le Dhoul-Karnaïn (celui qui a deux cornes) dont il est question dans la dix-huitième Soura, désigne " Iskender " ; c'est sans doute un souvenir du fils d'Ammon, orné des deux cornes de son père " V. Alexandre le Grand, par Ulrich Wilcken - Page 327.

« أظن الكلمة التي تعنيها في شأن ذي القرنين والتبع الصعب هو ما كتب الأستاذ « نكلسون Nicholson » في كتاب « تاريخ أدب العرب » ص ١٧ ولا أعرف من ذكر ذلك من مؤلفي العرب غير اليمنيين مثل نشوان بن سعيد الحميري في كتاب « شمس العلوم » وقد قال هذا ما نصه : « الصعب اسم ذي القرنين السيار . قال ليبد :

لو كان حي بالحياة مخلداً في الدهر خلده أبو يكسوم
والصعب ذو القرنين أصبح ثاوياً بالحنو في جدث هناك مقيم
« وعن علي ابن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباد (رضى الله عنهما) أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر وقد أوضحت في كتاب « القاف » أن ذا القرنين الذي بنى سد يأجوج ومأجوج هو تبع الأقرن « ١ . هـ

وقرأنا في كتاب الأستاذ ابن القاسم المدرس بالمعهد الأزهر (في ترجمة الشيخ السبكي) ما يأتي :

(ذو القرنين) كان ملكاً عادلاً لانبياً على الصحيح . قال أبو الطفيل : سئل على رضى الله عنه عن ذي القرنين أكان نبياً أم ملكاً ؟ قال لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً أحب الله وأحبه الله . وناصح الله فناصره الله . أخرجه البغوى وسفيان بن عيينة في جامعه بسند صحيح . قال الحافظ في الفتح . وقد أثنى الله عليه بالعدل . وانه بلغ المشارق والمغارب وملك الأقاليم وسار في أهلها بالعدالة التامة والساطان المؤيد . قال ابن عباس : كان ذو القرنين ملكاً صالحاً أثنى الله عليه في كتابه . وكان منصوراً وكان الخضر وزيره . وذكر الأزرقي وغيره أنه أسلم على يدى ابراهيم الخليل وطاف معه الكعبة المكرمة (واختاف في اسمه) والصحيح انه اسكندر بن فيلبش بن بطريوس . وهو باني الاسكندرية وسماها باسمه . ولقب بذى القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها . وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان . هـ

وسأل سائل المرحوم توفيق حبيب « الصحافي المعجوز » عن ذي القرنين . وها السؤال

والجواب :

« كنت أعتقد أن اسكندر الأكبر المقدوني هو اسكندر ذو القرنين وليكنني
عشرت في مطالعاتي على ما غير اعتقادي وبديل ظني ، واليك بعض ما دعا إلى حيرتي :
١ - يقال أن ذا القرنين ملك من ملوك حمير وهم من العرب العاربة . وكان
ملكاً جباراً

٢ - أن لفظة « ذو » عربية فائس لها علاقة بذلك العاهل اليوناني
« سئل ابن عباس ، رضي الله عنه ، عن ذي القرنين ممن كان ؟ فقال من حمير
وآناه من كل شيء سبباً ، فبلغ قرني الشمس ، ورأس الأرض ، وبني السد على أجوج
ومأجوج ، وقيل له . فلاسكندر ؟ قال : كان رجلاً صالحاً رومياً حكيماً ، بني على
الأرض في أفريقية مناراً ، وأخذ رومه ، وإلى بحر العرب ، وأكثر من عمل الآثار الخ
« وقال النعمان بن المنذر

« فمن ذا يماودنا من الناس معشراً كراماً فذو القرنين منا وحاتم
« وفيه يقول ابن أبي ذئب الخزاعي :

« ومن ذا الذي بالخافقين تغرباً واصعد في كل البلاد وصوباً
« فقرناً لقرن الشمس شرقاً ومغرباً وفي روم يأجوج وبني ثم نصبا
« وذلك ذو القرنين تفخر حمير بعسكر قيل ليس يحصى فيحسباً

« وقال الأمام فخر الدين الرازي في تفسير القرآن الكريم :
« ومما يعترض به على من قال أن الاسكندر هو ذو القرنين أن معلم الاسكندر
كان ارسطاطاليس ، يأمره يأتمر وينهي ينتهي . واعتقاد ارسطاطاليس مشهور . وذو
القرنين نبى . فكيف يقتدى نبى بأمر كافر ؟ - في هذا إشكال »

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان : « ان ذا القرنين كانت أمه آدمية وأبوه من
الملائكة ^(١) . ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً ينادى رجلاً ، يا ذا
القرنين ، قال أفزعتم من السماء الانبياء فارتفعتم الى أسماء الملائكة »

(١) وتجد هذه الاسطورة متواترة ايضاً في كتب التاريخ . يقول المؤرخ لوبا Le Bas

في الصحيفة ٢٤٢ من الجزء الاول من كتابه « التاريخ القديم »

« On dit que sa mère Olympias eut, la veille de ses nocces, une

« وفي ذى القرنين أقاويل كثيرة تثبت أن ذا القرنين ملك من ملوك العرب العاربة . فهل نسلم بهذه الاقوال والدلائل عليها واضحة ، والاثبات بينة بأن الاسكندر وذا القرنين رجلان ؟ أم نصبر إلى أن نجدنا أهل البحث والاضطلاع بمثل هذه المباحث تصحيحاً للأخطاء وإزالة للريب ؟

١.١.١ ز

vision extraordinaire. Elle songea que la foudre était tombée dans son sein, et qu'il en était sorti des flammes qui se répandirent au loin."

ويقول احد مؤرخى الاسكندر « جورج راديه » Georges Radet في الصحيفة ١١ من كتابه « اسكندر الاكبر »

"La nuit qui précède l'entrée des époux dans la chambre nuptiale, Olympias rêve qu'un éclair, suivi d'un coup de tonnerre, la frappe au sein. Vierge, elle conçoit, immatériellement, au passage de cette lumière fulgurante, un fils, dont, physiquement, après la consommation des noces, Philippe reste le procréateur. D'ores et déjà, Alexandre est un homme-dieu. Toute sa destinée consiste à réaliser historiquement le mystère de cette divine origine."

ليس من الغريب ان يتوافق كلام الجاحظ وماراوه ومؤرخو الاسكندر . مثل هذه الخرافات كانت شائعة في الزمن الفار ولا سيما عند الاغريق والفرس والميديين والليديين والهنود . ها مثال منها :

كان الميديون قد أخضعوا بلاد فارس وبسطوا سلطانهم عليهم فترة من الزمان الى أن برز من بينهم قورش Cyrus . وبعد أن شق عصا الطاعة قاتل الميديين وطردهم ثم استوى على عرش بلاد فارس وبلاد ميديا معاً . ولما استتب له الامر قاتل كريزوس Crésus ملك الميديين وحاصره في مدينة سرت Sardes فانتصر عليه وبسط سلطانه على آسيا الصغرى كلها . ثم زحف على تركستان وأفغانستان وغزاهما . ثم وجه جيوشه غرباً واستولى على بابل وبهذا امتد سلطانه على بلاد واسمة يحدها نهر الهند شرقاً وبرزخ الدويس غرباً (وترك مصر فغزاهما ابنه قمبيز) ولما اراد غزو بلاد اسكوتيه Scythes جنوب روسيا قتل . وبالنظر لفتوحاته الواسعة وانتصاراته الكثيرة تعددت الاقاويل عن أصله وفصله . فزعموا أن استياج Astiage ملك ميديا كان زوج بنته ماندان Mandane من احد اشراف الفرس وفي ذات ليلة رأى في منامه ان حفيده (ابن بنته ماندان) خلعه وخافه على العرش . فتربص الى ان وضعت بنته ولداً فامر بنزعه من أمه وسلمه لاحد الحراس واسمه هارباج Harpage وأمره بان يقتله . الا ان هارباج رأى بالولد ولم يقتله واكتفى بان تركه في جبل سهيق فالتقطه الرعاة . ولما ترعرع الولد ظهرت عليه امارات الامارة ثم اتصل خبره بجمه ملك ميديا استياج فامر بان يؤتي له بالولد ولما مثل بين يديه رق قلبه وأخذ الولد ورباه . ولما رهق عينه حاكماً على فارس . ولما قويت شوكة الولد خلع جمه استياج واستوى على العرش مكانه

فكان جواب « الصحافي المعجوز »

« هذا » شكل قديم للبيع »

« فأما أن هناك إثنين يلقبان بذى القرنين ، فأمر لا يختلف فيه إثنان

» وإما أن الاسكندر هو غير ذى القرنين ، فرأى غير صحيح

« وأما أن الاسكندر شئ ، وذا القرنين شئ ، آخر ، فكذلك حديث بعيد عن الصواب

« والملك العربي ، الذي يشير اليه الكاتب الحائر ، هو المنذر الثالث من ملوك العرب

(حكم من سنة ٥١٣ الى سنة ٥٦٣ للميلاد) وكان من اعظم الملوك قوة وبأسا

حارب الرومان غير مرة وغزا بلادهم ، ونال منهم الغنائم وسيبي السبي وكان حليفاً لملك

الفرس ، ظفر بصحبته بقائد الرومان بايزار . واراده ذو نواس الحميري على اغتصاب

النصارى ، فامتنع عن ذلك وعاش المنذر الى زمان كسرى انوشروان ولقبه معاصروه

وهو رخواه بذى القرنين

« أما الاسكندر ، فانه بعد ان فتح مصر وأنشأ مدينة الاسكندرية المم ان يزور

معبد الاله آمون في واحة سيوه فتلقاء كهانها بالترحيب واكثروا من تمليقه حتى كاد ان

ينكر انه ابن فيلبس المقدوني ولبس تاجا ذا قرنين على مثال تماثيل آمون . ورمم بهذا

الذي على الهياكل والبرابي والمسلات

« وربما كانت هذه الدعوى والرسوم والصور هي التي دعت بعض مفسري القرآن

وشراحه وبعض علماء الادب والتاريخ العربي الى توهم ان ذا القرنين نبي وقول الجاحظ

ان ام الاسكندر ادمية وأباه آله

« ونظر كتاب العرب الى موضوع القرنين من الوجهة التاريخية والادبية فقال أبو

الفرج المالطي :

« ومن جملة ملوك اليونانيين الاسكندر ابن فيليبوس المقدوني ، الذي اجمع ملوك

الارض طرا على الطاعة لسلطانه وملاك ست سنين بعد قتله داريوس وكان قد ملك

قبل ذلك ستا اخرى وفتح بلاداً كثيرة ، حتى بلغ ملكه الى اقصى الهند وأوائل حدود

الصين وسمي ذا القرنين لبلوغه قرني الشمس وهما المشرق والمغرب »

وقال الاب لويس شيخو في شرح « مجاني الادب » :
« وسمى ذو القرنين ، لبلوغه قرنى الشمس وهما المشرق والمغرب وقيل سمي بذلك
لانه كان فى رأسه شبه قرنين أو ذو ابتين وقيل لانه ملك فارس والروم والارجح انه
لقب بذلك لعظم اقتداره وسطوته ، لان القرنين كناية عن السلطان كما يرى ذلك فى
الكتب القديمة لاسيما الصحف المقدسة

هذا ماوصل اليه « علم » الصحافى العجوز و « العلم » الغزير الفياض عند استاذنا
الشيخ عبد الوهاب النجار . وفوق كل ذى علم عليم والله اعلم . - راجع عدد الاهرام
١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٣ « صحافى عجوز »

عن بأجوج ومأجوج

فى مجلة الثقافة عدد ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٠ بحث بقلم العلامة الأب انتاس مارى
الكرملى جاء فيه :

(والذي اعرفه ان يأجوج ومأجوج هم الأسكوتيون أو الأشكوزيون أو السقوثيون
أى Al Seythes . وأسم بلادهم اسكوتية أو اشكوزيه وسماها الهمداني فى كتابه - صفة
جزيرة العرب - سفونيا -)

أرأيت هذا الخلاف الكبير بين المفسرين والمؤرخين . إذ بينما يقول بعضهم
أن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم اسمه اسكندر وأنه هو هو اسكندر
المقدونى يقول البعض الآخر - وهم المحققون - أن ذا القرنين الوارد ذكره فى
القرآن الكريم ليس اسمه اسكندر وليس هو اسكندر المقدونى . وبينما نرى البعض
يقول أن ذا القرنين الوارد ذكره فى القرآن الكريم هو ملك (بفتح اللام) نرى
البعض الآخر يقول انه ملك (بكسر اللام) . وبينما نرى البعض يقول بأنه نبي مؤمن
بالله يقول البعض الآخر بأنه ملك كافر .

ثم نراهم مختلفين أيضاً فى معرفة من هو « ذلك الغير » (غير اسكندر المقدونى)
فيقول البعض أنه (الصعب ابن الحارث) من ملوك اليمن الأقدمين . ويقول البعض



محراب في معبد دندره
معابد اسوان ودندره وادفو من أهم آثار البطالسة
راجع ذيل صحيفتي ٥٩ و ٦٠

الآخر أنه (عبد الله ابن الضحاك) . ويقول البعض الآخر أنه (مسعد ابن عبد الله) ومنهم من قال بأنه (المنذر) من ملوك العرب . ثم نراهم غير متفقين في صحة اسم اسكندر المقدوني فيقول بعضهم أنه (ابن فيلقوس اليوناني) ويقول البعض الآخر انه (بن فيلبش بن بطريوس) وأنه (مؤمن) وأنه عاصر (ابراهيم عليه السلام) وأنه (عاش ١٦٠٠ سنة) وأن (الخضر كان مستشاره ووزيره) وأنه (كان ملكا صالحا عادلا) وأنه (مات في مدينة شهر زور ودفن فيها) ويقول البعض الآخر أنه (أقام في بيت المقدس ومات به) . ومنهم من سمي معلم اسكندر (أنسطاطانيس) ومنهم من سماه (ارسطاطاليس) - وهو الأصح -

الخلاصة ان الوارد ذكره في القرآن هو - بالتأكيد - غير اسكندر المقدوني . اما من هو فالعلم عند الله - وصدق حضرة الأستاذ محمد فريد وجدى عند ما قال بأن القرآن الكريم فيه آيات (محكمات) وآيات (متشابهات) تعجز أذهاننا عن ادراك بعضها .

حكم التاريخ

ما حكم التاريخ في اسكندر الأكبر . هل حياته كانت حسنات أو كانت سيئات أو كانت بين بين ؟

ذهب المؤرخون في تقدير اسكندر الأكبر مذاهب شتى . بعضهم رفعه الى أعلى عيّن وبعضهم رده الى أسفل سافلين والبعض الآخر قال أن له حسنات وله سيئات وحسناته يذهبن سيئاته . صدق من قال لا يخلو الانسان من ماحد وقادح ولاناس بعدد رؤوسهم آراء .

Autant de têtes, autant d'avis. Tot capita, tot sensus .

ولنعدّد هنا حسناته ولنعدّد سيئاته ونزو ما قاله المادحون وما قاله القادحون ثم نترك للقارىء الحكم .

كان لأسكندر مهملان والمعلمان كانا أبرع رجال العصر الذي نشأ فيه :

- أبوه فيليب الذي عدّ في زمانه - وعدّ بحق - أعظم رجال الحرب

- ومعلمه أرسطاطاليس الذي عدّ في زمانه - وعدّ بحق - أعظم رجال العلم والفلسفة.
أبوه فيليب اشتهر بمداينة الحروب وممارسة القتال حتى انه في خلال خمس سنوات انتصر على أعدائه تسع مرات في تسع وقائع. وكان فوق هذا من أعظم رجال السياسة. كان يجمع في قبضة يده زمام السياسة مع زمام الحرب. أحبط تألب الدول المجاورة التي كانت متحالفة ومتحفزة لغزو مقدونيا، احبط تألبها بمناورات سياسية في غاية البراعة استخدم فيها ذهبه ومكره ودهاءه فتمكن من التفريق بين الدول المتحالفة ففشت فيما نوت فأنقذ وطنه من أخطار مدلهمة كانت تنذر بأشد الويلات ^(١) ولبراعته في الحرب وفي السياسة بايعه بنو وطنه ملكا عليهم وكان عمره لا يزيد على ٢٤ سنة حارب غرباً الألبانيين Illyriens وبسط نفوذه على بلاد أبيروس Epire وحارب شرقاً أهل تراقيا Thrace ثم انتهى بضم أبيروس وتراقيا الى مقدونيا. وحارب شمالاً الى أن وصل الى نهر الدانوب. وحارب جنوباً فغزا جميع البلاد الواقعة على شاطئ البحر ومنها مدينة ستاجير Stagyre - سقط راس ارسطو. وبسط سلطانه على تساليا Thessalie فأصبح صاحب الكلمة النافذة على بلاد البلقان من أقصاها شمالاً الى أقصاها جنوباً.
وكان في نيته غزو بيزانطة (القسطنطينية سابقاً وأستانبول الآن) كما كان في نيته طرد الفرس من جميع البلاد اليونانية في أوروبا وفي آسيا إلا أن المنية عاجلته في حياته اشرك « ابنه اسكندر » في فتوحاته وفي غزواته. وأحرز اسكندر نصراً كبيراً في واقعة كيرونيه Chéronée التي ذاع فيها صيته في جميع الأمصار والأقطار.

(١) ويقول المؤرخ الالماني فيلكن Ulrich Wilcken :

“ On comprend du reste que Philippe, maitre en diplomatie, ait gardé pour lui et tenu secrets, autant que possible, tous ces projets et plans d'avenir. Mais puisqu'il voulait les réaliser, il avait besoin d'une armée fortement préparée. Sans doute il sut obtenir beaucoup de choses, soit des Barbares, soit des Grecs, par la corruption, mais c'est à sa bonne épée qu'il doit le plus clair de sa réussite. Sa réorganisation de l'armée macédonienne est une oeuvre absolument géniale.” P. 41

أهم ما اشتهر به فيليب تنظيم الجيش المقدوني وتدريبه على أحسن النظم الحربية وجمعه في أرفع مستوى : وهو الذي أبتكر نظام الفيالق الكثيفة المعروفة باسم Phalange^(١) وهو النظام الذي أخذه عنه كبار رجال الحرب مثل يوليوس قيصر ونابليون وعمل به أبنة اسكندر حتى قيل أن هذه الفيالق هي التي مهدت لاسكندر سبل انتصاره في جميع حروبه مع الفرس ومع الهنود ومع غيرهم. قال المؤرخ الألماني فيليكن :

" Philippe est le premier créateur de la fameuse phalange macédonienne." P. 43 Wilken

وقال في صحيفة ١٦ :

" C'est son illustre père, Philippe, qui a le plus fortement travaillé pour lui. Alexandre lui doit non seulement l'instrument de ses victoires, l'incomparable armée macédonienne, mais encore la liquidation de la question grecque par la création de la Ligue corinthienne et le projet d'une guerre de revanche de toute l'Hellade contre les Perses." P. 16

ثم زاد فقال :

" sans Philippe, qui est également une grande figure de l'histoire, nous ne pouvons pas concevoir Alexandre." P. 16

وختم بقوله :

"La phalange macédonienne fut l'instrument des victoires d'Alexandre."

وهذا النظام هو الذي عمل به أيضاً فردريك الثاني ملك بروسيا كما عمل به ويعمل به الى الآن رجال الحرب في ألمانيا وفيليب أيضاً هو الذي ابتكر نظام المربعات carré الذي أخذه عنه نابليون وطبقه في

(١) كل فيلق يتألف من ١٦٠٠٠ مقاتل يحمل كل منهم سيفاً قصيراً وحربة . وكل فيلق مقسوم الى وحدات صغيرة كل وحدة منها لها واجهة من ٥٠ مقاتلاً في عمق ٥٠ وبهذه الكثافة تدبر الفيالق كأنها قلاع متحركة :

"La phalange macédonienne au IV^e siècle av. J. C. se composait de 16,000 hommes armés d'une épée courte et d'une sarisse, et, elle était divisée en petites phalanges de 50 hommes de front sur 15 de profondeur."

واقعة الاهرام ضد المماليك. كما طبقه محمد علي باشا في حروبه مع الوهابيين في جزيرة العرب
وفيليب ابتكر أيضاً أساليب حربية عدة في فن حصار المدن والقلاع .
وفي هذا الصدد يقول فيلكن أيضاً :

" Dans l'art des sièges également, Philippe a fait époque. P. 43 "

وفيليب أيضاً فضل ابتكار النظرية التي توجب تحطيم قوة العدو تحطيماً تاماً
بلا شفقة ولا هوادة
قال فيلكن :

" En stratégie aussi, Philippe a opéré une révolution, car il fut le premier - à moins qu'on ne doive attribuer cette conception déjà à Epaminondas - à réaliser tout à fait consciemment la stratégie qui vise à la destruction complète de l'adversaire, la stratégie d'écrasement, comme l'appelle l'ouvrage classique de notre général von Clausewitz (De la Guerre)." P. 43 (١)

ولنبوغه في الحرب وفي السياسة أكثر منافسوه وأكثر حشاده وتعرضت حياته
للخطر غير مرة .

— أنقذه ابنه اسكندر من الموت في إحدى الوقائع التي حارب فيها في شمال مقدونيا.

(١) سبب رجوعنا الى آراء المؤرخ الألماني فيلكن Wilcken هو ان فيلكن هذا من أكبر الثقات — أن لم يكن أكبرهم — في دراسة اوراق البردي الاغريقية . وفي هذا يقول العالم السويسري فيكتور مارتان Victor Martin ان فيلكن (هو العالم الوحيد في العالم كله الذي درس جيم اوراق البردي اليونانية التي نشرت حتى الآن ويزيد عددها على عشرة آلاف)
(Mr. Wilcken est peut-être le seul savant au monde qui ait pris connaissance de tous les papyrus grecs publiés jusqu'ici et dont le nombre dépasse dix mille.)

ودراسة اوراق البردي صارت علماً من العلوم الخاصة اسمها Papyrologie ويسمون علماء البردي papyrologues

وكلمة papyrus مشتقة من الكلمة اللاتينية papyrus ومن الكلمة اليونانية papuros .
والبردي نبات كان ينبت قديماً على شواطئ النيل وفي مستنقعات الدلتا . وكان قدماء المصريين يستعملون اوراقه للكتابة عليها . وقد اندثر نبات البردي من القطر المصري ولا ينبت الآن الا في بعض مناطق من ايطاليا وفي بلاد الجابون Gabon

ومن كلمة papyrus اشتقت كلمة papier الفرنسية وكلمة paper الانجليزية وكلمة papier الألمانية

- وفي حصار مدينة أمفيبوليس Amphipolis صوب أحد أعدائه سهماً أصاب عينه اليمنى فقأها . وقد وجد منقوشاً على السهم الكلمة الآتية : (خذها يا فيليب في عينك اليمنى) .

- وكان من أشد أعدائه ديموستين Démosthène خطيب اليونان السلاق الشهير . وقد خطب ضده خطباً كثيرة حماسية لاذعة اشتهرت في التاريخ وفي الأدب باسم فيليبيك Philippiques ولكن فيليب انتصر عليه .

- ونصبت له بلاد اليونان قنطراً عاماً على جيوشها وفوتت اليه محاربة الفرس وطردتهم من جميع البلاد اليونانية ومن جميع المدن والثغور التي استعمرها . واطنوه الأغريق في آسيا وفي أفريقيا .

- وعلاوة على نبوغه في الحرب وفي السياسة كان محباً للعلوم والفنون . استدعى إلى ييللا Pella عاصمة ملكه كثيراً من مهرة الصنائع والفنانين الأغريق وطائفة كبيرة من الفلاسفة والعلماء والشعراء ليزين بهم ييللا

هذا هو أبو اسكندر الأكبر . وهو كما ترى عبقرى في فن الحرب وفي السياسة لا يجاريه في زمانه أحد . وقد صدق المؤرخ الألماني فيلكن Wilken عند ما وصفه بكلمة جامعة مانعة قال فيها : أن فيليب من أعظم الملوك الذين ذكرهم التاريخ : -

" Philippe nous apparaît comme l'un des plus grands souverains de l'histoire. P. 89."

أما ارسطاطاليس معلم اسكندر الأكبر فكان باجماع الآراء من أكبر فلاسفة الدهر قديماً وحديثاً

يقول العرب أن العصا من العصية . ومن شابه أباد فما ظلم . والولد مرأيه (١) وحسب فيليب أن يكون أبا الاسكندر . وحسب الاسكندر أن يكون ابن

(١) وإذا جاز لنا ان نستعير من فيكتور هوجو Victor Hugo شاعر فرنسا الأكبر قوله عن نابليون بونابرت :

" Déjà Napoléon perçait sous Bonaparte "

كان لنا ان نقول عن الاسكندر :

" Déjà Alexandre perçait sous Philippe "

فيليب . وكما أن أرسطو فاق معلمه أفلاطون كذلك فاق اسكندر أباه فيليب . وإذا كان فيليب انشأ مملكة فاسكندر أسس امبراطورية . وإذا كانت فتوحات فيليب قصرت على أوروبا ففتوحات اسكندر شملت أوروبا وآسيا وأفريقيا . وإذا كان فيليب قد غزا جمهوريات ودولا صغيرة فالأسكندر غزا عشرات الممالك منها مملكة الفرس وكانت تعد في ذلك العهد أكبر وأوسع وأقوى وأغنى مملكة في العالم . وعلى هذا فإذا تجاب الأب والابن في العبقرية فعبقرية اسكندر تجب عبقرية فيليب مائة مرة أو تزيد .

غزوات هربية : حارب اسكندر قبل أن يستوى على عرش مقدونيا وانتصر . -
بدأ حياته الحربية وعمره ١٧ سنة فانتصر في واقعة كيرونية Chéronée المشهورة وحارب بعد أن تولى الملك فانتصر . وكانت غزواته وفتوحاته سلسلة انتصارات في بلاد اليونان وفي الأناضول وفي سوريا وفي فلسطين وفي مصر وفي العراق وفي بابل وفي بلاد فارس وفي بلاد أفغانستان وتركستان وداغستان وبلوشستان وفي بخارى وفي الهند إلى أن وصل إلى المحيط الهادي ^(١) . ومن غريب أمره أن فتوحاته وغزواته كانت سلسلة انتصارات قهر فيها أعداءه وخصومه ولم يقهره أحد ^(٢) Il portait la victoire là où il portait son épée كانت حياة اسكندر كلها توفيقات ^(٣) وقد آتاه الله من كل شيء سبيغا منذ دب إلى أن شب .

(١) تذكرني وقفة الاسكندر على شاطئ المحيط الهادي بعد أن اجتاز كل هذه البلاد المترامية الأطراف بوقة عقبة بن نافع على شاطئ المحيط الاطلسي في افعى المغرب بعد أن اجتاز البلاد المترامية الأطراف في شمال افريقيا اذ قال : (والله لو علمت وراءه أرضا لسرت غازيا في سبيل الله) .

(٢) وشبهه بالاسكندر امنحت الاول فرعون مصر ورأس الاسرة الثانية عنبرة . قال في اخريات ايامه « اني لم اراجع امام اعدائي من يوم ان ولدت . »

(٣) تذكرني حياة اسكندر التي كانت كلها توفيقات بحياة يوسف الثاني Joseph II امبراطور النمسا (ابن الامبراطورة ماري تيريز Marie Thérèse) التي كانت مقرونة من بدايتها إلى نهايتها بالحبيبة والفشل سواء في حروبه او في سياسته حتى انه من فرط حزنه اوصي بأن يكتب على قبره (هذا قبر يوسف الذي كتب له الفشل في جميع مشروعاته)

” Ci - git, Joseph . qui fut malheureux dans toutes ses entreprises ”

لم تستطع اية قلعة أو اية مدينة لا ترام أن تصمد أمام قوته القاهرة . فلا صمدت مدينة سرت Sardes الحصينة . ولا صور Tyr الحصينة . ولا غزّة Gaza الحصينة . ولا قلعة أرياماز Ariamaze . ولا قلعة خوريين Choriène . ولا قلعة ماساجا Massaga حتى صبح أن يقال فيه ما قيل في المارشال فوبان Vauban أكبر رجال الحرب في عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا :

* Ville investie par Vauban, ville prise ; ville défendue par Vauban , ville imprenable. "

- واسكندر الأكبر هو الذي ابتدع الحرب الخاطفة وكان هذا سرّ فوزه في كل غزواته وفتوحاته . أضرب لك مثلاً واحداً على السرعة الخاطفة التي كانت سرّ انتصاره على ملوك وأمرأآسيا . لما شبت الثورة في بلاد بخارى وحاصر الثوار الحامية المقدونية في سمرقند أرسل اسكندر قوة كبيرة من جيشه لتثبيت القوة الايرانية وفك الحصار عن الحامية . رفع الحصار مؤقتاً ولكن الايرانيين عادوا وهجموا على جنود القوة المقدونية وأبادوها عن آخرها . ثم ضربوا الحصار مرة ثانية على سمرقند وأسرع قائد القوة الايرانية وطلب نجدات من البلاد المجاورة . فلما علم الاسكندر بذلك وكان مرابطاً على نهر سرداريه خف في الحال مسرعاً وقطع ٢٩٠ كيلو متراً في ثلاثة أيام وبضع ساعات إلى أن وصل إلى سمرقند . وبمجرد ما علم قائد القوة الايرانية بقدومه هرب قبل أن يصل إليه المدد وقبل أن يتهيأ للقتال .

هذه السرعة الهائلة في ضرب العدو قبل أن يستعد كانت دائماً سياسة الاسكندر في جميع حروبه مع الأغريق ومع الفرس ومع الأفغان ومع الكرد ومع الهنود . ولما أراد القبض على بسوس Bessus (الذي غدر بالملك دارا واغتاله) أنفذ بطليموس Ptolémée ليأتي له به حياً أو ميتاً وبطليموس قطع في أربعة أيام مسيرة عشرة أيام وتمكن من القبض على بسوس وأتى به الى الاسكندر مكبلاً بالحديد . وقد أخذ عنه هذا الضرب من فنون الحرب مشاهير قواد الرومان مثل يوليوس قيصر Jules César وبومبييه Pompée وأنطوان Antoine وأوكتاف Octave . كما أخذه عنه وعنهم فريدريك الثاني Frédéric II ملك بروسيا وتورين Turenne وكونديه

Condé من مشاهير رجال الحرب في فرنسا وأخذه عنهم جميعاً نابليون بونابرت Napoléon وفي هذا الصدد يقول أحد حكام البلاد التي غزاها بونابرت في إيطاليا وصفاً لسرعة زحف جنوده (الفرنسيون لا يمشون مشياً بل يركضون ركضاً " les français ne marchent pas, ils courent -) ومن يطالع تاريخ نابليون يجد أنه كان مغرمًا بمطالعة الكتب التي وضعت في حياة أسكندر الأكبر

وهذا الضرب من الحرب هو الذي حبذه واستعمله قواد الحرب في ألمانيا وسموه الحرب الصاعقة Blitz Krieg

انتصر أسكندر في جميع غزواته :

- على الرغم من أنه غاب عن وطنه - مقدونيا - عشر سنوات كاملة . جاس في خلالها بلاداً واسعة في أوروبا وفي أفريقيا وفي آسيا وقطع زهاء ٣٤٠٠٠ كيلومتراً . واجتاز سهولاً فسيحة وأودية عميقة وجبالاً شائخة وفيافي وفلاة جرداء لا زاد فيها ولا ماء ولا دار ولا ديار . مثل صحارى ليبيا بين مرسى مطروح وسبوه . وبين سيوه وممفيس وبيافع طولها ٦٠٠ كيلومتراً وزيادة . ومثل فيافي بلوشستان التي اضطرب فيها هو وجنوده إلى ذبح الخيول والبغال وأكأها . وكثيراً ما بات هو وجنده على الطوى . وباتوا في الفلوات بين ربح صرّ وليل قرّ ومرض قتال ومطر هطال . اذ نزل عليه وعلى جنوده في الهند مطر لا يفضض استمر ٧٠ يوماً .

- ومع أن عمره لم يطل أكثر من ٣٣ سنة^(١) ومدة حكمه لم تزيد على ١٤ سنة^(٢) . منها عشر سنوات أسس فيها أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ لا تغيب عنها الشمس

(١) لم يبدأ المسيح نشر دعوته إلا بعد ما بلغت سنه ٣٣ سنة . والذي (ص) بدأ رسالته وسنه ٤٠ سنة .

(٢) ولأناسبة الكلام على عمر أسكندر ومدة حكمه نقول :

- عاش بيبي الأول Papi I من أسرة الفراعنة الرابعة مائة سنة ونيّفاً وحكم ٩٤ سنة .
- وعاش لويس الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا ٧٧ سنة وحكم ٧٢ سنة .
- وعاش فرنسوا جوزيف Francois Joseph إمبراطور النمسا والمجر ٨٦ سنة وحكم ٦٨ سنة .
- وعاش رمسيس الثاني Ramsés II فرعون مصر ٨٥ سنة وحكم ٦٧ سنة .
- وعاش أوكتاف الذي صار فيما بعد الإمبراطور أغسطس ٦٧ سنة وحكم ٤٤ سنة .
- وعاشت الملكة فيكتوريا la reine Victoria ٨٢ سنة وحكمت ٦٤ سنة .

تمتد من الهند وأفغانستان شرقاً إلى مقدونيا وصحارى ليبيا غرباً. ومن مصب نهر الدانوب شمالاً إلى مصب نهر النيل جنوباً^(١). وكان هو بنفسه يدير دفقة سفينة هذه الامبراطورية

-
- وعاش جورج الثالث ملك انجلترا ٨٢ سنة وحكم ٦٠ سنة
 - وحكم ميناء الاول رأس امرة الفراعنة الاولى ٦٠ سنة .
 - وعاش فيليب اوجست ملك فرنسا Philippe Auguste ٥٧ سنة وحكم ٤٣ سنة
 - وهنرى الرابع من ملوك المانيا Dynastie franconienne حكم ٦٠ سنة
 - وادوارد الثالث من ملوك انجلترا حكم ٥٠ سنة (من سنة ١٢٢٧ الى سنة ١٣٧٧)
 - والامير اورخان بن الامير عثمان (مؤسس سلطنة آل عثمان) عاش ٧٥ سنة وحكم ٤٠ سنة
 - وشارلمان Charlemagne عاش ٧٠ سنة وحكم ٤٦ سنة
 - والامبراطور جوستينيان Justinien عاش ٨٧ سنة وحكم ٣٨ سنة .
 - والامبراطور فريدريك الثالث النمساوى Frederic III حكم ٥٣ سنة (من سنة ١٤٤٠ الى سنة ١٩٤٣)
 - وبطرس الاكبر قيصر روسيا عاش ٥٣ سنة وحكم ٣٦ سنة
 - وعاش تيمور لانيك Tamerlan ٧١ سنة وحكم ٣٦ سنة .
 - وعاش السلطان ايمان القانوني ٧١ سنة وحكم ٤٦ سنة
 - وعاش جنكزخان Gengiskhan ٧٢ سنة وحكم ٢٥ سنة .
 - وعاش السلطان عبد الحميد ٧٦ سنة وحكم ٤٢ سنة
 - وعاش محمد علي باشا ٧٩ سنة وحكم ٤٣ سنة .

ولها كان الشيء بالشيء يذكر نقول ان من الغريب ان يعمر وميسس الثاني ٨٥ سنة مع انه اسرف في الزواج اسرافاً لم يرو التاريخ مثله. اذ انه تزوج نساء كثيرات رزق منهن ١٦٢ ولداً وبناتاً . منهم ١١١ ذكراً و ٥١ بنتاً واغرب من ذلك انه تزوج ثلاثاً من اخواته وثلاثاً من بناته . اما اخواته فهن : نوفرى تارى Notritari وأيزيت نوفرى Isit Nofrit وهنت مارى Hentmaré وبناته هن : بانوت انت Banout-ant وميريت آمون Mirit-amon ونبيت تاوي Nibit-taoui

ومثله في كثرة النسل السلطان سليمان الثاني القانوني فانه على الرغم من حروبه الكثيرة التي بلغ عددها ١٤ — قد خلف ١٢٠ ولداً — ذكراً وأنثى — وقد تصادف انه كان لديه في وقت واحد ٤٠ رضيعاً .

ومثلهما تيمور لانيك فانه ترك ٥٣ ولداً — ذكراً وأنثى — عدا من مات من أولاده وبناته في حياته وهم كثر

(١) وجنكزخان كان — مثل الاسكندر — من اكبر الغزاة . اذ غزا ثلاثة ارباع آسيا مع ان حكمه لم يطل اكثر من ٢٥ سنة (وجنكز كلمة موغولية معناها : الاكبر وخان معناها : ملك او امير او قائد) . وقبل وفاة جنكزخان وزع امبراطوريته على اولاده . وكانت

لواسعة . ولا يدري إلا الله ما ذا تكون سعة هذه الامبراطورية لو عمر الاسكندر عشر سنوات أخرى .

- ولم يقتد بغيره من الملوك الذين كانوا ينزفون في عقر دارهم وينفذون قوادهم ليتولوا قيادة الجيوش . بل تولى هو نفسه قيادة جيوشه وحارب بنفسه كمنفر بسيط . وكثيراً ما التى بنفسه في ساحة الوغى وعرض نفسه للخطر والموت . ألم يتحتم بتريدات Mithridate - صهر دارا وأحد قواده - في واقعة الجرانيك ؟ إذ ترجل متريدات وهجم على الاسكندر ليقتله فأسرع الاسكندر وضربه بسيفه ضربة القته على الارض صريعاً . ولما رأى أخو متريدات ما حل بأخيه صال على الاسكندر وضربه ببساطة أصابت خوذته وشطرتها شطرين ، فتلقى الاسكندر الضربة بقاب جرى ، ثم صال على الرجل وطعنه طعنة نجلاء خرت منها ميتاً . ولما رأى أمير ليديا - من أتباع دارا - ما حلّ بزميله رفع سيفه ليضرب الاسكندر إلا أن كليتوس الأسود - أحد ضباط اسكندر - أسرع وضرب أمير ليديا ضربة أطارت عظامه فضاخاً . وكاد الاسكندر يلاقى حتفه أيضاً أمام مدينة غزة عند ما همّ اعرابي من أتباع باتيس Battis بطعن الاسكندر بسكين فأنثنى الاسكندر وانحنى وطاشت طعنة الاعرابي ثم أسرع الاسكندر وطعن الاعرابي طعنة ألقته على الارض قتيلاً . ولم يكد الاسكندر ينجو من طعنة الاعرابي حتى أصابه في كتفه شواظ من نار جرحه جرحاً بليغاً . وفي واقعة ار بل تولى الاسكندر قيادة الفيلق الذى صوبه نحو دارا فلما رآه دارا فرّ من الميدان وترك جنوده أشتاتاً ، وفي احدى الوقائع التى قاتل فيها اسكندر ملوك الهند كاد يلقى منيته إذ أراد أن يبتّ الحماسة في روح جنده فتساق سلهماً وصعد على جدار حصن ثم نادى جنده قائلاً هلموا

امبراطوريته تمتد من شواطئ البحر الاسود الى المحيط الهادى ومن شمال آسيا الى نهر السند . فاعطى ابنه اوكتاي Octal بلاد المغول وشمال الصين وجزءاً من سيبيريا وجميع البلاد الواقعة على شاطئ المحيط . ونال ابنه طولى Tuli بلاد المعجم وخراسان والهندستان . واصاب ابنه الثالث زاجاتاي Zagutai تركستان وبخارى وسمرقند وجو كند وخود جند اى جميع البلاد الواقعة بين نهري سيحون وجيحون . وترك لابن ابنه باطوم Batoum باقى امبراطوريته اى انه ترك له ما كان يؤول الى ابيه لو كان حياً .

الى^(١) ثم ألقى بنفسه في داخل الحصن . فلما رآه الهنود عرفوا من لباسه أنه الاسكندر فانهاوا عليه ضرباً وطعنات وأصابته طعنة في صدره فخر على الارض بلا حراك . فلما رآه

(١) أروى لك اربع حوادث تشبه حادثة أساقى اسكندر أسوار القلعة وسقوطه ومسارعة جنده لا نقاذه

— في خلال سنة ١٧٩٣ هبت ثورة في بلاد فاندنيه Vendée (في غرب فرنسا) وكان بين رجال الثورة هنرى Henri de la Rochejaquelein فلما شدد جنود حكومة باريس الخناق على الثوار اشترأب من بينهم هنرى هذا وتقدم الثوار وصاح فيهم :
" Si j'avance , suivez-moi ; si je recule, tuez-moi ; si je meurs vengez-moi "

فتبعوه وأنقلوه ونصروه

— والثانية - كان ذلك في نوفمبر سنة ١٧٩٦ - قبل أن يصبح الجنرال بوناپرت Bonaparte الامبراطور نابليون Napoléon - أراد الفرنسيون أن يستولوا على كوبري اركول Pont d'Arcole فصددهم النمساويون . جددوا الهجوم فتجدد صددهم . اغتاط بوناپرت لخطاف العلم الفرنسي ولوح به على جنده ودخل الكوبري وحده فلما رآه الجند تبعوه ، وما كادوا يصلون الى آخر الكوبري حتى صال عليهم النمساويون وأعملوا فيهم السيف والنار . فتقهقر الفرنسيون بغير نظام وسقط بوناپرت في أرض كلها أرواحاً وبمجرد ما رآه النمساويون قد سقط أسرعوا الى الاحاطة به لا قبض عليه فلما رأى الجند ان قائدهم قد سقط صاحوا كلهم هادوا نشفة قائدهم هبوا كالبرق الخاطف ، وصالوا على النمساويين وشتتوا شملهم وانقلدوا بوناپرت وانتهت الملحمة بنصر مبين

ولا يفوتنا هنا ان نروى حادثة وقعت لبوناپرت في هذه الواقعة كان لها اثر بالغ في حياته . ذلك انه في اثناء ما كانت المدافع النمساوية تحصد الفرنسيين حصداً كان بوناپرت في مقدمة من كانت حياتهم في خطر ، وفي اثناء المصعة رأى شاب من ياوراته - هو الكولونيل مويرون le colonel Muiron - النمساويين يصوبون نارهم نحو بوناپرت فأسرع وحال بجسمه دون نارهم وتلقى قذيفة كانت موجهة الى بوناپرت اردته قتيلاً . حفظ بوناپرت لهذا الشباب جيله طول حياته . ولتخليد ذكره اطلق اسمه على إحدى السفن الحربية الفرنسية . وعندما وقع نابليون في اسر الانجليز وركب السفينة الحربية الانجليزية بلاروفون Bellérophon ترك اسمه الضخم « نابليون » ولقبه الضخم « الامبراطور » وسمى نفسه « الكولونيل مويرون » ليجدد دائماً في نفسه ذكرى هذا الشاب البطل الذي افتداه بحياته .

— والثالثة . حدث انه في خلال سنة ١٨٠٩ نشبت حرب ضروس بين جيوش نابليون وجيوش النمسا - وكانت تحت قيادة الارشيدوق شارل Charles - حول مدينة راتسبون Ratisbonne فيها جرح نابليون في رجله فتقدم المارشال لان Launes واراد ان يتساق أسوار المدينة . إلا ان الجند ترددوا في متابعتة فأخذ المارشال « لان » سلباً ووضعته على السور وصاح على الجند سأريكم ان مارشالكم لا يزال جندياً والتي بنفسه داخل أسوار المدينة . فلما

جنده قد سقط دبت فيهم روح الحماسة والانتقام فنزلوا وهجموا على الهنود واعملوا فيهم السيف والنار الى أن أفنواهم على بكرة أبيهم ثم حملوا الاسكندر وأخرجوا الرمح من صدره وعالجوه الى أن شفى . وفي مناوشات عنيفة في بلاد الهند أنقذه بطايموس من الموت عند ما خاطر الاسكندر بنفسه لمنازلة الهنود .

— ولبراعته في الفنون الحربية انتخبته بلاد اليونان قائداً عاماً على الجيوش كلها خافاً لأبيه فيليب.

رآه الضباط والجنود سارعوا الى اللحاق به . فتسلقوا الاسوار واستولوا على المدينة واسروا ٨٠٠٠ جندي نمساوي . وبهذه الجراة انتصر الفرنسيون على النمساويين انتصاراً مبهيناً ثم زحفوا ودخلوا فيينا Vienne عاصمة النمسا في ١٢ مايو سنة ١٨٠٩ ومن طريف ما يرويه المؤرخون عن حادثة من قبيل هذه الحوادث أنه في خلال القرن الثاني عشر نشب قتال بين لويس السادس Louis VI le Gros ملك فرنسا وبين هنري الاول ملك إنجلترا . وفي أثناء المعركة وقع نظر جندي انجليزي على ملك فرنسا فهجم عليه وأمسك بأجرام حصانه وصاح « أخذنا الملك أخذنا الملك » le roi est pris le roi est pris « فأجابه الملك على الفور ان كنت تعرف لعبة الشطرنج اعرفت ان الملك لا يؤخذ ابداً . الملك يكش أو يموت . " si tu savais jouer aux échecs, tu saurais que le roi ne se prend pas" ثم رفع سيفه وهوى به على رأس الجندي فتركه شقفاً وقبلها كال وترأ .

الرابعة — الحادثة الرابعة مستقاة من تاريخ العرب في فزوة أحد . اذ انه لما قتل أشرف قريش بيدر وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلبا ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم أخذ يؤلب على النبي وعلى المسلمين لجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش ثم أقبل بهم نحو المدينة فقتل قريبا من جبل أحد بمكان يقال له عينين . التحم الفريقان المسلمون والمشركون وكانت الدولة أول نهار للمسلمين على الكفار وولى الكفار مدبرين . فلما رأى رماة المسلمين هزيمة المشركين تركوا مراكزهم الذي أسرهم النبي بحفظه وقالوا يا قوم الغنيمة الغنيمة فذكرهم أميرهم عهد النبي فلم يسمعوا وظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا الشفر وكسروا فرسان المشركين فوجدوا الشفر خاليا قد خلا من الرماة فجازوا منه وتمسكوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين وقتلوهم فخرحوا وجه النبي وكسروا رباعيته اليمنى وشتموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو طامر الفاسق يكيد بها المسلمين فجعلت ركبته وشج في جبهته وأدميت شفتاه ودميت وجنتاه وسال الدم من شجته التي في جبهته حتى أخضل الدم لحيته وأدركه المشركون يريدون قتله فخالدونه ففر من المسلمين حتى قتلوا ثم جالدهم طلحة حتى أجبهفهم عنه وترس أبو دجانه بظهره عليه والنبل يقع فيه وهو يتحرك وصرخ أحد المشركين بأعلى صوته قتل محمد قتل محمد ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين وفر أكثرهم . بعد ذلك تكاثر المسلمون واعملوا السيف في المشركين الى أن قتلوا منهم خلقا كثيرا وانتصروا عليهم انتصاراً مبهيناً .

هذه شواهد على أن الاسكندر كان يشترك في القتال بنفسه اشتراكاً فعلياً مع قواده ومع جنوده

فكان بمقله يضع الخطط الاستراتيجية والتكتيكية بصفته القائد الأعلى ويجسده يشترك في القتال والنزال مثل اصغر نفر في الجيش

فنون علمية

وقد طبع اسكندر غزواته الحربية بطابع علمي . إذ أن ارسطاطاليس لبث يعلمه ويربیه ثلاث سنوات كاملة فلقنه الأدب اليوناني وعلمه الفلسفة والتاريخ ومبادئ الطب . فحفظ الاسكندر كثيراً من الشعر اليوناني ولا سيما الالياذة المشهورة . ولما أشرب حب الأدب والعلم والفلسفة والطب اتسع أفق تفكيره وزاد حبه للاستطلاع والاستكشاف .

- لذا تراه قبل محاربة الفرس قد عكف على درس تاريخ الفرس وآدابهم وعلومهم وطبائعهم وأخلاقهم ودياناتهم وجغرافية بلادهم . وكان كلما قابل سفيراً أو رسولا أو سائحاً من الفرس يستدرجه الى التحدث اليه عن بلاد فارس وعن نظمها السياسية والادارية والمالية والحربية . وبهذه الوسيلة عرف كل ما يهم قائد حربي أن يعرفه عن البلاد التي ينوى غزوها .

- وتراد أيضاً قد ضمّ إلى الجيش الذي اعدّه لغزو بلاد الفرس وافتتح البلاد الأخرى جمهرة من الفلاسفة ومن العلماء ومن المؤرخين ومن الشعراء ومن المهندسين ومن الفنانين ومن الصناع لدرس البلاد التي نوى غزوها وفتحها ودرس طبيعة أراضيها ومسؤولها وجبالها وأنهارها واستكشاف أحوالها الزراعية والتجارية والاقتصادية والصناعية والعلمية . وناط باثنين من المؤرخين تدوين تاريخ حروبه وغزواته . وقد اقتدى به بعد ٢١٠٠ سنة نابليون بونابرت عند ما غزا مصر في يولييه سنة ١٧٩٨

- استخدم هؤلاء المهندسين والفنانين في تأسيس اسكندرية ومصر كما استخدمهم

في تأسيس مدن كثيرة أخرى في أوروبا وفي أفريقيا وفي آسيا سماها كلها باسمه (١).

(١) لم يؤسس ملك مدناً بمقدار ما أسست كاتارينه الثانية امبراطورة روسيا Catherine II . في مدة الاربعة والثلاثين سنة التي تولت فيها الحكم (من سنة ١٧٦٢ الى سنة ١٧٩٢) أسست وبنت وشيدت ٢٠٠ مدينة أطلقت اسمها على معظمها منها : Ekaterinebourg و Ekaterinoslav و ... و ... والمدينة الاولى هي التي قتل فيها البلشفيك القيصر نيقولا الثاني وزوجته وأولاده في ليلة ١٦ يولييه سنة ١٩١٨ عقب انهيار روسيا في الحرب العالمية الكبرى (سنة ١٩١٤ — ١٩١٨)

هذا وقد وضع العلماء لاصل تسمية البلاد والمدن علماً سموه توبونيمى Toponymie يعرف سبب تسمية البلاد والمدن كما يبين مصدر اشتقاق الاسماء اما من طبيعة الارض أو من ديانة السكان أو من صناعتهم أو من اسم مؤسسها أو من اسم مكتشفها أو من موقعها . وما ابلغ ما قاله احد العلماء في وصف هذا العلم بأنه :

“C'est toute l'histoire d'une contrée qui revit dans l'histoire d'un mot”
— خذ مثلاً قارة امريكا فانها سميت باسم مكتشفها امريك Améric الذي كشف هذه

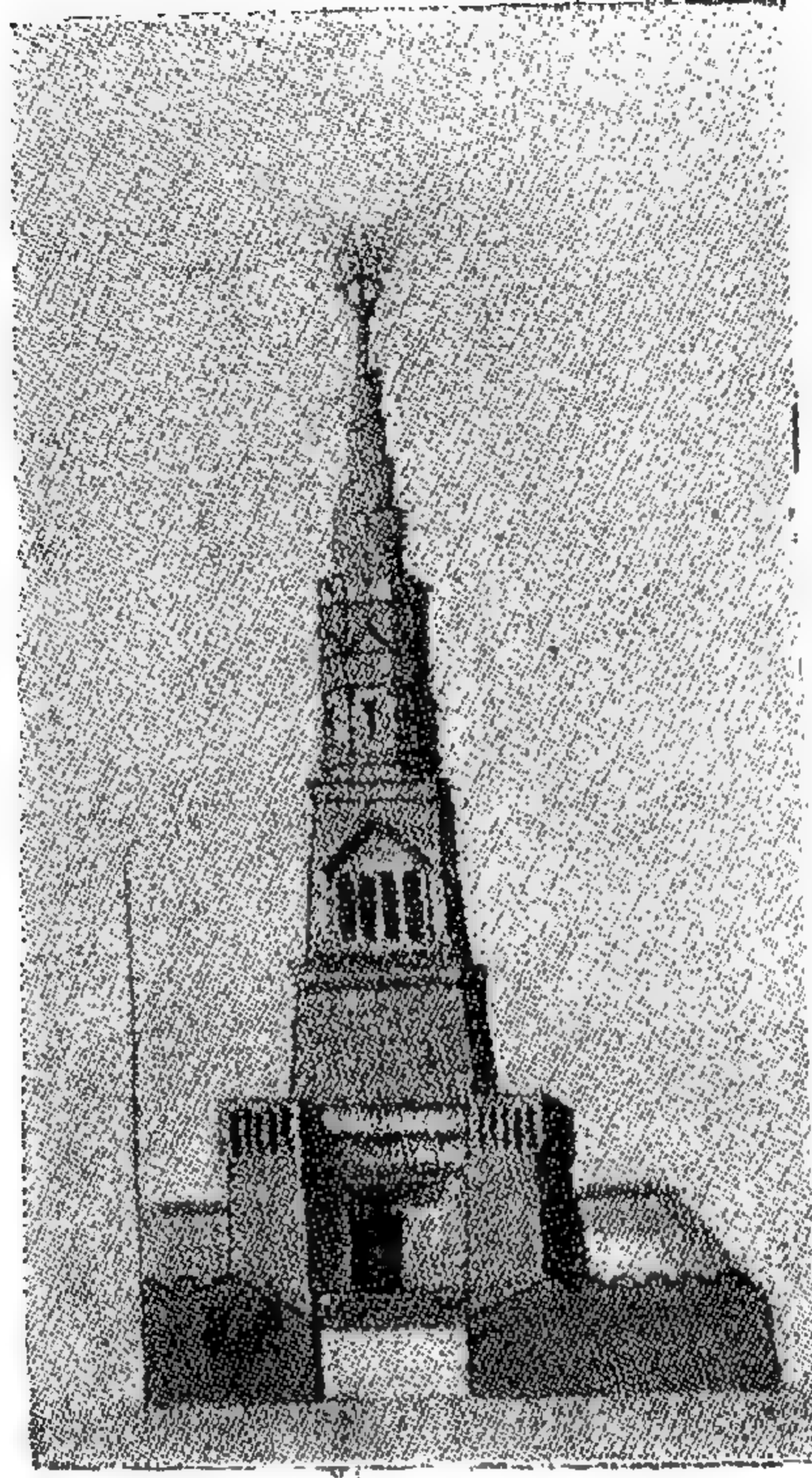
البلاد في سنة ١٤٩٧ قبل ان يصل اليها كريستوف كولومب Christophe Colomb بسنة
— ولاية فرجينيا Virginie (من ضمن الولايات المتحدة بأميركا) سميت بهذا الاسم تيمناً باسم Elisabeth ملكة انجلترا التي كانوا يسمونها La Reine-Vierge وهي التي طاش في عصرها وليم شكسبير شاعر انجلترا الاكبر (في القرن السادس عشر)

— ولاية لويزيانا Louisiane (من الولايات المتحدة بأمريكا) اكتشفها الفرنسيون في النصف الاخير من القرن السابع عشر وسموها باسم لويز الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا. وصارت من مستعمرات فرنسا ثم اشترتها الولايات المتحدة الامريكية من بوناپرت Bonaparte في سنة ١٨٠٣

— ورودسيا Rhodesia سميت باسم سسل رود Cecil Rhodes وكان الحاكم بامرره في جنوب افريقيا غزاها من البوير Boers ثم ضمها انجلترا الى املاكها في سنة ١٩٠٠ وسسل رود هذا هو الذي سموه (نابليون الكباب le Napoléon du Cap) كما سموه «المارد رود . le Colosse Rhodes»

— وجمهورية بوليفيا Bolivie كانت في الاصل جزءاً من بلاد بيرو Pérou وكانت من املاك اسبانيا ثم شبت ثورة تزعمها الجنرال بوليفار Bolivar طوته فيها الجنرال سكر Sucre ولما هزما الجيش الاسباني اعلنا استقلال جزءاً كبيراً من بلاد البيرو وسموه بوليفيا على اسم الجنرال بوليفار ثم اتخذوا عاصمة لبوليفيا سموها سكر باسم الجنرال سكر Sucre .

— ومدينة روما Rome اسمها مشتق من اسم مؤسسها رومولوس Romulus وتوامه Rémus
— ومدينة « قيصرية Césarée » اسمها مشتق من اسم يوليوس قيصر Jules César اذ فيها انتصر يوليوس قيصر على فارناس Pharnace ملك البسفور . وهذا النصر مشهور بالكلمات الثلاثة التي أرسلها يوليوس قيصر الى أصدقائه في روما والى كليوباتره في مصر وبها أنبأهم بنجبر انتصاره السريع على عدوه حيث قال وصات ورأيت وانتصرت “Veni, vidi, vici”



فئار الاسكندرية
نقلا عن مدالية صنعت في عهد بطليموس الثاني
والفئار من صنع « سوسترات Sostrate »
المهندس المعماري

وروى المؤرخ ليبيانوس Libanius أن الأسكندر هو الذي وضع أسس مدينة انطاكية (١) - وقد أحصى أحد المؤرخين عدد المدن التي أسسها أسكندر وسمّاها باسمه فوجدها ٢٠ مدينة في أوربا وفي آسيا (٢) وفي أفريقيا. وكانت آية آياته اسكندرية مصر التي تبوّأت في عهد بطليموس الأول وبطليموس الثاني وبطليموس الثالث المقام

كان اسم المدينة من قبل د ماجاك ه الا انه في عهد الامبراطور تيبير Tibère استبدلوا اسمها القديم وسموها قيصرية Césarée تخليداً لذكرى يوليوس قيصر .

— وما يوبوليس معناها (مدينة الشمس) والفسطاط (محل الفسطاط الذي كان العرب قد نسبوه في مصر القاهرة قبل زحفهم على الاسكندرية)

— ومدينة نينوى Ninive من اسم مؤسسها الملك نينوس Ninus

— وجبل طارق نسبة الى طارق بن زياد .

(١) قام خلاف في اصل تسمية اسكندرونه Alexandrette وما ما دونه احد المؤرخين في كتاب (سوريا القديمة والحديثة)

"La ville d'Alexandrette est sur l'emplacement même du camp d'Alexandre et de Cyrus, c'est l'endroit qu'avait désigné Alexandre pour construire la ville qui depuis fut appelée Alexandria - carisson à cause de sa situation V. P. 24. Syrie ancienne et moderne. par Jean Yanosky.

(٢) قال فولتر Voltaire في قاموسه الفلسفي شرحاً وتعليقاً على كلمة (الاسكندرية) ما يأتي :

" Plus de vingt villes portent le nom d'Alexandrie, toutes bâties par Alexandre et par ses capitaines, qui devinrent autant de rois. Ces villes sont autant de monuments de gloire, bien supérieurs aux statues que la servitude érigea depuis au pouvoir, mais la seule de ces villes qui ait attiré l'attention de tout l'hémisphère, par sa grandeur et ses richesses, est celle qui devint la capitale de l'Egypte "

"La ville fut toujours très florissante sous les Ptolémées et sous les Romains. Elle ne dégénéra point sous les Arabes; les Mamelucks et les Turcs, qui la conquièrent tour à tour avec le reste de l'Egypte, ne la laissèrent point dépérir. Les Turcs même lui conservèrent ses restes de grandeur; elle ne tomba que lorsque le passage du Cap de Bonne-Espérance ouvrit à l'Europe le chemin de l'Inde, et changea le commerce du monde, qu'Alexandre avait changé et qui avait changé plusieurs fois avant Alexandre : — V Alexandrie. Dictionnaire philosophique."

ولم يكتب الاسكندر باطلاق اسمه على المدن فاطلق اسم حصانه بوسيغال Bucephale على مدينة اسسها في الهند عند ما قتل الحصان في احدى المعارك. ولعل الامبراطور الروماني

الاول بين مدن الشرق والغرب وكانت مثابة العلوم والفنون والآداب ومركز التجارة والصناعة في العالم .^(١)

كاليجولا Caligula اقتدى بالاسكندر عند مارق حصانه Incitatus الى رتبة « قنصل » Consul .
وقته في خاقه شؤون .

ولنأية الكلام على اطلاق أسماء المؤسسين والمكتشفين على القارات والولايات والمدن
تخليداً لذكراهم نقول أن فكرة تخليد أو تشريف جلائل الاعمال امتدت الى المدن أيضاً .
فمدينة فردون Verdun مثلاً لها تاريخ مجيد في الدفاع . في خلال سنة ١٧٩٢ أبان الثورة
الفرنساوية قاومت مدينة فردون العدو مقاومة عنيفة جداً حتى انه لما طلب منها التسليم رفضت وفضل
قائدتها القومندان بوربيير Baurepaire الانتحار على التسليم . وفي حرب سنة ١٩٧٠ قاومت الألمان
مقاومة عنيفة جداً أيضاً استعفت عليها تقدير الوطن فجاءت حكومة الدفاع الوطني وأرادت
تخليد ذكرى دفاعها وما بذله أهاليها من الضحايا فأصدرت أمراً عالياً أعلنت فيه أن هذه المدينة
« تستحق تقدير الوطن » وأطلقت اسمها على أحد شوارع مدينة باريس الكبيرة . وفي الحرب
العالمية الكبرى الماضية صمدت للألمان مدة عشرة شهور صموداً سمي للفرنساويين ولطفائهم
الانتصار على الألمان . دافعت دفاعاً مجيداً حتى قتل فيها زهاء ٤٠٠.٠٠٠ جندي فرنساوي و
٤٠٠.٠٠٠ جندي ألماني وكانت ستة آلاف مدفع تدوي في أرجائها من الجانبين ومع ذلك عجز
الألمان عن الاستيلاء عليها . سميت محاضرة القاها الكاتب الفرنسي الشهير روبردي فلير
Robert de Flers عندما كنت أستاذ في مدينة فيتيل Vittel أشار فيها الى دفاع مدينة
فردون هذه وعدد الفرنسيين الذين راحوا ضحية الدفاع عنها في سنة ١٩١٦ فقال : (غداً
عندما يوضع معجم بلدان فرنسا يكتبون عن فردون هذه انها « مدينة فرنساوية عدد سكانها
١٠٠.٠٠٠ وعدد قتلاها ٤٠٠.٠٠٠) وقد زرتها في صيف سنة ١٩٢١ وزرت استحكاماتها
كما زرت القامتين الشهيرتين دوومون Fort Douaumont وفو Fort Vaux فراهني ما رأيته
فيها من اثار الدمار والحراب .

(١) وهذا المعنى ايضاً ما ورد في الخطب التي القيت في المؤتمر الطبي الرابع عشر الذي
عقد في ثغر الاسكندرية في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ ونشرت بجريدة الاهرام في عدد ١٨
ديسمبر سنة ١٩٤٢

ورد في خطبة احمد كامل باشا مدير بلدية الاسكندرية :
« ان الاسكندرية ثغر مصر الجاسم ، الذي لا يدانيه ثغر في الاقطار والذي يضرب بامفي
السهم في القديم والحديث والذي تحماكي عظمته في عهد بطليموس عظمته في عهد فاروق .
« وكيف لا ترحب الاسكندرية بمؤتمر الطب وهي صاحبة الفضل على الطب منذ توفر عليه
من ابنائها في المصور الاولى رجال افذاذ امثال ميروفيل وبرايز سترات وسواهم ممن استظهروا
مكثون الحقائق في الفيزيولوجيا والتشريح والجراحة وامراض النساء وعلم الكيمياء وغير ذلك
من فروع الطب ، والفوا فيها وصنفوا واستودعوا من كل ذلك مكتبة الاسكندرية ذخراً لا ينفى
واترا لم تستطع القرون له محوا . تلك الاسكندرية التي ما كاد ينقرض فيها القديم حتى كانت قد
استودعت لها وحكمتها علماء العرب والفرس والبريان . »

وفي خطاب الدكتور علي باشا ابراهيم :
« واخيراً واخيراً جداً ، وبعد قرابة الفين وثلاثمائة عام انتدعت الاسكندرية مجدداً المسلوب ،

وأخته Tessalonice أسست مدينة على البحر سميتها باسمها Tessalonique وهي « سالونيك » ، وبعد ما انتزعها اليونان من الترك ردوا إليها اسمها الأصلي تسالونيكاً - وارسل بعثة علمية إلى بلاد السودان لكشف منابع النيل ودرس أسباب فيضانه وتجارقه . سافرت البعثة وعادت وأخبرت بأن سبب فيضان النيل هطول أمطار غزيرة في بلاد الحبشة . وكان الأغريق وغيرهم يجهلون سرّ هذه الظاهرة الطبيعية .

- واستعان بهم أيضاً لتخطيط وحفر ترعة الاسكندرية ليوصل إليها الماء من النيل - واستخدمهم لتشييد وتعمير وترميم مدن كثيرة في بلاد الأناضول وفي سوريا وفي فلسطين وفي مصر وفي فارس وفي بابل وفي بلاد الهند . واستخدم في هذه الأعمال الأسارى والسبايا لأن اسكندر كان بناءً بليقته ^(١)

واغتصبت من يد الدهر عزها المنسوب . فلقد نازعت همة « بطليموس » نفسه إلى أن يؤسس فيها الجامعة (Museum) في سنة ٣٠٤ قبل الميلاد فدعا بدمتريوس قفاليروس من اتباع ارسطاطاليس، ليقوم على بناء مؤسسة مثل مؤسسة أثينا . على أن المؤسسة الجديدة برعت نموذجها في الحجم والفني جميعاً ، إذ كان المشرفون عليها والباسطون أيديهم بالاتفاق عليها هم البطالسة أنفسهم . وناهيك بالبطالسة إذا جردوا العناية ، ولم يألوا في البذل جهداً ! « وفي خطاب الدكتور نجيب باشا محفوظ

« هذه المدينة التي كانت في عهد البطالسة مهد الفلاسفة والعلوم والآداب والطب . كل هذه المزايا الطبيعية استخدمت لأقصى حد بحكم مصر من بطليموس سوتر (٢٢٢ - ٢٨٥) فقلاديافوس (من ٢٨٥ - ٢٤٧) فيورجيتيس من (٢٤٧ - ٢٢٢) . فاولهم بدأ يجمع حوله طائفة من مشاهير الفلاسفة والكتاب وأوهمهم الطمانينة ورغداً من العيش وسهل لهم القيام بأبحاثهم . ثم بوحي من صديقه ديمتريوس الفيلسوف العظيم والسياسي الكبير ، وضع أساس مكتبة الاسكندرية

« أما مدرسه الطب بالذات فقد انشئت بالاسكندرية عام ٣٢٢ قبل الميلاد وكان أول وأعظم اسانذتها هيروفيلوس وإيرا زيرتراس ، وكان أولها البادية بتشريح جسم الإنسان علانية »

(١) — ينطبق عليه قول لامارتين Lamartine في السلطان محمد الأول :

*Il eut, comme Louis XIV, l'instinct des monuments, cette postérité en relief que les hommes de gloire aiment à laisser sur la terre après eux comme une perpétuité de leur nom. ". V. Histoire de la Turquie par Lamartine. P. 419. T. 2.

ومثلهما امينوفيس الثالث فرعون مصر فانه «لا» بلاد مصر من منف إلى السودان آثارا

- وانهز فرصة وجوده في البلاد الواقعة على مقربة من بحر قزوين (بحر الخزر) وأرسل بعثة عسكرية علمية لدرس طبيعة بحر قزوين وطبيعة الأراضي المحيطة به ليتحقق إن كان هذا البحر متصلاً بالمحيط أو هو بحر قائم بنفسه في وسط البلاد المحيطة به .
- واتخذ غزو الهند ذريعة لدرس جغرافية هذه البلاد ودرس نباتاتها وحيواناتها ودياناتها وعاداتها وكل ما يهم العلم معرفته عنها .

- وجرد تجريدة علمية عسكرية أخرى لتحقيق مجرى نهر السند وتخطيط هذه البلاد النائية . وسار هو بأسطوله ومعه ٩٠٠٠ مقاتل فاجتاز نهر السند الى ان وصل الى المحيط الهندي . وفي رحلته هذه رأى لأول مرة ظاهرة المد والجزر . ووفق العلماء الذين استصحبتهم معه الى درس طبيعة اراضي هذه البلاد وكشف ما فيها من معادن - ذهب وفضة وملح - ونباتات وحيوانات

- وناط بالاميرال نيارك استكشاف شواطئ الهند وما يليها من البلاد غرباً فطاف نيارك بأسطوله سواحل الخليج الفارسي ووصل الى مصب نهر الفرات .
- وارسل بعثة بحرية علمية أولى وصلت الى جزائر البحرين في الخليج الفارسي ولكنها لم تحقق آماله . فأرسل بعثة ثانية وصلت الى جزائر البحرين أيضاً وعادت مثل الرحلة السابقة دون ان تحقق آماله . فأرسل بعثة ثالثة أمرها بأن تسير إلى مدينة السويس ولكنها لم تصل إلى نصف الطريق . ثم أرسل بعثة رابعة وصلت إلى باب المندب ثم نفذ ماؤها فعادت . (١)

كثيرة : معابد وهياكل ومسلات ومصاطب وغيرها . وهو الذي بنى معبد الاقصر واقام تمثال ممنون les Colosses de Memnon . ولذا سماه المؤرخون le Batisseur ومثلهم الامبراطور جوستينيان Justinien فانه اسس مدناً كثيرة وشيد معابد ومعاهد عديدة . (ومنها كنيسة اياصوفيا باستانبول التي صارت جامعاً بعد استيلاء السلطان محمد الفاتح على القسطنطينية)

(١) تذكرني هذه الرحلات البحرية الاربعة بالرحلات البحرية الاربعة التي قام بها كريستوف كولومب Christophe Colomb الذي اكتشف أمريكا في آخر القرن الخامس عشر وفي اوائل القرن السادس عشر . رحلته الاولى دامت سبعة أشهر ونصف (من ٣ أغسطس ١٤٩٢ الى ١٥ مارس سنة ١٤٩٣) وانتهت باكتشاف جزيرة سان سالفادور San Salvador وجزائر كوبا Cuba وهايتي Haiti ولما عاد الى اسبانيا انعم عليه الملك با لقب اميرال . ورحلته الثانية دامت ثلاث سنوات (من سنة ١٤٩٣ الى سنة ١٤٩٦) وفيها التقى بجزائر دومينيك

- كان غرض اسكندر وصل المشرق بالمغرب بطرق مواصلات برية وبحرية .
فأسس مدينة على مصب نهر الدجلة سماها الأسكندرية جمعاً لها فرضة بحرية (لعلها
شط العرب الآن) . واسس مدينة أخرى ايضاً على ساحل بلاد العرب سماها بأسمه
رحل إليها كثيراً من الأغريق ومن غير الأغريق .

- وكان قصد الاسكندر مزج الشرقيين بالغربيين لجمعهم أمة واحدة . نشر الثقافة
الأغريقية في جميع البلاد التي غزاها . فنقل الفرس وغير الفرس كثيراً من علوم الأغريق
ومن فلسفتهم ومن أدبيهم ومن فنونهم . ومن بلاد الفرس سرت الثقافة الأغريقية
إلى بلاد الصين وإلى الأفغان والهنود والعرب . إذ نقل العرب عن الأغريق كثيراً
من العلوم ولا سيما الفلسفة والطب والهندسة وفن المعمار . ويرجع الفضل الأكبر
في نشر الثقافة الأغريقية إلى فيلسوفين كبيرين ابن سينا وابن رشد (وابن رشد وضع
كتاباً قيماً على أرسطو وفلسفته) وعند ما دخل العرب اسكندرية مصر وجدوا فيها معاهد
ومدارس عليها الطابع الأغريقي تدرس فيها علوم الأغريق وفلسفة الأغريق . وقد
دلت البحوث العلامة الألماني ارنست هرزفالد Ernst Herzfeld على أن الفن الاسلامي
مشتق من الفن الأغريقي ومن الفن البيزنطي ومن الفن الساساني . وفي هذا يقول
العالم الألماني بيكر C. H. Becker (١)

“Sans Alexandre le Grand, pas de civilisation islamique”

Dominique وجواد لوب la Gundeloupe وبورتوريكو Porto-Rico وجامايك Jamaïque
ورحلته الثالثة دامت سنتين (من سنة ١٤٩٨ إلى سنة ١٥٠٠) وفيها كشف بلاد فنزويلا
Vénézuéla وترينيداد Trinidad ولما عرج على جزيرة دومينيك وجدها في حالة ثورة فاراد
ان يقمع الثورة ويعاقب الثائرين فتبعض عليه وكبل بالحديد وارسل إلى أوروبا فاطاق الملك سراحه .
وبعد سنتين (أي في سنة ١٥٠٢) قام كولومب برحلته الرابعة فرعى برزخ باناما Panama
كما مر على هوندوراس Honduras وقد مات في سنة ١٥٠٦ في مدينة فالادوليد Valladolid
في حالة فقر

(١) وبهذا المعنى ايضاً ما جاء في رسالة للدكتور احمد زكي بك نشرتها مجلة الثقافة في
عدد ١٢٧ أكتوبر سنة ١٩٤٢ قال فيها :

« ان حضارة العرب فيما عدا الدين واللغة جاءت من مصدرين : الفرس والأغريق وان
أردت ثلث فقات والرومان . فن هؤلاء اقتبس العرب تفاصيل حكمهم ونظم دواوينهم وعلومهم
وفلسفتهم حتى والغناء اقتبسوا أفانينهم من أفانين الفرس والأغريق . حتى الدين دخلته شيع ونحل

ولازج الشرقيين بالغربيين وجماهم أمة واحدة^(١) لم يقتصر الاسكندر على نشر

بعض منابعها من بين الفرات ودجلة أو فوق ذلك تنريتا ومنابعها الأخرى من الشمال من أثينا وبيزانطة أو من وراء النيل من الاسكندرية وهي أغريقية بقاء ومذاهب فنونا .
« ونحن ان قلنا الرومان فقد قلنا الافريقى فى طراز جديد . ونحن أن قلنا الفرس فانما نعني بلاد الفرس التي سطت على الاغريق . ثم سطا عليها الاسكندر باسم الاغريق وباسم الثقافة الاغريقية ففعلت تلك الحروب بهما ما تفعل الريح بالحب . تنفضه عن الشجر وتشتت بذوره فى بقاع جديدة من الارض ليدوم بها الثمر . ويشتهد بتجديد البيئة النسل ويعم الرخاء . فمن عمل الحروب نقل الثقافات . ومن عملها كذلك خلط الثقافات . « وأرسلنا الرياح لواقع » وكذلك هن الحروب .

وبهذه المعنى ايضا ما كتبه فضيلة الشيخ محمد البنا مدير الادارة الدينية فى اهرام ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٢ . قال : وقد تمتعت فى المملكة الاسلامية حضارات مختلفة وخاصة فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ضمت المملكة الاسلامية حضارة فارس والروم « ومثلها المؤرخ الفرنساوى ايمنون Aimond فى كتابه : (Le Moyen Age) صحيفة ١١٣ : قال عن الفلسفة والعلوم عند العرب :

« Dans la philosophie et les sciences, les Arabes se firent les disciples des Grecs. Leur maitre était Aristote, dont les ouvrages furent traduits en syriaque, en perse et en arabe par des savants chrétiens. C'est grâce à ces traductions que l'Europe occidentale connut tout d'abord la philosophie grecque. Par là, les Arabes exercèrent une certaine influence sur la civilisation française du Moyen Age.

« Les principaux philosophes de l'Islam furent Avicenne (1037) et surtout Averroès (1108) de Cordoue, auteur d'un commentaire sur Aristote. Les ouvrages d'Avicenne furent étudiés en France à l'Université de Montpellier. Ces deux philosophes furent en même temps des médecins, car chez les Arabes la science était inséparable de la philosophie. »

ثم قال عن الفنون :

« Au point de vue architectural, les Arabes furent les disciples des perses et surtout des Grecs de Byzance, auxquels ils empruntèrent la coupole. Leurs principales constructions sont des mosquées et des Palais. » الى ان قال :

« L'Egypte (le Caire), la Tunisie (Kairouan), le Maroc (Fez, Marrakech) possèdent encore de magnifiques mosquées du Moyen Age. En Espagne, on admire à Grenade le palais d'Alhambra et surtout la mosquée (aujourd'hui cathédrale) de Cordoue avec sa forêt de 850 colonnes, formant 19 grandes allées et 35 petites. »

(١) لو وفق الاسكندر وجعل جميع الشعوب الذين ضمهم الى مملكته واحدة لسكان امبراطوريته أقوى امبراطورية عرفها التاريخ . اراد هذا عملا بقاعدة « الاتحاد قوة » ولعل من

الثقافة الأغريقية في جميع البلاد التي غزاها بل سك لها أيضا عملة واحدة سماها باسمه بقيت طول حياة الاسكندر العملة الوحيدة الرسمية التي يعول عليها في المعاملات . وشوق المقدونيين واليونانيين من الزواج بايرانيات . فبدأ هو وتزوج من روكسان بنت الأمير أوكسيارت ثم تزوج من ستاتيرا بنت الملك دارا ^(١) وزوج صديقه هفستيون بأختها . وفي ليلة واحدة زوج ثمانين من قواده ثمانين أميرة من أميرات الفرس . وكل

البلغ الأمثلة على قوة الاتحاد نظام «المانيا» . فان ألمانيا كانت في القرن الرابع عشر عبارة عن ٥٠٠ دولة صغيرة ضعيفة (لهذا كانوا يقولون les Allemandes كما كانوا يقولون les Russies) فاتبعت سياسة الاتحاد تدريجيا الى ان دقت ساعة اتحادها كلها في سنة ١٨٧١ بعد ما هزمت فرنسا في حرب السبعين عن يد بسمارك Bismarck ومولتيكه Moltke واعانت اتحادها وبايكت ملك بروسيا غايوم الاول امبراطورا على ألمانيا في ١٨ يناير سنة ١٨٧١ في سراي فرساي Versailles ومن هذا التاريخ صارت من الدول العظمى التي يحسب لها حساب .
والعكس بالعكس :

لما كانت امبراطورية النمسا والمجر متحدة تضم شعوبا عديدة (من نمساويين والماني ومجر ورومانيين وبوهيميين وصقالية وبولونيين وايطاليين وصرب وسلوفاك و . . .) كانت دولة عظيمة يحسب لها حساب في سياسة العالم . ولكن لما انحلت بعد سنة ١٩١٨ واستقلت البلاد التي كانت تابعة لها من قبل ضعفت ثم تلاشت .

(١) وقد تزوج الاسكندر احدى ملكات الهند تالستريس Thalestris . ورواية المؤرخين عن هذا الزواج تتلخص في أن تالستريس هذه قابلت الاسكندر ومعهما ٣٠٠ من نساء مجندات بملابهن العسكرية وتركت جيشها خلف جبل على مقربة منها . فلما مثلت بين يدي الاسكندر قالت له انها سمعت بما ناله من النصر والجاه والسلطان وانها تريد ان تماونه بكل ما لها من مال ورجال ليحقق جميع آماله وما آربه وعرضت ان تزوجه من نفسها وليولد لها ولد يخرج من صلب أشجع رجل ومن بطن أشجع امرأة يضمن الدهر بمثله شجاعة وبساله وفروسية فشكرها الاسكندر وقضى معها ثلاثة عشر يوما صرفها في الأفراح والفايا الى الملاح . راجع الفصل الخامس من الكتاب الثالث من الجزء السادس من كتاب مونتني : les Essais de Montaigne .
والى هذه القصة يشير فولتير Voltaire في البيتين اللذين نظمهما وارسلهما الى كاترين الثانية Catherine II امبراطورة روسيا ردا على كتاب كتبتة اليه تخبره فيه بمزمها على زيارة بعض بلاد آسيا :

Un voyage en Asie, allez-vous l'entreprendre

Belle et sublime Thalestris

Que ferez-vous dans ce pays

Vous n'y verrez point d'Alexandre

وتعدد الزوجات كان شائعا عند الملوك والاشراف في الزمن الغابر وقد بقي شائعا الى القرن الثامن عشر . فدوق بيبان Duc Pépin كانت له زوجتان في آن واحد زوجة اولى اسمها

جندى مقدونى تزوج من فارسية أتحمه بتحفة مالية عظيمة قتهافت الجند على الزواج . ويقال أن عشرة آلاف جندى تزوجوا من إيرانيات فى الفترة التى أقامها الاسكندر وجيشه فى سوس . ثم سرت هذه الروح فى برسبوليس وصور وهمذان فتزوج آلاف من الاغارقة من بنات الفرس .^(١)

- وكان فى نيته تجهيز حملة كبيرة لغزو بلاد العرب . كما كان فى نيته بناء ١٠٠٠ را سفينة تطوف حول أفريقيا وتغر من جبل طارق ثم تغزو أسبانيا وقرطاجة وإيطاليا ولكن المنية عاجته . ولتحقيق غرضه هذا أمر بجلب الاخشاب والحديد والحبال والاشربة اللازمة لبناء هذا العدد الهائل من السفن من لبنان ومن كليكا ومن قبرص . وبني لهذا الغرض ترسانة هائلة فى بابل .

- وعلى الرغم من كل هذه الشواغل فانه كان يوجه همه أيضاً الى سن النظمات السياسية والادارية والمالية فى البلاد التى غزاها^(٢) .

- ورد الى بلاد اليونان جميع التحف والآثار التى سلبها الفرس عند ما غزوا بلاد اليونان فى عهد دارا الأول وكزر كسيس وارتا كزر كسيس وقمبيز ودارا الثالث .

- وعلى الرغم من بلوغ اسكندر اوج المجد وبلوغه كل الحول والطول والسلطان فانه كان عفيف الطرف . وقعت فى أسره أجمل نساء الفرس والأغريق فلم يتطلع الى واحدة منهن ولم يلامسها . وكانت منهن ذوات اللواحق والقنود . الفاتكات

بلكترود Plectrude والثانية اسمها البائيد Alpaide ولكل ولد ذكر . الزوجة الاولى ارادت ان تضمن لابنها الملك من بعد أبيه فأسرت بسجن ابن ضرتها شارل Charles إلا أن الثوار أخرجوه من السجن وولوه . وشارل هذا هو شارل الذى لقب فيما بعد بلقب مارتيل Martel للدلالة على قوته وعلى انه كان يدق أعدائه دقا كما تدق المطرقة الحديد على السندان وهو الذى انتصر على عبد الرحمن قائد جيش العرب فى واقعة بواتييه Poitiers وأخرجته من فرنسا ومنها ارتد العرب الى بلاد الأندلس .

(١) سياسة كسب البلاد من طريق الزواج معروفة . وقد اتبعها امراء النمسا حيناً من الزمان وكان شعارهم هو :

"Bella gerant alii, tu felix Austria nube, (que d'autres fassent la guerre; toi, heureuse Autriche, conclus des mariages)

(٢) — الف ارسطاطاليس عدة كتب درس عليها تلميذه الاسكندر من ضمنها كتاب سماه "كيف تناس الامم" بسط فيه آرايه فى السياسة ولى الاخلاق . وقد وصف احد العلماء ارسطاطاليس هذا بكلمة جامعة مانعة قال فيها :

"Sa vaste érudition n'avait d'autres limites que celles de la Science."

الساحرات الناحرات . ألم تقع في أسره زوجة دارا وبنتاه فعاملمن معاملة الملوك .
 ألم يأمر قائده بارمانيون في دمشق كثيراً من أشرف الفرس بنساءهم وبناتهم ؟
 وكان من بين الأسرى بنات أوخوس Ochos (ملك الفرس) وأمن . وبنت
 أوكتريس (أخو دارا) . وزوجة أرتاباز Artabaze وابنه . وزوجة فارتاباز Pharuabaze .
 وبنات مانتور Mentor الثلاثة . وزوجة ممنون Memnon وابنه . وبنت من مدينة
 Pydno أسماها أنتيجون Antigone عدتوها فتنة الدنيا بجمالها . ومع ذلك لم يراود واحدة
 منهن عن نفسها واكتفى بتزويج أنتيجون الجميلة من فيلوتاوس Philotas ابن بارمانيون
 - وكان الاسكندر يضع السيف في موضع السيف والندى في موضع الندى .
 كان يجازي الاحسان بضعفه والاساءة بصفحه . ألم يأمر بارمانيون في دمشق نواب
 مدن اليونان التي كانت خالفت دارا ضده فلم يمسه بسوء وخلي سبيل نائبي طيبة
 Thèbes كما أطلق سراح نائب اثينا Athènes . ولما أمر في واقعة الجرانيك الفين من
 اليونانيين الذين جندهم دارا من المدن اليونانية التي كانت خاضعة له لم يقتلهم حسب
 أصول الحرب بل ارسلهم الى مقدونيا لتشغيلهم في مناجم الذهب . ولما حارب أحد
 ملوك الهند بوروس Porus وأمره أراد ان يظهر له أعجابه بشجاعته وفروسيته فسأله
 كيف تريد ان أعاملك فأجابه الملك الهندي أريد ان أعامل معاملة الملوك فعامله
 الاسكندر معاملة الملوك ^(١) وأكرمه اكراماً عظيماً واستماله اليه وبعد ان كان بوروس
 هذا عدواً لدوداً للأسكندر انقلب وصار نصيراً له وحليفاً . ولما مثلت امامه اخت

(١) وتذكرني معاملة الاسكندر للملك الهندي بوروس Porus تلك المعاملة الكريمة

بمعاملة كريمة مثلها — ان لم تكن خيراً منها — حامل بها البرنس نوار Le Prince Noir
 الانجليزي الملك جان لوبون Jean le Bon الفرنسي . ذلك انه في سنة ١٣٥٦ نشب قتال بين
 الامير الانجليزي والملك الفرنسي انتهى بهزيمة الملك الفرنسي . أصيب الملك الفرنسي
 بجروح بالغة في وجهه ولما انتهت القتال وعجز عن مواصلة سلم سيفه الى احد قواده الفرنسيين
 — كي لا يقع في يد خصومه الانجليز — ثم تقدم الى الامير الانجليزي وسلم نفسه له فاسره .
 الا ان الامير الانجليزي اعترافاً بشجاعة الملك الفرنسي وحسن بلائه في القتال اكرمه اكراماً
 عظيماً حتى انه وقف يخدمه بنفسه عندما قدم له الطعام واني ان يجلس بجانبه على المائدة قائلاً انه
 لا يرى نفسه جيداً بان يجلس بجانب ملك اظهر من الشجاعة والبلاه وحسن البلاه ما اظهره
 الملك جان

الجنرال تياجين متهمة بقتل أحد ضباطه سأها اسكندر من انت اجابته بكل جراءة
انا أخت تياجين الذي قاتل اباك في سبيل حرية بلاد اليونان وقاتلك أنت ايضاً
في واقعة كبرونية وفيها قتل . فاعجاباً بشجاعتها وتقديراً لصراحتها عفا
عنها وردت اليها اموالها واولادها (١) . وهذا يسير من كثير

(١) يذكرني عفو اسكندر عن أخت الجنرال تياجين بعفو المأمون عن ابراهيم بن
المهدي . كان ابراهيم بن المهدي ادعى الخلافة لنفسه « بالري » وأقام مالكا لها سنة واحدة وأحد
عشر شهراً وإثنى عشر يوماً . فلما علم المأمون بأمره سار في طلبه وجعل لمن أتاه به مائة ألف
درهم . دخل المأمون الري وقبض على ابراهيم بن المهدي فلما مثل بين يديه سلم عليه بالخلافة
فاجابه المأمون « لا سلم الله عليك ولا حياك ولا رطاك » فقال له ابراهيم : على رسلك يا أمير
المؤمنين . ان ولي النار يحكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى . وقد جعلك الله فوق كل عفو
كما جعل ذنبي فوق كل ذنب . فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك . فرق المأمون واستروح
ابراهيم روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل المأمون على ابنه العباس وأخيه أبي اسحاق وجميع من
حضر من خاصته وقال . (ماترون في أمره) فشكل أشار بقتله الا انهم اختلفوا في القتل كيف
تكون . ثم التفت المأمون الى احمد بن أبي خالد وسأله رأيه فقال : (يا أمير المؤمنين ان تقتله
وجدنا مثلك من قتل مثله وأن عفوت عنه لم نجد مثلك من عفا عن مثله) فنكس المأمون رأسه
وقال ل ابراهيم « قد عفوت عنك ورددت اليك مالك وضياعك » . اليست هذه « صورة طابق
الاصل » لما فعله اسكندر مع اخت تياجين ؟

وها سابقة تاريخية للمثل الذي ضربته اخت تياجين Théagène بتضحياتها حياتها
فداء لوطنها وفداء ل أخيها بتضحية اخرى اظهرت فيها اسراء مثلها شجاعة ورباطة جاش وتضحية
من اغرب ما روى التاريخ . ذلك انه في شهر مايو سنة ١٨٠٨ زحفت جيوش نابليون على اسبانيا
لغزوها فلاقته من الاسبان مقاومة عنيفة جداً حتي ان الفريجين تقاتلا بالمدافع وبالبنادق وبالسيوف
وبالسكاكين ولم تفهم المصارعة باليد والعض بالاسنان والضرب بالهراوات والتراشق بالاحجار
وكانت المعارك دموية من اشد ما يكون هولا . حدث ان وصل طاوور فرنساوى واحتل قرية جلا
عنها سكانها . وجد الجنود الفرنسيون في دارمنا اسراة ومعها ولدها كما وجدوا عندها ماكولات
كثيرة . . فقبل ان ياكل الجنود منها شيئاً طلب الضابط من المرأة ان تاكل منها شيئاً ليتحقق
من انها ليست مسمومة فاكلت المرأة . ثم طلب منها الضابط ان ياكل ولدها منها ايضاً فنفذت
الامر حالا . عند ذلك اطمان الضابط والجنود واكلوا ما بقي من الماكولات . وما هي الا هنية
واذا بالأم والولد والضابط والجنود قد ظهرت عليهم اعراض التسمم وماتوا جميعاً . وبهلاك
الطاوور كل خات القرية من الفرنسيين فاحتلتها الاسبان . ضعت الأم بحياتها وبجياة ولدها فداء للوطن
وها ايضاً حادثا عفو : عفو جاء طوعاً وعفوجاء كرها : —

١ — في القرن السادس عشر — في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ — وقعت فتن خطية
في فرنسا تلتها مذابح بين الكاثوليك والبروتستانت معروفة في التاريخ باسم لاسانت برتلى
La Saint Barthélémy قتل فيها من الفريقين ٢٠٠٠ نفس وكان البرنس

- ويمتاز الاسكندر عن كثير من الملوك بزهده في المال . كل همه كان موجهها الى الجاه والسيطان . قبل محاربة الفرس وزع ثروته على ضباطه وجنده . ووزع مال امه

فرنسوا دى جيز François de Guise على راس جنود الكاثوليك وكان هو سبب كل البسلايا والرزايا التي حلت بفرنسا . فلانتقام منه اغتاله بولترو Poltrot احد اشرف الكاثوليك بينما كان ضاربا الحصار على مدينة اورليان Orléans فلما شعر البرنس فرنسوا بدنو اجله ندم على ما جنته يدها وطلب ان يؤتي له بقاتله . فلما حضر ساله عن الباعث الذي دفعه لقتله فاجابه القاتل (ان ديني يامرني بقتلك) فاجابه البرنس وهو يحتضر (ان مكان دينك يامرك بقتلي فان ديني يامرني بالمغفوعتك)

ويذكرني هذا التفاضل بين البرنس وقاتله بتفاضل جري بين زميلين . ارسل الزميل (ن . ت) الى زميله له (ا . ع) تذكرة لحضور حفلة تقيدها جمعية خيرية ينتسب اليها . فردها الزميل بكلمة قال فيها (ان ديني يامرني بان أردھا) . وبعد سنة او سنتين ارسل الزميل (ا . ع) الى زميله (ن . ت) ثلاث تذاكر لحضور حفلة تقيدها جمعية خيرية ينتسب هو اليها فتقبها الزميل (ن . ت) بكلمة قال فيها (ان آدابی يامرني بان لا أردھا) فتأمل .

٢ - لما عبر الاسكندر الدردنيل ووصل الى بر آسيا فكر في الانتقام من اهالي مدينة لامبساك Lampsaque لانهم كانوا نازعوهم وناصبوه العداوة . فلانتقام منهم عزم على تدمير مدينتهم وجعل عاليها سافلها . الا انه من حسن حظ المدينة انه كان فيها اناكسيمين Auximène احد اساتذة الاسكندر . فلما علم بزحف الاسكندر على المدينة اسرع وطلب مقابلته . فلما مثل بين يديه ادرك الاسكندر في الحال ما سيطلبه منه فابتدره بقوله « لقد حلفت يمينا جزما بأن ارفض الطلب الذي ستطلبه مني » فاجابه اناكسيمين في الحال « مادام امرك امراً جزماً فاني اطلب منك تدمير مدينة لامبساك تدميراً تاماً » فاعجب الاسكندر بدهاء معلمه ومكره واضطر الى عدم المساس بالمدينة احتراماً ليمينه (من عدم اجابة طلبه) ومدينة لامبساك هذه واقعة في مدخل الدردنيل واسمها الآن (جارداك Tchar-Dak) او (امبساكية Ampsakieh) او (لامبساكي Lampsaki) او لابسك Lepsek .

ومثلها كان احد سلاطين آل عثمان (لا يحضرني اسمه الآن) امر بقتل وزير له وقبل تنفيذ امر السلطان طلب الوزير قدح ماء فامر له به السلطان . اظهر الوزير تخوفه من قتله قبل شرب الماء فالتفت اليه السلطان وقال (اعطيتك الامان بان لا تقتل قبل شرب هذا الماء) فالتق الوزير الماء في الارض فاستحال عليه شربه وباستحالة شربه استحال تنفيذ امر السلطان . وبهذه الحيلة نجا الوزير .

وها واقعة عفوية ثانية هي مثال لاسمى العواطف انقلها عن كلمة كتبها الاستاذ انطون الجليل بك في مجلة المصور (ديسمبر سنة ١٩٤٢)

« حاصر كونراد الثالث امبراطور المانيا (١١٣٨ — ١١٥٢) مدينة ويتسبرج مدة طويلة حتى تمكن من فتحها على الرغم من استبسال اهليها في الدفاع عنها . ولما تم له النصر اعتزم

على ضباطه وجنوده^(١). ووزع الاسلاب والغنائم على ضباطه وجنوده^(٢) عرض عليه دارا لأقضاء امه وزوجته وأولاده ذهباً بمقدار ما تحويه خزائن مقدونيا كلها فرفض وقال لدارا

ان ينزل بالمدينة اشد العقوبات فأباح لمسكره الساب والنهب . ولكنه اخذته الشفقة على النساء الضعيفات الاواني لاسلح لهن . . فاذن لهن في الخروج من المدينة - المات من كل اذى وسمع لهن بان يحمن معهن ائمن مالدوين . وما أعظم ما كانت دهشته عندما رأى كل امرأه قد حملت زوجها على ظهرها وهي خارجة من المدينة . فسأل عن جليلة الامر فاجبن كلهن بصوت واحد : لقد سمع لنا جليلة الامبراطوران ناخذ ائمن ماعندنا وايس عندنا ائمن من رجالنا . فاعجب الامبراطور بهذه المواطف وعفا عن المدينة نساءها ورجالها .

(١) بعد ما وزع الاسكندر أمواله وأموال أمه على ضباطه وجنوده - ألود وماذا بقي لك ؟ فاجاب « الامل »

ان المبدأ الذي سار عليه الغزاة قديماً وحديثاً كان مبدأ نهب البلاد التي يغزونها لتموين جيوشهم أولاً فالأعمال بالقول المأثور عن أحدهم كاتون Caton الروماني عندما غزا اسبانيا وطرده موردي الجيش اذ قال لهم « انما الحرب تغزي الحرب » « La guerre nourrit la guerre » .
(٢) واقتدى به يوليوس قيصر Jules César اذ أوصي بمعظم ثروته الى أعوانه وانصاره وتنازل عن أملاكه كلها الى الامة (كما فعل أتاتورك من بعده بألقي وثلاثمائة سنة) وخصّص لكل مواطن من مواطنيه من أمواله مبالغاً يعادل خمسة جنيهات من عملة اليوم . فعلموا هذا وكان لسان حالها يقول ما قاله لويس الثاني عشر ملك فرنسا :

« Cet argent fructifiera mieux dans les mains du peuple que dans les miennes »

هي كلمة — بل هي حكمة — يجب أن تدوي في اسماع الاغنياء الذين يستاثرون بخيرات البلاد ويخزنونها في البنوك ولا ينفقونها فيما يعود بالخير على الامة .

واقتدى بهم أيضاً أوكتاف Octave الدكتاتور الروماني (الذي صار فيما بعد الامبراطور اغسطس) اذ باع كل ما يملك ووزعه على ضباطه وجنوده .

وفعلت منهم كيلوباترا Cléopatre ملكة مصر عندما أمدت انطوان (خايلها او حليها . الفرق نقطة) — لمقاتلة أوكتاف — بمبلغ يوازي خمسة ملايين من جنيهات اليوم .

ومثلهم أيضاً ايزابيل Isabelle ملكة قشتاله Castille (من بلاد الاندلس) اذ انها

لما أرادت اخراج العرب من بلاد الاندلس صعد لها الامير أبو عبد الله عشر سنوات وأخيراً وضعت الحصار على غرناطة حاضرة العرب وقتئذ وحاصرتها تسعة شهور حصاراً شديداً ولما لم تنلج في الاستيلاء عليها — اذ كانت تعوزها المدافع الضخمة والأسلحة — باعت كل مجوهراتها ومصوغاتها وحلها وأنفقت ثمنها في شراء المدافع والأسلحة ثم شددت الحصار فاضطر الامير أبو عبد الله الى التسليم وكان هذا التسليم ايذاناً بزوال دولة العرب من بلاد الاندلس .

— ومثلهم السلطان صلاح الدين الايوبي الذي اتفق كل امواله الخاصة في حروبه مع الصليبيين ولما مات في دمشق في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ (٤ مارس سنة ١١٩٣) لم يجدوا

أني لا أطمع في مالك . كل ما أبتغيه وأسعى إليه إنما بسط سلطاني على آسيا كلها (١)

في خزانته سوى ٤٧ درهما من الفضة واضطرت اخته « ست الشام » ان توزع الصدقات والاحسانات عند تشييع جنازته من اموالها الخاصة (راجع « احاديث تاريخية » للمؤرخة النبيلة « بنت بطوطه » صفحة ١٧٩) و صفحة ٢٥٨ من كتاب يوسف قطاوى باشا « نظرة في تاريخ الامة المصرية » والسلطان صلاح الدين الايوبي مدفون في مقام بالجامع الاموي في دمشق وضريحه مكسوة من الداخل بالقيشاني القديم وعليه آيات من القرآن الكريم وبعض الاشعار . وقد زاره غليوم الثاني امبراطور المانيا فبهره جمال الضريح وأراد نزع القيشاني وارسله الى برلين ولكن طابه رفض . وبهذه المناسبة نقول ان الدكتور عبد الرحمن شهبندر الزعيم السوري الذي اغتاله بعض الثائرين مدفون هو أيضاً في الجامع الاموي على مقربة من ضريح السلطان صلاح الدين .

ونابليون Napoléon اتخذهم أسوة له اذ انه قبل أن تحفره الوفاة في جزيرة سانت هيلانة حرر وصيته فأوصى لـ Montholon بمليون فرنك (٨٠٠.٠٠٠ ر.) و لـ Bertrand بـ ٥٠٠.٠٠٠ فرنك (٢٠٠.٠٠٠ جنيه) . ولـ Marchand بـ ٤٠٠.٠٠٠ فرنك (١٦٠.٠٠٠ جنيه) ولكل واحد من خدمه بأربعة آلاف جنيه كما خص كثيراً من قواد ميوشه بمبالغ طائلة . ثم وزع أملاكه كلها لخمس ضباطه وجنوده بنصفها وخص النصف الآخر المدين والقري التي نكبت بسبب غزو الحلفاء لها في سنق ١٨١٤ و ١٨١٥

استطرد — قارن الآن بين هؤلاء والكردينال مازارين Mazarin (كان ايطاليا ثم تجنس بالجنسية الفرنسية) الذي حكم فرنسا بصفة رئيس وزرائها في القرن السابع عشر في عهد لويس الثالث عشر وفي بداية عهد لويس الرابع عشر فانه دخل فرنسا وليس في جيبه مايم ومات وترك ثروة مقدارها ٢٠٠ مليون فرنك (٨ ملايين من الجنيهات)

(١) يذكرني رد الاسكندر على دارا برد السلطان محمد الثاني على وزيره خليل باشا . كان السلطان محمد يحلم دائماً بالاستيلاء على القسطنطينية ليجعلها عاصمة للملك . لائن السلطنة العثمانية كان لها في ذلك الزمان عاصمة في آسيا هي بورصة Brousse وعاصمتان في أوروبا هما أدرنه Audrinople وسالونيك Salonique وهذه العواصم الثلاث كانت متباعدة . ففكر السلطان محمد في الاستيلاء على القسطنطينية لانها واقعة بطبيعتها في وسط ساطنة آل عثمان . وكانت فكرة الاستيلاء على القسطنطينية كابوساً لازماً زمناً طويلاً وانتزع منه النوم وراحة الفكر . ففي ذات ليلة أرق السلطان ارقاً شديداً فاستيقظ وأمر باستدعاء الصدر الاعظم خليل باشا . فلما وصل رسول السلطان الى خليل باشا في هذه الساعة من الليل ظن ان ساعة موته دقت فخرر وصيته واستودع الزوجه وبنته وجمع كل ما ملكته يداه وكل ما ملكته يدا زوجته وكل ما ملكته يدا بنته — من الماس والآلى وذهب وفضة واحجار كريمة ومال نقد — ووضعه في وعاء وذهب به الى سراي السلطان . ولما مثل بين يديه فدّاه اليه عربوناً على ولائه واخلاصه

- ولما عرض عليه دارا الصابج على ان يتنازل له عن نصف الامبراطورية الفارسية^(١) - اى جميع البلاد الواقعة غرب الفرات - وأن يزوجه من بنته وأن يدفع له مبالغاً كبيراً من المال أفهم الاسكندر أم دارا وزوجة دارا وبنتى دارا بأنه لا يضم لشخص دارا عداءاً ، نعم انه قاتله ولكنه قاتله لا ليستولى على ماله ولا على نسائه ولا على بناته ولا على بعض بلاده بل كل ما اراده ويريده انما بسط سيطرته على

وطالب منه عفود ورضاء . فتبسم السلطان وقال له « اطمئن يا خليل . انى غير طامع فى مالك ولا فى حياتك كل ما أريده فى هذه الحياة الدنيا انما القسطنطينية » .

قابل الآن بين ما قاله الاسكندر وما قاله السلطان محمد الثانى بما قاله ريشار ملك انجلترا الذى حكم انجلترا عشر سنوات (من سنة ١١٨٩ الى سنة ١١٩٩) وما كان له همّ الاّ جمع المال وانفاقه فى ملذّاته حتى ان خزّانة الدولة كانت دائماً فارغة وكان يقول انه لا يتأخر عن بيع مدينة لندرة اذا وجد لها مشترياً .

" Je vendrais Londres si je pouvais trouver un acheteur "

فانظر واحدكم بين من يريد بيع عاصمة ملكه ليحصل على المال وبين من يرفض المال ليضم قارة بأسرها الى ملكه ومن يرفض المال ليضم عاصمة الى سلطنته .

وعلى ذكر القسطنطينية وحصارها وغزوها نقول ان القسطنطينية حوصرت ٢٩ مرة من يوم ان تأسست الى ان فتحها السلطان محمد الثانى . حاصرها المقدونيون والرومان والفرس والروس والعرب والباغار والافريقى واللاتين . وحاصرها من سلاطين آل عثمان السلطان بايزيد والسلطان مراد الثانى (ابو السلطان محمد الثانى) قاومت ٢١ حصاراً وسقطت ثمانى مرات . (١) — عرّض دارا على الاسكندر أن يشاطره آسيا على أن يكون له النصف وللأسكندر النصف يذكرنا بمساومة مثابا عرضها مسيلمة بن حبيب على النبي (صلى الله عليه وسلم) . إذ انه لما ادّعى مسيلمة النبوة أرسل رسولين الى النبي بالمدينة يحملان رسالة جاء فيها (من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله . سلام عليك . أما بعد فاني قد أشركت فى الامر معك وان لنا لنصف الأرض واقرش نصف الأرض . . .) فكان جواب سيدنا محمد « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب . أما بعد فأن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده المتقين »

وطمع اسكندر هذا فى ملك دارا يذكرني بطمع كاترينه امبراطورة روسيا باراضى مملكة بولونيا . اذ انها لما اتفقت مع ملك بروسيا فردريك الثانى ومع ماري تريز امبراطورة النمسا على اقتسام مملكة بولونيا اخذت حصّة الاسد . فكتب اليها فردريك الثانى ملك بروسيا يقول لها « اسمحي لى ان اقول لك ان لك شهوة قوية »

* " Permettez-moi de vous le dire : vous avez bon appétit . . . " .

آسيا كلها ^(١) وشفع جوابه هذا بقوله « كما ان الارض لا تحتل شمسين كذلك لا تحتل ما سكنين . »

— ولم تله فتوحاته وغزواته عن التفكير في الاعمال ذات المنفعة العامة . سياسية كانت أو علمية أو أدبية أو زراعية أو تجارية . وكان له في كل ناحية منها جولة وفي كل ميدان صولة . وكان ينفذها بإرادة جبارة . ارادة رجل سيف لا ارادة رجل قلم . فكان يعمل عمل سنة في شهر وعمل شهر في يوم وعمل يوم في لحظة . منها انه سلك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة التي غنمها من الفرس وحوها الى عملة ذهبية وفضية نثرها نثراً في أسواق بلاد آسيا فراجت التجارة والصناعة رواجاً كبيراً لم يسبق لهذه البلاد عهد بمثلا . ومنها انه نفذ مشروعات رعى كثيرة في بلاد فارس وبابل والعراق وآسيا الصغرى فأحيا أراضي مواتاً واسعة فزادت الحاصلات وعمّ الرخاء . وكشف مناجم كثيرة في البلاد التي غزاها واستخرج منها ثروة معدنية كبيرة فازدهرت الصناعة . وبعد ما استولى على افغانستان وتركستان اشترى أجود الثيران والأصناف الاصيلية وارسلها الى مقدونيا لتربيتها والانتفاع بنتاجها . وجلب الاشجار والنباتات والأزهار من أوروبا وغرمها في بلاد آسيا ولا سيما في بابل . ولعله بان الدهر ميل عقد محالفات سياسية وتجارية ومعاهدات ود وصداقة مع ملوك وأمراء البلاد المجاورة ليضمن سلامة أمبراطوريته اذا ما انتقل يوما ما من النوم الأصغر الى النوم الأكبر وفجأت ابنه الصغير نبوة الزمان واختار ستة من مدن مقدونيا ومن مدن بلاد اليونان ليشتيد فيها معابد وهياكل غاية في الابهة والعظمة خصص لكل واحد منها ما يعادل ٣٦٠٠٠٠ من جنهات اليوم لتبقى شاهدة على عظمة امبراطوريته ما مرت الدهور والاعوام .

(١) تذكرني كلمة اسكندر اذ قال انه لا يضر لدارا عدا ما بكامة قالها من بعده فريدريك الثاني ملك بروسيا عندما بلغه خبر وفاة الامبراطورة ماري تريز Marie Thérèse وكان قد حاربها من قبل سبع سنوات متواليات La Guerre de sept ans — من سنة ١٧٥٦ الى سنة ١٧٦٣ " Je lui ai fait la guerre, mais jamais je n'ai été son ennemi " وكانت ماري تريز هذه تطمع في ضم بعض الاراضي البروسية — ومنها ولاية ساكسونيا — الى امبراطوريتها

— كان الاسكندر مجل اعجاب جميع القياصرة والملوك ، والكبار منهم اتخذوه المثل الأعلى في حروبهم وفي سياستهم .

١ - فيوليوس قيصر Jules César الذي عدّه المؤرخون بحق من أكبر رجال الحرب في الزمن القديم والذي رفع الأمبراطورية الرومانية الى ذروة المجد والسيادة ودانت له أوروبا وأفريقيا وآسيا كان يطالع حياة اسكندر في أوقات فراغه . رأوه ذات يوم يبكي وفي يده كتاب ^(١) في حياة اسكندر . سئل في ذلك فقال « أليس من المؤلم حقاً أن لا أكون عمت حتى الآن شيئاً يذكر مع أن الاسكندر كان غزاً ممالك كثيرة في السن التي أنا فيها الآن »

وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الألماني فيلكن (صفحة ٢٧٨)

“Dès sa prime jeunesse César avait été un ardent admirateur d'Alexandre. Si profondément différentes que fussent ces deux natures géniales, et bien que le dictateur, d'âge déjà mûr, manquât de cet élan juvénile avec lequel Alexandre s'était lancé à la conquête du monde, leurs ultimes projets coïncidaient pourtant de façon extraordinaire.”

وبهذا المعنى ما قاله المؤرخ الفرنسي رادييه Radet

“ . . . Alexandre, César, deux figures qui se répondent sur les plus hauts sommets de l'histoire, deux incarnations différentes d'un principe identique.

“Alexandre, César, deux volontés formidables, dont la disparition brusque change la face du monde.

“Par le génie militaire, comme par l'intelligence politique, Alexandre et César sont des grandeurs de même ordre . . (V. Radet. P. 416.)

٢ - والامبراطور الروماني الكبير تراجان Trajan الذي عاش في أوائل القرن الثاني من الميلاد وكان اسمه يزلزل الشعوب كان هو أيضاً من المعجبين باسكندر الأكبر . اقتدى به في حروبه وفي سياسته . غزا البلاد الواقعة على نهر الرين Rhin والبلاد

(١) وفي رواية أخرى رأوه امام تمثال الاسكندر يبكي . واليك ما رواه المؤرخ

الفرنساوي فيكتور دروي Victor Duruy :

“Ses amis l'avaient vu pleurer devant une statue d'Alexandre en répétant: “ A mon âge, il avait conquis le monde et je n'ai encore rien fait . . ”

الواقعة على نهر الدانوب Danube والبلاد الواقعة على بحر الخزر mer Caspienne . وضم بلاد أرمينيا الى مملكته وأخضع بلاد القوقاز والباينا وجزءا من بلاد العرب واجتاز نهري الدجلة والفرات وغزا البلاد الواقعة ما بين النهرين وزحف الى أن دخل مدينة بابل واستولى على المدائن وسوس وضم بلاد الآشوريين الى مملكته . وكانت ديار مصر وبرقة وجزيرة قبرص من الولايات التابعة لأمبراطوريته . ثم أنشأ اسطولا في نهر الدجلة واصل السير به الى الخليج العجمي وهنا وقف وقال : آه لو كنت شابا مثل الاسكندر لكنت غزت بلاد الهند ^(١)

(١) اسمع الآن ما قاله المؤرخ الالمانى فياكن عن الامبراطور تراجان وانخاضه الاسكندر اسوة له :

"Disons quelques mots seulement de Trajan, qui avait pris pour modèle non seulement César, mais aussi Alexandre, bien que celui-ci lui apparût comme un idéal inaccessible. Il remplit le plus brillamment la première partie du programme de César par ses guerres contre les Daces, ensuite il entreprit la seconde partie, la guerre de Parthes, qu'il commanda en personne, et durant laquelle l'image d'Alexandre l'accompagna sans cesse. Après l'occupation de Ctésiphon, capitale des Parthes, il fut pris, comme Alexandre autrefois, d'un désir passionné de descendre le Tigre jusqu'à l'Océan (c'est-à-dire jusqu'au golfe Persique) ; lorsqu'il fut en pleine mer et qu'il vit un navire cingler vers l'Inde, il s'écria, dit-on : Moi aussi j'irais chez les Hindous, si seulement j'étais encore jeune; et il vanta la fortune d'Alexandre. Se fondant sur cet incident, certaines sources ultérieures parlent, à tort, de ses projets de campagne dans l'Inde, alors que ces paroles expriment plutôt la résignation douloureuse du vieux souverain qui aurait bien voulu rivaliser avec le jeune héros. A Babylone, il manifesta ensuite d'une façon symbolique sa vénération profonde pour Alexandre, en célébrant un sacrifice héroïque dans sa chambre mortuaire, au vieux palais royal. D'autres empereurs honorèrent encore la mémoire d'Alexandre, et notamment au commencement du III^e. siècle, (parfois par des manifestations de très mauvais goût). Au IV^e. siècle, Julien l'Apostat dans sa campagne de Perse, se rappela qu'il était sur les traces du grand conquérant. Mais aucun de ces hommages à Alexandre n'est aussi émouvant que celui de Trajan, l'un des meilleurs d'entre les empereurs romains. (Voir Wilcken p. 282 - 283)."

وها ما قاله المؤرخ الفرنساوى راديه Radet في هذا الصدد :

" Pour voir renaître, dans leur magnifique plénitude, les traits et les projets d'Alexandre, il faut arriver à Trajan. Trajan, du Nil au Tigre, marche sur les traces du Macédonien. En Egypte, de même que celui dont il rêve d'être l'émule interrogeait Ammon, il consulte, à Médamoud, le taureau sacré, interprète du dieu Montou, et ce dieu, renouvelant les promesses de l'oracle libyen, dit à l'empereur :

" Je te donne tous les héritages de la terre, j'élargis ton domaine jusqu'au ciel."

" Vainqueur des Parthes, Trajan gagne Babylone et sacrifie aux mânes du vainqueur des Perses dans le palais où celui-ci a expiré. Sur les rives du golfe Persique, il aperçoit un navire qui, prenant la voie jadis explorée par Néarque, cinglé vers l'Inde. Il s'écrie :

" Que ne suis-je plus jeune ? J'assignerais pour limites à Rome les frontières de l'Empire d'Alexandre."

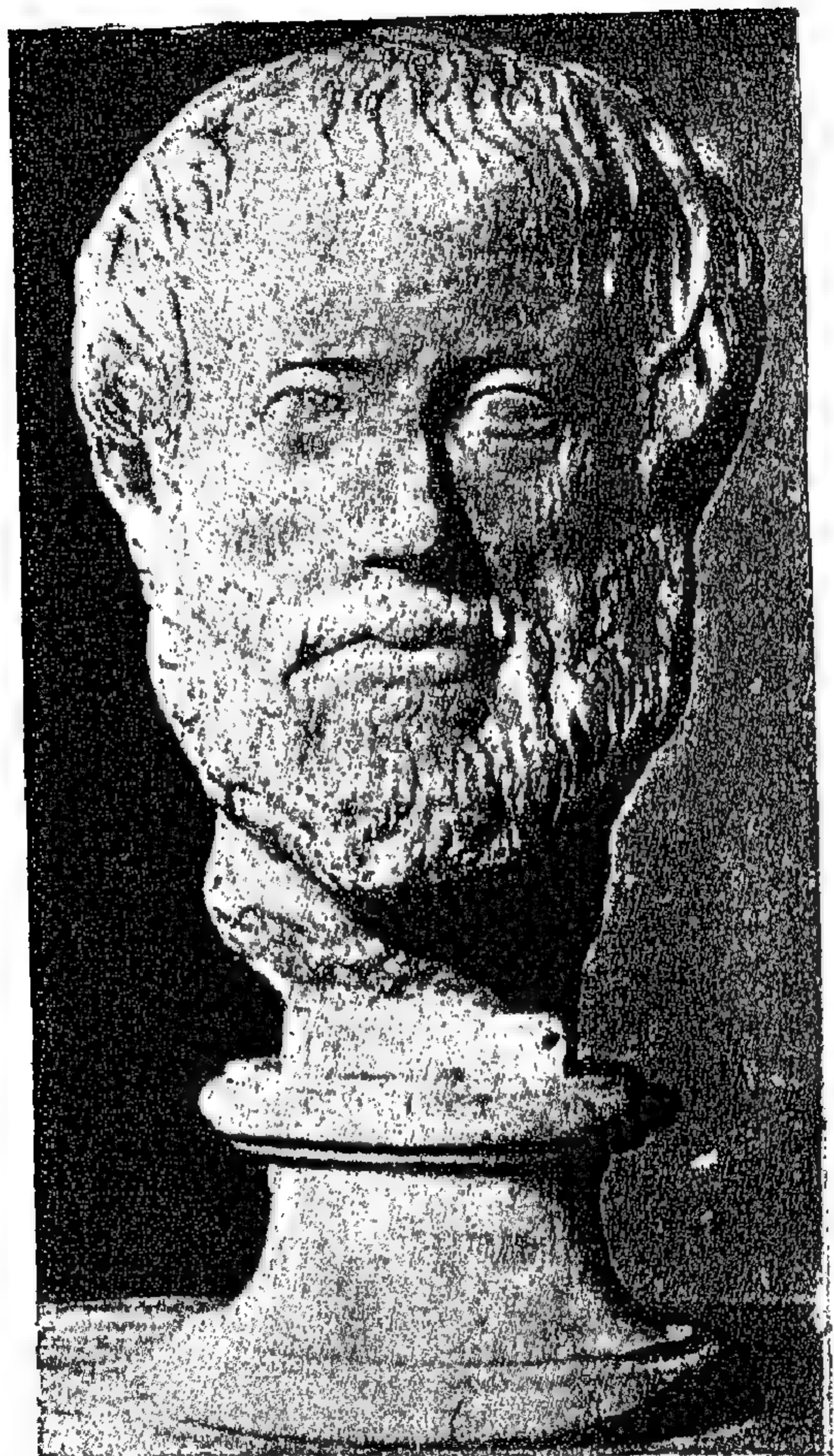
٣ - والأمبراطور الرومانى كارا كللا Caracalla كان من أشد المعجبين بالاسكندر

والامبراطور تراجان Trajan هذا كان رجلاً عادلاً محباً لرعاياه لا يعمل الاخيرهم وهنائهم . كان يقول دائماً « أريد أن أعامل رعايى كما كنت أريد أن أعامل لو كنت واحدا منهم » . ولعدائه اقام له الشعب عموداً فخماً فى احد ميادين روما سموه عمود تراجان تخليداً لذكراه ولا يزال هذا العمود قائماً حتى الآن شاهداً على حب رعيته له وتقديرها لما اسداه اليهم من خير . وعندما قلد المحافظ امرّ المدينة وسلمه السيف قال له « استعمل هذا السيف دفاعاً عنى اذا احسنت لبلادى واستعمله ضدى اذا اسأت اليها »

"Sers-toi de ce glaive pour moi si je fais bien, contre moi si je fais mal."

وتكاد تكون هذه الكلمة الرشيدة «صورة طبق الاصل» لكلمة قالها ابو بكر الصديق فى اول خطاب له بعد مبايعته خليفة للمسلمين حيث قال «ان استقممت فتابعونى وانزفت فتقومونى». ومثلها الرواية المشهورة التى سأل سيدنا عمر بن الخطاب الناس فيها ان يدلوه على عوجه فقال أحدهم (والله لو علمنا فىك اعوجاجاً لقومناك بسيوفنا) فحمد الله ان يجعل فى المسلمين من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

وتجسد مثل هذه الروح العالية فى نظام القضاء عند الفراعنة اذ انه فى زمن قدماء الفراعنة كانت ادارة البلاد موكولة الى ثلاثين قاضياً يختارونهم من أشهر المدن المصرية وكانت لهم مناصبات كبيرة كي لا يشغلهم عن مهام وظائفهم شاغل دنيوى وكان الملك يحلفهم بأن لا يطيعوه اذا أمرهم بأمر لا يتفق مع العدالة



المؤرخ « بلوتارك Plutarque »

اتخذ قذوة في جميع أعماله ومن فرط إعجابه به أمر بنشر صورته وبأقامة تماثيل له في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية (١) .

٤ - والسلطان محمد الثاني « الفاتح » الذي استولى على القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ كان هو الآخر من المعجبين بالاسكندر وقد اتخذ الاسكندر ويوليوس قيصر قذوة له في غزواته وسياسته (٢) .

٥ - ومشاهير هنري الرابع من أعظم ملوك فرنسا . كان دائما يطالع كتاب بلوتارك « تراجم مشاهير الرجال » وفي مقدمتهم اسكندر الاكبر

وكتاب بلوتارك الذي يطالعه كبار الملوك ويذكره دائما كبار الكتاب وكبار المؤرخين في أحاديثهم وفي كتبهم هو كتاب ألفه المؤرخ اليوناني بلوتارك Plutarque الذي ولد في مدينة كيرونية في القرن الاول من ميلاد المسيح - بين سنتي ٤٥ و ٥٠ من الميلاد ومات في سنة ١٢٥ - ومدينة كيرونية هذه - مسقط رأسه - هي المدينة التي انتصر فيها الاسكندر في بداية حياته . وقد ساح بلوتارك في بلاد اليونان وفي ايطاليا وفي مصر وكان معلم

(١) — وفي هذا يقول المؤرخ الفرنسي رادي

*Caracalla s'était pris d'une passion fanatique pour Alexandre. Il s'inspirait de lui en toutes choses. Il remplissait l'Empire de ses images et de ses statues. L'âme du conquérant étant passée dans la sienne, il ne pouvait s'identifier à lui sans témoigner aussi une ardente prédilection pour Achille. En 214, venant à Elion, il réédita, avec une pompe théâtrale les cérémonies qui, cinq siècles et demi plus tôt, s'étaient déroulées dans ces mêmes lieux V. Notes sur l'histoire d'Alexandre. par Radet.

وقال مثله المؤرخ رامبو :

" Il avait choisi surtout comme ses modèles Alexandre de Macédoine et Jules César" V. A. Rambaud dans l'Histoire Générale de Lavisse.

(٢) يقول لامارتين صاحب كتاب تاريخ تركيا :

*Mahomet II lisait assidûment Plutarque, et s'étudiait à imiter Alexandre, César et les grands conquérants dont cet historien raconte les vies. Il avait fait traduire les biographies des grands hommes en turc, pour donner à ses peuples et à lui même l'émulation de la gloire. Les Orientaux ne pouvaient pas comprendre encore l'émulation de la liberté. (p. 191). Histoire de la Turquie. par Lamartine

الامبراطور أدريان لما كان شاباً . وقد ألّف كتابه المشهور « تراجم مشاهير الرجال » :

"Les Vies des Hommes illustres"

وكان الفيلسوف روسو J. J. Rousseau يقرأ هذا الكتاب كلما خلا لنفسه وأطلق
لفكره العنان في أحوال هذه الدنيا : وروسو هذا كاتب فرنساوى من أشهر كتاب فرنسا
بل من أشهر كتاب العالم ولد في مدينة جنيف Genève في أوائل القرن الثامن عشر
وهو نداء فولتير Voltaire المشهور . وينسب الى آرائه وفلسفته وآراء وفلسفة فولتير
الأثر البالغ في الثورة الفرنسية التى شبت في أواخر القرن الثامن عشر . ومن مآثر
قوله « ان كتاب بلوتارك كان أول كتاب قرأته في حداثة سني ولعآه يكون آخر كتاب
أقرأه في شيخوختي . لأنه هو الكتاب الوحيد الذى ما قرأته مرة إلا استفدت
منه فائدة » :

٦- ونابليون الذى عنت لكلمته الجباه ودان له العالم فترة من الزمان^(١) كان يذكر
دائماً الاسكندر كلما خطر بباله فتح أو غزو أو عمل خطير . اعتبر المؤرخون الاسكندر
استاذ رجال الحرب أجمعين في العصور الغابرة فكان من الطبيعى ان يجعل نابليون
حياة الاسكندر قدوة له هو أيضاً . ومن يطالع تاريخ نابليون يجده كان مغرماً بمطالعة
الكتب التى وضعت في حياة الاسكندر الأكبر وفي حياة يوليوس قيصر
Jules César وفي حياة أنيبال Annibal وفي حياة فردريك الأكبر Frédéric II
وفي حياة سيبيون الأفريقى Scipion l'Africain . ومن فرط إعجابه بهم نصب تمثال

(١) ووصفه أحد رجال الحرب بأنه كان :

" Le plus grand génie militaire de l'Histoire "

ووصفه آخر بأنه كان :

" Le premier des premiers dans l'art militaire."

ووصفه مؤرخ روسى فقال :

" ce chef militaire était un maître inégalable, un artiste dans l'art
de la guerre, le plus génial des grands capitaines de tous les temps,
un virtuose sans rival de la stratégie et de la tactique "

وأبلغ منهم ما قاله أحد الألمان Henri Heine

" ses lèvres n'avaient qu'à siffler, et la Prusse n'existait plus."

فردريك الأكبر على مكتبه في باريس وتمثال يوليوس قيصر على مكتب آخر في غرفة أخرى . وتمثال أنيبال وسيبيون على مكتبه في قصر سان كلود St. Cloud . ولما دخل برلين في سنة ١٨٠٤ سار الى بوتسدام وزار قصر سان سوسي Sans Souci - وهو قصر فردريك الأكبر - فأخذ سيفه وقال : « هذا عندي أعز من تاج بروسيا » كما أخذ « المنبه » وهو عبارة عن ساعة من الفضة الخالصة وبقي محتفظاً به طوال الـ ٢٠٠٠ يوم التي قضاها منفياً في جزيرة سان هيلانة على بعد ٢٠٠٠ ميل من أوروبا . وكان يطالع في وقت الفراغ كتاب بلوتارك Plutarque وفيه أوفى وصف لعبقريّة الاسكندر العسكرية كما كان يطالع طائفة كبيرة من كتب تاريخ قدماء الرومان .

وفي جميع أحاديثه كان يتمثل باسكندر الأكبر . - ألم يفكر في غزو بلاد الهند كما غزاها الاسكندر من قبل . ففكر في غزوها من موسكو . ولما قيل له ان روسيا بعيدة جداً عن الهند قال ان الاسكندر جاء اليها من مقدونيا وهي أبعد من روسيا :

" Après tout cette longue route est la route de l'Inde. Alexandre était parti d'aussi loin que Moscou pour atteindre le Gange."

اليس هو القائل « لولا عكا وفشل حصارها لكنت انتصرت في واقعة كواقة أسوس Issus وكنت نصبت نفسي امبراطوراً على الشرق كله » وكان يفكر دائماً في غزو آسيا الصغرى وإيران وأفغانستان ليمد سلطانه الى الهند ثم ينصب نفسه امبراطوراً على الشرق الأدنى والشرق الأقصى كما فعل الاسكندر الذي لقب نفسه « ملك آسيا » بعد أن تم له قهر الفرس . في معركة « اربل » (

٧- ومحمد علي باشا كان هو أيضاً من أشد المعجبين باسكندر . روى المؤرخان الفرنسيان كادالفين Cadavène وبروفري Breuery اللذان عاصراه وعرفاه وخالطاه أن محمد علي باشا سمع بتأليف كتاب في حياة اسكندر طبع ونشر في فرنسا فأمر بأحضاره . فلما عرض عليه الكتاب سأل عن الزمن اللازم لترجمته فأجاب المترجم « تستغرق الترجمة ستة شهور » فقال محمد علي باشا هذا زمن طويل ثم استل سيفاً من أحد القواصة وشرط الكتاب ثلاثاً وقال « الان يجب ان تتم الترجمة في شهرين » ثم التفت الى الحاضرين واستأنف الكلام على الاسكندر وقال « قيل لي ان الاسكندر وبطليموس من مقدونيا وأنا أيضاً من مقدونيا . ان مقدونيا أنجبت ثلاثة

تولوا حكم مصر. الا ان سلطاني علي هذه البلاد اوسع مدى . ولما انتهى الحديث عن الاسكندرو عن مقدونيا استأذناه في السفر الى بلاد النوبة فأذن لهما وودعهما قائلا « لكما ان تسافرا في جميع أرجاء مصر بكل أطعمتان . ستجدان أينما حلتما كل مساعدة وحماية . » ^(١)

(١) وما ما كتبناه عن هذا الحديث في كتابهما « مصر وتركيا »

« Alexandre-le Grand est le héros favori du vice-roi. Ayant appris qu'il existait un résumé des historiens de ce conquérant, il ordonna qu'on lui fit venir cet ouvrage de France. Nous étions présents quand on le lui apporta; des arabesques d'or ajoutaient à l'élégance de ce beau volume, sur lequel Touvenin semblait avoir épuisé les ressources de son art.

— Dans combien de temps pouvez-vous me donner ce livre-là traduit? demanda-t-il à un de ses interprètes.

— Dans six mois.

— C'est trop long, reprit le Pacha avec vivacité; et saisissant aussitôt le yataghan d'un de ses khawass, il a bientôt partagé le riche volume en trois.

— De cette manière vous pourrez vous mettre trois au travail: il me faut la traduction dans deux mois.

— Et moi aussi, nous dit Méhémed-Ali, je veux que les événements qui ont rempli ma vie soient racontés aux hommes. Chaque jour je dicte à mon kiatib (secrétaire) une partie de mon histoire, et c'est merveille comme un fait en appelle un autre et comme une foule de circonstances que j'avais oubliées, viennent se retracer à mon souvenir.

« Admirez, ajouta-t-il après un instant de silence, combien Celui qui sait tout est impénétrable dans ses desseins. On m'a raconté qu'Alexandre et Ptolémée étaient Macédoniens, et moi aussi je suis de la Macédoine. Notre pays devait donc donner trois fois des maîtres à l'Egypte; mais ma puissance s'étend beaucoup plus loin que la leur dans cette contrée, et j'espère, avec l'aide du Ciel, reconnaître un jour si, comme le croit votre Champollion, les Pharaons sont arrivés jusqu'aux sources de ce Nil béni de Dieu.

« Notre conversation dura plus d'une heure; la physionomie du Pacha s'était animée, et nous éprouvions un charme inexprimable à écouter cet homme extraordinaire s'abandonnant à son naturel, causeur

وقد لخص الفيلسوف الفرنسي تيودور جوفروا Th. Jouffroy حياة الاسكندر

في صفحة جمعت بين الایجاز والاعجاز فقال :

“ Après la guerre médique, l'expédition d'Alexandre est le plus grand événement dont l'histoire ait gardé le souvenir. Le guerre médique avait sauvé la civilisation au berceau ; l'expédition d'Alexandre fut le premier acte de sa jeunesse. Elle fut le début de cette longue lutte de la civilisation contre la barbarie qui est le fond de l'histoire de l'humanité, parce qu'elle est le fond de sa destinée. Auparavant, la civilisation n'avait pas osé entrer en lice ; trop heureuse d'avoir la vie sauve et de croître indépendante dans un coin caché du monde, elle laissait l'empire à sa rivale. Elle sortit enfin de sa retraite sous l'enseigne d'Alexandre,

et curieux, et mêlant plus d'une fois les traits d'une ignorance naïve aux observations d'un esprit fin et pénétrant. Après qu'on nous eut servi le café dans des zars ornés de diamants, le vice-roi se leva, et nous primes congé de lui, en lui annonçant notre départ pour la Nubie.

— Allez, dit-il, parcourez sans crainte toutes les parties de mon gouvernement ; partout vous trouverez aide et protection. (Voir L'Egypte et la Turquie de 1829 à 1836 par MM. Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery. Tome premier ; Pages 209, 210, 211).

ولمناسبة حديث محمد على باشا مع مسيو كادالفين Cadalvène وبروفري Breuvery عن مقدونيا والمقدونيين نقول. ان مقدونيا كانت مهد نجائب بعض الرجال العظام . أنجبت خمس أسر مقدونية عظيمة . عظيمة برجالها وعظيمة بالآثار التي تركوها . الاولى أسرة فيليب وابنه اسكندر الأكبر . والثانية أسرة البطالسة الذين حكموا مصر ثلاثة قرون وكان الثلاثة الاول منهم من نوابغ الرجال العظام بلغت مصر في عهدهم ذروة المجد والجاه والسلطان . والثالثة أسرة مقدونية حكمت بيزانطة (القسطنطينية) أكثر من ثلاثة قرون — القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر من سنة ٨٦٧ الى سنة ١١٨٥ وكان عهدا العهد الذهبي للامبراطورية البيزنطية . والرابعة أسرة جوستنيان الاول Justinien الذي تولى الامبراطورية الشرقية من سنة ١٥٢٧ الى سنة ١٥٦٥ وحارب الفرس وغزا افريقيا وايطاليا وكان من أعظم آثاره القوانين التي سماها وصفت باسمه les Digestes, les Institutes, les Nouvelles, les Codes واشتهر بأثاره الكثيرة العظيمة وأهمتها بناء كنيسة آيا صوفيا باستانبول وهو الذي وصفوه بأنه (الامبراطور الذي لا ينام l'empereur qui ne dort jamais) لأنه كان كثير النشاط دائم الحركة لا يكل ولا يمل من العمل . والخامسة هي أسرة محمد على باشا الكبير وقد توات حكم مصر من سنة ١٨٠٥ حتى الآن وكان عهدا « العهد الذهبي لمصر » . أضف الى هذه الاسر بعض نوابغ الرجال المقدونيين الذين اشتهروا في العلم وفي الفاسفة وفي السياسة وفي الحرب مثل ارستاطاليس الشهير ومثل خير الدين ذي اللحية الشقراء Barberousse وغيرهما

elle mit le pied dans l'arène qu'elle n'a plus abandonnée, et dès lors la possession de la terre fut disputée. Aussi cette expédition fut quelque chose de nouveau dans le monde. Elle n'eut point les caractères des invasions barbares qui l'avaient précédée. Au lieu de vaincre par la force, Alexandre vainquit par l'art ; au lieu de détruire, il fonda ; au lieu d'abrutir, il éclaira. Excepté quelques collèges de prêtres qui enchaient comme un mystère le peu de science qu'ils avaient, Alexandre ne rencontra sur son chemin qu'une fastueuse barbarie : de l'or, point de vertus ; des satrapes et des esclaves ; point d'hommes. Partout la supériorité de la race grecque éclata dans tout ce qui est du domaine de l'âme et de la pensée ; partout aussi les peuples s'élevèrent en subissant son joug. Ce fut moins une conquête qu'une mission : le général avait le génie d'un apôtre, et ses victoires avaient des lendemains où le disciple d'Aristote éclipsait le roi de Macédoine. Jusqu'alors il n'y avait point de monde ; il n'y avait que des nations isolées, ennemies ou inconnues les unes aux autres, avec des génies, des habitudes, des directions différentes : Cyrus, comme tous les barbares, n'avait fait qu'un empire ; l'expédition d'Alexandre mit en contact, mêla et jeta dans un même système toutes les nations de l'Orient. Par elle, les idées de toutes ces nations firent connaissance ; elles se comprirent, se contrôlèrent, se rallièrent au flambeau de l'esprit grec, et de cette union intellectuelle résulta le premier monde civilisé, le monde grec ou oriental." Jouffroy (Théodore). philosophe français.

- ومع هول الأهوال والنوازل والكوارث والفواجع والاضطرابات التي لاقاها الاسكندر في حروبه وغزواته ومناوشاته ومع تعرضه غير مرة للقتل والفرق فإنه مات حتف أنفه . ومات وهو في أوج عزه تحيط برأسه هالة من المجد والقداسة (١) .

(١) يدل ذلك الاستقراء على أن آخره معظم الغزاة والذائمين كانت قتلا أو خلافا أو نفيًا أو انتحاراً

— فيليب Philippe أبو الاسكندر قتل

— ودارا الثالث Darius III قتل

— وانطيوكوس الكبير Antiochus le Grand مات رجلاً

— وهانيبال Anuibal انتحر

— ويوليوس قيصر Jules César قتل

— وفرسنجيتوركس Vercingétorix قتل

— وبومبيه Pompee قتل

— وسيللا Sylla مات بمرض خبيث اعفن جسمه

— وأنطوان Antoine (عشيق كليوباترة ثم زوجها) انتحر

ومن بليغ ما قيل عن الاسكندر ما كتبه أحد فطاحل علماء فرنسا مسيو
موريس باريس M. Barrès الشهير بعد ما حضر الى مصر وزار المتحف الأثري
الروماني باسكندرية ووقع نظره على اثار وتماثيل اسكندر الأكبر ودوّن ما جال
بخطره في كتابه (Une enquête aux pays du Levant) ونشرت نفقة منه بحالة

- وكليوباترة Cléopatre انتحرت
- والامبراطور اغسطس مات هما وغما
- والامبراطور جوستينيان مات هما وغما
- وعمر بن الخطاب قتل
- والسلطان مراد الاول قتل
- والسلطان مراد الثاني قضى اخريات حياته مهموما مغموما
- وشارلمان Charlemagne بعد حروب مذهبية مفضية تنازل عن العرش وانزوى في دير مات فيه
- ولويس الرابع عشر Louis XIV ملك فرنسا بعد ان بلغ ذروة المجد والسلطان مات غمأوها
- وجوستاف الثالث ملك السويد Gustave III قتل
- والزباء ملكة تدمر ماتت في الاسر وفي النفي
- والسلطان سليم الذي غزا مصر مات ميتة شنيعة
- وشارل الثاني عشر Charles XII قتل
- ونادر شاه ملك الفرس جن ثم قتل (ويروى أنه لما بلغ ذروة المجد والجاه والسلطان
طالب من امبراطور المغول ان يزوجه بنته فلجأه الى اصله تردد الامبراطور . فارسل
اليه نادر شاه يبين له حبه ونسبه قائلاً : (انا نادر . السيف ابني . والسيف جدي .
وهلم جرا)

“C'est moi Nadir, fils de mon sabre, petit-fils de mon sabre,
et ainsi de suite.”

يذكرني رد نادر شاه على امبراطور المغول برد المعز لدين الله على جماعة من أهل
مصر . ذكر ابن خلكان أن جماعة من أهل مصر طعنوا في نسب المعز واتصله بعلي
ابن ابي طالب . فلما وصل الخليفة المعز لدين الله الى مصر اجتمع به بعض الاشراف
فسأله أحدهم وهو ابن طباطبا ه إلى من ينتسب مولانا ؟ فأجاب المعز انه سيعقد
مجالساً يقيم كافة الاشراف ويسرد عليهم نسبه . فلما انعقد المجالس في القصر سل المعز
سيفه الى النصف وقال (هذا نسبي) ثم نحرهم بالذهب الكثير وقال « وهذا حدي »

— والسلطان بايزيد مات في أسر تيمور لانك

— وقانصوه الغوري قتل

— وعلى بك الكبير قتل

— ونابليون Napoléon مات في النفي

المالين (La Revue des deux Mondes) في عدد ١٥ فبراير سنة ١٩٢٣ (١)

(١) "Au sortir de cette audition et de ces longues visites contrastées, — qui pourtant font une harmonie, je suis allé au musée, et désireux instinctivement de ne pas descendre du plan d'émotion où ces trois journées m'avaient haussé, je m'attachai à y chercher les effigies d'Alexandre le Grand qu'il contient en grand nombre. On sait que les artistes grecs ont interprété les éléments vrais de cette royale figure, pour en faire l'image de la destinée interrompue, et qu'ils sont arrivés à créer ainsi le symbole de toutes les nostalgies qu'éveillent la jeunesse et le génie. L'élan violent, mais toujours déçu par la mort, pour déployer les ressources surhumaines amassées dans le fond de notre être, je ne vois pas de poème ni de symphonie qui le peignent mieux que les monnaies d'Alexandre frappées par Lysimaque ou la grande médaille d'or de Tarse, ou l'Alexandre impétueux, d'une effroyable ardeur physique, de la Mosaïque de Naples, qui fut la joie suprême de Goethe douze jours avant sa mort. Ces portraits du héros dans le plein sentiment de sa force qu'il développe avec une toute-puissance menaçante, doivent être complétés par l'Hermès du Louvre, qui nous montre le conquérant vers la fin de sa brève carrière, dans sa trentième année, quand déjà toute grâce et toute jeunesse l'ont quitté, pour faire place à la terrifiante gravité du jeune vainqueur rassasié et peut-être débuassé. Mais c'est au musée d'Alexandrie que j'ai vu le plus beau de tous les Alexandre, un moulage de la tête, aujourd'hui à Boston, qui fut retirée des boues du Nil. Ah ; la dure image de ce héros, fils des dieux et compagnon de nos imperfections. Avec sa chevelure relevée sur le front et qui tombe comme une crinière des deux côtés de son masque léonin, c'est vraiment un lion humanisé, et là-dessus une extrême mobilité, tantôt de solitude et de mélancolie, tantôt de véhémence farouche. Un charme infini, et pourtant quelque chose de terrible, à cause de la violence de son âme, s'exhale de cette tête si fièrement portée et un peu penchée sur l'épaule gauche, de ce front large et plein, un peu bas, de ce menton aux courbes harmonieuses et douces, et de ce grand oeil au regard humide et lustré.

"Alexandre, la plus belle image de la grandeur, et d'une grandeur à la fois charnelle et spirituelle, complète ce que je viens de voir de grandeur surnaturelle chez nos missionnaires. Et puis ici, dans sa ville, ne devais-je pas lui porter mon hommage, à lui qui préside à tout

هذه هي بعض نواحي عظمة الاسكندر فما أعظمه حيا وما أعظمه ميتا . حقا انها لعظمة تثير العجب والاعجاب . كلما طاف خيالها في ذهني أتذكر عبارة قالها جوتييه
Goethe فيلسوف المانيا الأكبر في فولتير Voltaire فيلسوف فرنسا الأشهر :

“Après avoir enfanté Voltaire, la nature se reposa”

ومعناها « بعد ان أنتجت الطبيعة فولتير استراحت » . ألا ينطبق ما قاله جوتييه
في فولتير على الأسكندر ؟

أما مساوىء الاسكندر فكثيرة . ولكن للحكم عليها يلزم تقديرها حسب ظروف
الزمان وظروف المكان التي وقعت فيها . اذ لا يعزب عن الفكر أن الاسكندر كان في
حالة حرب مع جميع البلاد الواقعة بين نهر الدانوب وبحر الروم (وهي البلاد التي
نسميها الآن سربيا وبلغاريا وألبانيا والجبل الأسود ودالماسيا وتراقيا واليونان) . ومع
مملكة الفرس التي كانت تمتد من الهند الى بحر الروم (وتشمل مانسقية اليوم بلاد
الأناضول والقوقاز والكورج وأرمينيا وتركستان وأفغانستان وفارس وبلوشستان
وهندستان) . كما كان في حالة حرب مع بلاد العراق وبابل وسوريا وفلسطين ومصر .
ولكل مملكة أو أمانة أو دويلة من هذه الممالك والأمارات والدويلات نظامها
السياسي واقتصادها ودينها وشريعتها وعاداتها وطبائعها وأخلاقها . فكان لابد للاسكندر -

ce chaos d'idées et de sentiments, où je vais me promener et dont
il fut le premier moteur . A mesure qu'il s'enfonçait en Asie, il s'est
apparenté avec les dieux vaincus, et, il a paru se donner en proie aux
passions qu'il venait dominer. Saisi par un entraînement irrésistible à la
vue des proportions colossales du monde qu'il venait de dompter, il
succomba à l'enchantement de ses esclaves. Tout cet Orient hellénistique,
c'est un effet de sa victoire et de sa politique de complaisance aux vain-
cus ; toute cette fusion inachevée des éléments européens et asiatiques,
c'est lui qui l'a décrétée. Et sur les travaux innombrables qu'une armée
de savants consacre chaque jour à la propagation des cultes orientaux
et du néo-platonisme dans le monde, sur le bilan de ce que l'Orient
emprunta ou prêta au paganisme occidental, ne peut-on pas écrire :
“Suite de l'histoire d'Alexandre ??” (Voir Revue des Deux Mondes, du
15 février 1928. p. 737).

مثل سائر الغزاة والفاطحين - أن يستعمل الشدة والقسوة تارة واللين والكرم تارة أخرى . يرغب ويرهب حيناً ويحذر وينذر حيناً . وكان من الطبيعي أن يحتاط للدسائس والمكايد التي تحاك حوله وللأهواء والمطامع التي تظهر من حين إلى حين . وكان بعض هذه البلاد على شيء من الحضارة والبعض الآخر كان لا يزال على فطرته . وبعضها كان يئن من ظلم الفرس . والبعض الآخر كان يتمتع بشيء من الحرية والاستقلال . فما كان في الامكان أن يعامل كل هذه الشعوب المنوعة على وتيرة واحدة . ثم انه كان مضطراً أن يعامل بعضها حسب ما يلاقيه منها اما ميلاً إلى السلم او الاستسلام أو ميلاً إلى النضال والنزال .

فمن المساوي التي لوئدت ممعة الاسكندر :

- تدميره مدينة Thibos من عواصم بلاد الاغريق . إذ انه لما عرض عليها الصالح أبت فاستولى عليها عنوة ثم أمر بتدميرها فدمرت ولم يبق منها سوى الهياكل والمعابد كما أمر بقتل أهاليها إلا الكهنة ومن احتوى في المعابد والهياكل . ولا عجايبه بالشاعر الشهير Pindare أمر بأن لا يمس ذراريه بسوء .

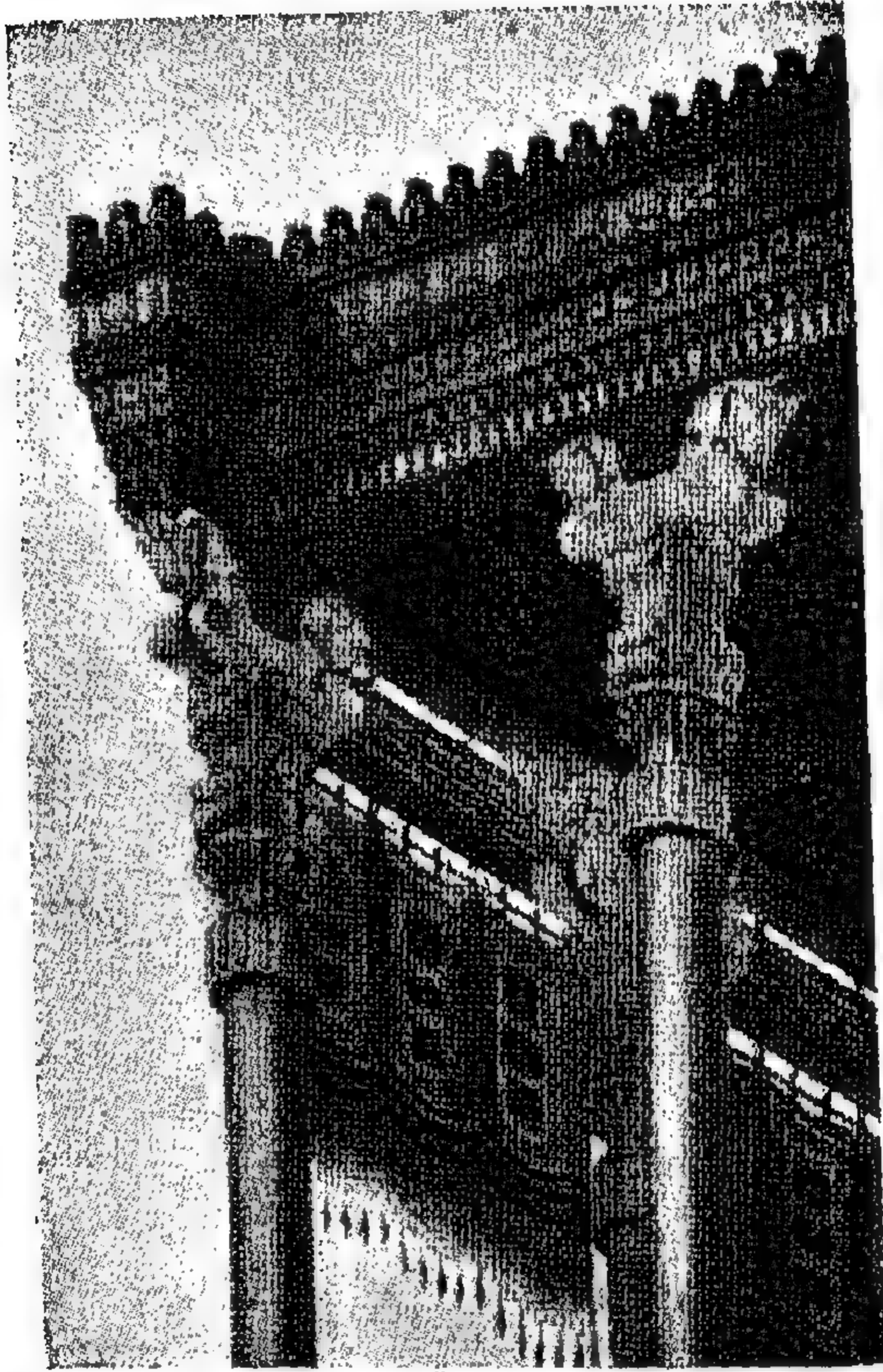
- وتدميره مدينة صور Tyr التي رفضت التسليم فاضطر إلى وضع الحصار عليها سبعة شهور ولما استولى عليها أباح لجنوده سلب كل ما فيها من أموال وتحف وبجواهرات كما أباح لهم قتل كل أنسى فيها إلا من اعتصم بالمعابد والهياكل . وفي اليوم التالي جمع ٢٠٠٠ رجل وكبائهم بالحديد وساقهم إلى شاطئ البحر ثم أمر باعدامهم جميعاً (١) - وتدميره مدينة غزة التي رفضت التسليم هي أيضاً فحاصرها ثم مثل بقائدها باتيس شرّاً تمثيل .

(١) ويقول المؤرخ الفرنسي شافان Chavannes حكاية عن هذه المذبحة المريعة : لا يوجد في حياة الاسكندر ما يكفر عن هذه الفظائع . هذه الفظائع تكفي وحدها لصب الامعات على اسمه إلى الأبد :

" Rien dans la vie d'Alexandre ne peut racheter de pareilles atrocités, elles suffisent pour vouer son nom à l'exécution de la postérité. V. Les Conquérants célèbres. P. 23. par M. de Chavannes.

— وفي موضع آخر أشار إلى محاسنه ومساوئه فقال انه :

" Un homme qui devait un jour étonner le monde par ses vertus et ses vices, et servir de point de mire à tous les conquérants jaloux de marcher sur ses traces : c'est homme était Alexandre "



ناحية من قصر كزر كيس في بر سبوليس

- وتدميره مدينة پرسبولیس Persépolis - اصطخر - عاصمة الفرس (١) وقد دمرها نكالا بالفرس لسبق تدمير ملكهم كزر كسيس Xerxès مدينة أثينا Athènes عاصمة الاغريق. وجزاء سيئة سيئة مثلها (٢).

- وقتله بارمانيون Parménion قائده الأعظم مع انه خدم أباه فيليب وخدمه هو في جميع حروبه ولم يحترم شيخوخته وعمره كان ينيف على ٧٠ سنة

- وقتله فيلوتاس Philotas ابن بارمانيون

- وقتله كليتوس Clitus أخاه في الرضاعة مع انه هو الذي أنقذه من الموت مرتين مرة في واقعة كبرونه Chéronée ومرة في واقعة الجرانيك Graulique ومع أن كليتوس هذا كان يحب الاسكندر وابن حبة وكان منه بمنزلة السمع والبصر ولما مات بكاه بكاء محرقاً وخامر قصره ثلاثة أيام لم يرقأ له فيها دمع ولم يكتحل بنوم

ومن يـمـنـذره يقول ما قاله أحد المؤرخين في خالد بن الوليد بعد ما قتل مالك ابن نويرة وتزوج امرأته ام تميم في يوم مقتله وقبل أن يجنف التراب دمه مخالفاً بذلك تقاليد العرب اذ قال «فأن أصاب سيفه رَهَق في لحظة من اللحظات فقد أصاب هذا السيف النصر والفخار في سنوات وسنوات» على ان القياس هنا مع الفارق لأن

(١) يروى المؤرخون عن حريق پرسبولیس Persépolis انه كان في بلاد اليونان رقاصة اشتهرت بجهاها اسمها تاييس Tlais فتنت شبان أثينا وهام بها أحد فطاحل الشعراء . ولما عزم الاسكندر على غزو آسيا استمعجبها . وفي إحدى الليالي التي فضاها الاسكندر في پرسبولیس لعبت الخمر في رأس الاسكندر وفي رؤوس سمرائه وكانت تاييس هذه تطرب الحاضرين بصوتها الرخيم وبرقصها البديع . وفي الهزيع الاخير من الليل دست في يد الاسكندر شهيرة اندلع لها في القصر ومنه استطار الى المدينة فأحرقها وتركها قاعاً صفصفاً .

وفي هذا يقول أحد المؤرخين :

“ C'était l'ivresse qui était coupable ou lui, ce n'était pas l'homme.”

وبعد موت الاسكندر هام بها بطليموس وتزوجها ورزق منها ولدين .

(٢) دمر الاسكندر مدينة پرسبولیس ولم يدمر مدينة بازارجاد لان بازارجاد كان لها عند الفرس شيء من القداسة ولذا ترى المؤرخين الافرنج عندما يذكرون بازارجاد يقولون عنها انها : “La Reine ou la Westminster des Achéménides”

ولما زارها المؤرخان ديودور الصقلي وكنت كورس وصفاهما بأنها أغنى مدينة تحت

قبة الملك

اسكندر قتل كليتوس Clitus وهو خمر والخمر أولها مرار وآخرها خمار . أما خالد فقد قتل مالسكا عامداً متعمداً ولغرض غير شريف حتى ان الفاروق عمر بن الخطاب سخط عليه وطالب من الصديق أبي بكر عزله ولما لم يعزل في حياة أبي بكر كان أول أمر أصدره عمر بعد توليه الخلافة عزل خالد .

- وقتله الفيلسوف الشهير كالليستين Callisthène

- وقتله بسوس Bessus وشركاه لاغتيالهم الملك دارا وقد كانت قتلة بسوس شنيعة جداً . اذ انه ربط كل ساق من ساقيه بفرس ثم سلط سوطين على الفرسين في آن واحد فانشطرت جسم الرجل شطرين .

- وقتله طيبه لفشله في معالجة صديقه هفستيون Hephæstion

- وقتله جميع الذين اغتالوا أباه فيليب وجميع من اشتركوا في اغتياله بغير محاكمة .

- وقتله أهالي عاصمة اوكدراك Oxydraques من عواصم بلاد فارس .

- وانفمسه في المذات وتحريضه أخدانه وضباطه على معاقرة الخمر حتى السكر والعريضة والغيوبة . والخمر جماع الاثم .

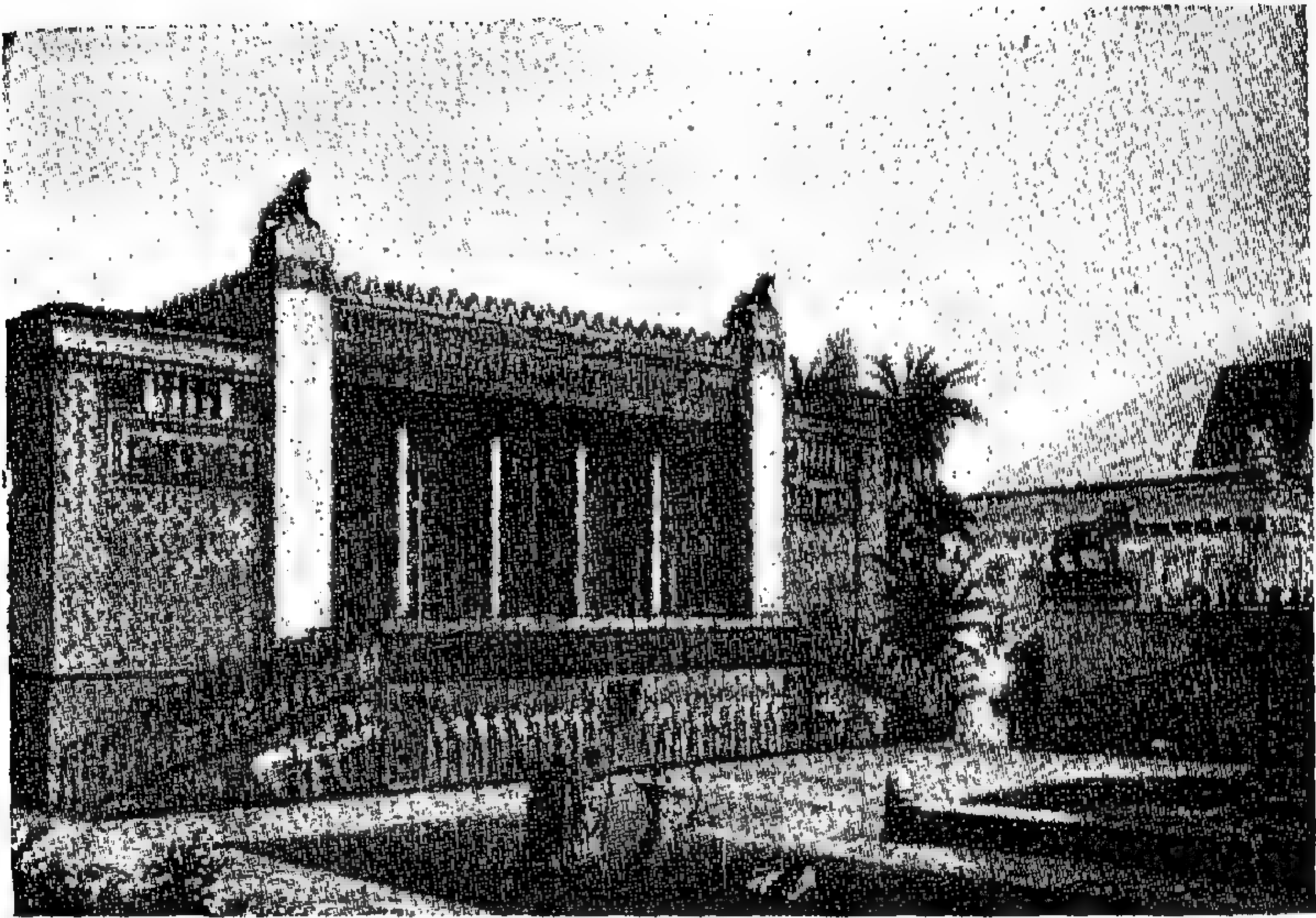
- واستأله فأكره الاغريق والفرس والمصريين والهنود أن يبحثوا على الركب كما مثلوا بين يديه . وكان يوقع على الأوامر التي يصدرها باسم (ابن الاله آمون) . وفكرة الالهية هذه سرت من بعده الى البطالسة والى قياصرة الرومان .

- وطعمه في بسط ساطاته على العالم بأسره . لم يكتف بملك آسيا بل أراد بسط سلطانه على افريقيا وأوروبا ايضاً .

- وتدوئجه أوروبا وآسيا وافريقيا بحروبه وغزواته . وثله عروش ملوك وأمرأ زلزل دولهم واهلاكه من الخلق من اهلك . وسببه من النساء من سبا وبمه الأمارى أرقاء .^(١)

(١) وقد أشار المؤرخ شافان الى هذه الفظائع فقال :

“ Il est impossible de ne pas reconnaître qu'Alexandre fut un des plus grands guerriers, un des plus habiles capitaines dont l'histoire fasse mention. Mais si l'on n'a pas oublié les atrocités qui suivirent la prise de Tyr, le supplice de Philotas, de Parménion, de Callisthène et de Bétis, l'assassinat de Clitus, les millions d'hommes détruits, les milliers de villes



قصر دارا فی برسبولیس

استعرضت في ذهني هذه السيئات فتذكرت كلمة قالها نابليون عندما أثبتت أمامه مفاضلة بين ملك عظيم ولويس الرابع عشر الذي عدّه المؤرخون من أعظم ملوك فرنسا بل من أعظم ملوك أوروبا بل من أعظم ملوك العالم القديم حتى أنهم سمو العصر الذي عاش فيه (عصر لويس الرابع عشر le Siècle de Louis XIV) ولقبوه (بالشمس Le Roi-Soleil) . شبهوه بالشمس لأن نور العلم في عصره^(١) كان يسطع في

dévastées pour la satisfaction personnelle d'un seul homme, on ne sera guère tenté de ratifier le surnom de Grand que ses contemporains lui ont donné. Ses vices égalèrent son génie, et son génie le poussa à devenir un des fléaux du genre humain. P.82. Chateaubriand.

استطرد . وعلى ذكر الملايين الذين يقول المؤرخ شافان أنهم قتلوا في حروب الاسكندر نقول ان الاحصاء الرسمي أثبت ان خسائر فرنسا وحدها من جراء حروب نابليون كانت ٤٧١.٠٠٠ قتيل و ٣٠٠.٠٠٠ مفقود عدا من جرح ومن أصيب بعمالة من فرنساويين ومن هلك في حروبه في ايطاليا وفي مصر وفي فلسطين

ويظهر أن جنود الاسكندر ارتكبوا فظائع كثيرة في بلاد الهند . بدليل أن الهندوس سمو الاسكندر « مامادو كويت — كون ها "Mahadu Kolt - Kounha" » ومعناها « السيف الاحمر والاسم الكبير »

وبالو Boileau الشاعر الفرنسي المعروف قال عن الاسكندر انه رجل مجنون واحد من قطاع الطرق . وأشار اليه في بيت باحدى منظوماته قال فيه أنه لو وقع الاسكندر في يد بوليس باريس لأمس بسجنه أو بشنقه . وبالو هذا عاش في القرن السابع عشر وكان صديق شعراء فرنسا الكبار الاربعة وهم كورنيل Corneille وراسين Racine وموليير Molière ولافونتين la Fontaine . وما قال منه فواتير Voltaire :

" On trouve assez étrange que Boileau le traite de fou, de voleur de grand chemin, et qu'il propose au lieutenant de police La Reynie tantôt de le faire enfermer, et tantôt de le faire pendre:

Qu'on livre son pareil en France à la Reynie,

Dans trois jours nous verrons le phénix des guerriers

Laisser sur l'échafaud sa tête et ses lauriers.

(Sat. XI, V. 83 - 84.)

(١) قال الكاتب الفرنسي الشهير ارسين هوسيه Arsène Houssaye في كتابه

" Le roi Voltaire " حكاية عن سبب تسميته Le Roi-Soleil

" Il n'avait pas le génie de ceux qui signent les grands siècles, comme Alexandre, Auguste, Charlemagne, mais l'histoire le voit et le juge dans l'éclat des hommes qui ont fait son siècle grand. On l'a surnommé le Roi-soleil bien moins parce qu'il fut le plus magnifique des

جميع أرجاء المعمورة . فلما ذكروا لنابليون تقاض لويس الرابع عشر هذا أجاب (وهل
يخلو وجه الشمس من الكاف "Le soleil lui-même n'avait-il pas des tâches"
وفي هذه الاستمارة تورية لطيفة . لان لفظ الشمس هنا له معنيان الشمس الحقيقية
والشمس المجازية (التي أطلقت على لويس الرابع عشر)

مصاصات ومستطرفات

الحروب والممالك لا تظهر من رجل الحرب الا ناحية واحدة فقط هي الناحية الفنية
الحربية . أما سائر مناحي حياته فتظهر من أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته . فقد
تبدى لك الفكاهة الحلوة والنادرة الطريفة والجواب المسكت والنكتة اللاذعة
والمستطرفات الطريفة نواحي من الرجل أكثر مما تبدى الناحية الفنية . يقول بلوتارك
الراوي المؤرخ اليوناني في هذا الصدد :

"Un petit fait, un bon mot, une raillerie, sont plus propres à faire
connaître le véritable caractère des hommes, que les batailles et les sièges"

نبدأ بذكر طائفة من أقوال وأفعال فيليب أبي الاسكندر وما قيل فيه وفيها . ثم نعقب
عليها بطائفة أخرى من أقوال وأفعال اسكندر وما قيل فيه وفيها . والكثير منها ذهب مثلاً

Plutarque, Elie, Sénèque et plusieurs autres auteurs ont recueilli sur
Philippe, roi de Macédoine, des paroles et des actions qui peignent son
caractère, et font connaître son esprit, ses vertus et ses vices.

1 — Un esclave était chargé de lui dire chaque matin, à son réveil :
"Philippe, souviens-toi que tu es mortel."

2 — Ses courtisans lui conseillaient de bannir un homme qui disait
du mal de lui : "Bon, bon, répondit-il, pour qu'il aille en médire partout."

princes, que parce qu'il s'est illuminé du rayon de toute une pléiade d'hommes de génie. C'est de lui que date la France souveraine, la France universelle, la France muse, le pays victorieux de toutes les victoires, qui impose sa langue, ses mœurs, ses idées et ses pompons. Ce sont nos conquêtes morales qui ont franchi les Pyrénées, les Alpes et le Rhin. Bien plus, les nations voisines ne se sont éveillées ou réveillées qu'au bruit des victoires et des fêtes de ce règne dominateur." Voir ; Houssaye : Le Roi Voltaire. page 23.



فیلیب ابو الاسکندر يستعرض جنوده

3 — On l'excitait à chasser de sa cour un philosophe qui avait la hardiesse de lui adresser des reproches : "Prenons garde, répondit-il, si nous ne lui en avons point donné sujet."

4 — Quand il apprenait qu'un de ses ennemis était dans la gêne, il lui faisait porter des secours, et disait à ce sujet ce mot, qui annonce au moins une politique habile : "Il est au pouvoir des rois de se faire aimer ou haïr."

5 — Après la bataille de Chéronée, Philippe, dans l'enivrement de la victoire, insultait aux prisonniers. L'orateur Démades, l'un d'eux, dit alors hardiment au prince : "Tu joues le rôle de Thersite, quand tu pourrais être un Agamemnon." Cet avis généreux valut la liberté à Démades et un traitement plus doux aux autres prisonniers.

6 — Une pauvre femme le pressait de lui rendre justice, et comme il la renvoyait de jour en jour : "Cessez donc d'être roi," lui dit-elle avec émotion. Ce mot naïf, mais profond, ramena soudain Philippe à son premier devoir.

7 — A une audience publique, comme il se tenait dans une position peu convenable, un esclave l'en avertit : "Qu'on mette cet homme en liberté, dit Philippe, j'ignorais qu'il fût de mes amis."

8 — Un autre jour, une femme vint lui demander justice au sortir d'un long festin, et fut condamnée : "J'en appelle, s'écria-t-elle vivement. — Et à qui ? répondit le roi ; — A Philippe à jeun," répliqua-t-elle, et Philippe examinant de nouveau l'affaire reconnut l'injustice de son jugement et la répara aussitôt. Cette dernière anecdote est restée célèbre et il est fait souvent allusion.

9. — Pendant que la Grèce était déchirée par les fureurs de la Guerre Sacrée, Philippe s'empara de Méthone et la détruisit. C'est pendant le siège de cette ville qu'il perdit l'oeil droit, par une singulière aventure que raconte Suidas. Un habile archer d'Amphipolis, nommé Aster, était venu offrir ses services à Philippe. Il se vantait de ne jamais manquer un oiseau dans son vol le plus rapide. "Bon lui avait répliqué Philippe, je t'emploierai quand je ferai la guerre aux étourneaux."

La raillerie piqua au vif l'habile tireur ; il se jeta dans Méthone, et lança contre le roi une flèche sur laquelle il avait écrit ces mots : "A l'oeil droit de Philippe." Aster n'avait pas exagéré son adresse ; car la flèche alla trapper le but. Philippe la fit renvoyer à l'archer avec cette inscription : "Si Philippe prend la ville, Aster sera pendu ;" et il tint parole.

10. — Philippe, roi de Macédoine et père d'Alexandre le Grand, est un des plus habiles politiques qui aient régné. Il s'avancait par tous les moyens possibles vers le double but qu'un génie ambitieux lui avait révélé comme le terme de ses efforts : l'unification de la Grèce sous son autorité, et la conquête des Perses. Toute sa vie il y marcha par la force ou par la ruse, par le fer ou par l'or, directement ou par des voies détournées ; enfin son grand art était d'unir la force à la dissimulation. On a pu dire de lui, qu'élevé, par Epaminondas, grand philosophe, grand capitaine et grand homme d'Etat, Philippe avait appris sous ce maître illustre l'art de la guerre et l'art de gouverner, mais qu'il n'avait su acquérir ni sa justice ni sa grandeur d'âme, ni son désintéressement. L'un des premiers actes de son règne avait été de s'emparer de Crénides, près de laquelle il avait trouvé des mines d'or qui lui rapportaient chaque année, plus de 1,000 talents (environ six millions) ; c'est avec cet argent qu'il corrompit la Grèce.

L'oracle de Delphes lui avait dit ; "sers-toi d'armes d'argent, et rien ne te résistera." Il fut toute sa vie fidèle à ce conseil, et il avait coutume de dire qu'il ne connaissait pas de forteresse imprenable, "quand un mulet chargé d'or pouvait y monter."

Le mulet de Philippe, ce mot d'une force si pittoresque et si originale, revient sous la plume des écrivains, quand ils veulent exprimer avec énergie la puissance irrésistible de l'or. Fleurs historiques, par P. Larousse

فذهب مثلاً . مثال :

"Je suis convaincu que les animosités, l'amour-propre et l'intempérance de langue ont plus nui à la République que le mulet du roi Philippe." Camille Desmoulins, le Vieux Cordelier.

مثال آخر :

"Au jardin des Tuileries ; nous regardions jouer le télégraphe, espérant ou craignant la nouvelle qui traversait l'air sur notre tête : () mulet chargé de l'or de Philippe ; comme vous nous manquiez pour entrer dans les forteresses de Ferdinand ; Eussions-nous eu cinquante millions à nous, nous en aurions disposé, afin d'écarter ce qui pouvait nous faire obstacle. Chateaubriand, Guerre d'Espagne.

أما عن الاسكندر فقد رويانا من قبل بعض مستطرفاته ومنها ما ذهب مثلاً

مثلاً ما دار بينه وبين أبيه . وما قاله بعد ان وزع امواله . " Prince, lui demanda

l'erdiccas, que vous réservez-vous donc?" "L'espérance" répondit Alexandre

فذهبت مثلاً . وما مثلاً :

L'espérance, Alexandre n'avait pas autre chose dans son sac lorsqu'il partit pour la conquête de l'Asie, V. Edmond About. Guillery.

وما دار بينه وبين أم دارا وزوجة دارا . وما قاله فيه دارا لما بلغه عناية أسكندر بجميع أفراد أسرته . وما قالته أم دارا فيه لما بلغها نبأ موته . وما دار بينه وبين ديوجين (١) .
 "Si je n'étais Alexandre, je voudrais être Diogène" وما جرى له مع أخت تاجين . وما دار بينه وبين بارمنيون لما عرض دارا عليه الصلح . "Et moi aussi, si j'étais Parménion" وقد ذهبت مثلاً وما قاله أسكندر لأتالوس . وما أظهره من الثقة في طبيبه لما وشوا به (٢) . وما قاله أسكندر لبوروس ملك الهند . وما قالته تالستريس ملكة الهند لأسكندر . وما فعله أسكندر لما مثل اسن قواده بين يديه وتضرع إليه

(١) — اختلفت وجهة نظر المؤرخين في سؤال أسكندر واجابة ديوجين . فبينما يقول المؤرخ الألماني درويزن Droysen انه « اذا كان سؤال أسكندر هو سؤال ملك فاجابة ديوجين هي اجابة حكيم » "Si la question était d'un roi, la réponse était d'un sage" يقول هلفسيوس Helvetius أن اجابة ديوجين كانت اجابة ورقة . وما ما قرأناه في هذا العدد

"Beaucoup n'ont vu dans cette réponse de Diogène au conquérant qu'un dernier trait de ce cynisme philosophique dont il s'était fait gloire toute sa vie. C'est dans ce sens qu'Helvétius a dit :

"Quand, dans un moment d'emportement, où Vespasien menace de la mort Helvidius, celui-ci répond au tyran " Vous ai-je dit que je fusse immortel ? Vous ferez votre métier de tyran en me donnant la mort ; moi, celui de citoyen en la recevant sans trembler ; " Helvidius est un homme ferme. Mais quand Alexandre demande à Diogène, assis dans son tonneau, ce qu'il désire de lui, et que Diogène lui répond : " Que tu te retires de mon soleil, " Diogène est un impudent."

(٢) وقد ذهبت مثلاً : يقول أحد كتاب فرنسا Brillat Savarin في كتابه Physiologie

du goût

"Je lui présentai un verre d'eau saturé de sucre, qu'il avala avec la confiance d'Alexandre ingurgitant cette lamuseuse médecine qu'on lui avait dit être du poison."

بإسم الجيش بأن يأمر بالعودة إلى الوطن . وما قاله بعض حكام الفرس في الاسكندر
الطفل وهم جرا . والآن نذكر لك طائفة أخرى

— كانت عينا الاسكندر مختلفي اللون . اليمنى كانت سوداء واليسرى زرقاء .

— ظهرت أول علامة دلت على فرط فراسة الاسكندر وهو شاب عند ما عجز
حواشى أبيه عن ركوب الجواد بوسيفال . الجواد لم يكن حرونا بل كان سلسا . انما لما وقع
نظره على ظله خاف وحرن . ادرك الاسكندر ذلك فأمسك بالجواد وأدار وجهه
نحو الشمس فوق الظل خلفه فلم يره . عند ذلك وثب الاسكندر وامتطى الجواد وجرى
به أمام أبيه وأمام الحاضرين . فرح أبوه وبكى من فرط إعجابه ثم عانق ابنه وقال له
(ان الملك الذى سوف أتركه لك سيكون صغيراً بالنسبة الى رجل مثلك)

“ Le royaume que je te laisserai est trop petit pour un homme comme toi ”

— وكما كان الاسكندر ذا فراسة في صباه كان طموحا الى العلى والحكم . فكما
بلغه خبر انتصار أبيه في معركة ما يتأوه ويقول (سوف لا يترك لى أبى شيئا عمله
إذا ما آل الى الملك من بعده)

“ Mon père ne me laissera rien à fuir quand je serai en âge de commander ”

— سئل وهو فتى إذا كان في نيته دخول المباراة في الالعاب الاولمبية فاجاب :
« ادخل إذا كان أندادى ملوكا »

“ J'irais, si je savais y rencontrer des rois pour rivaux ”

— هبط على بلاط الملك فيليب اثنان من حكام الفرس وكان عمر الاسكندر
سبع سنوات . فانهز الاسكندر فرصة اجتماعه بهم ووجه اليهم أسئلة متعددة عن أحوال
ملكهم وبلادهم ونظمها السياسية والحرية والادارية وبقى يتحدث معهم هنيهة من
الزمان فأعجب الحاكمان بذكائه وقال أحدهما (مع أن الاسكندر لا يزال طفلا
الا انه بلغ عظمة كبار الملوك . أما . ملكنا نحن فكل ما يمكن أن يقال فيه انه أمير من
كبار الاغنياء)

— لما عجز فيليب عن فتح بيزانطة (استانبول الآن) انقلب راجعا الى بلاده .

وفي أثناء عودته قاتل شعوب تراقيا (les Triballes) وفي أثناء القتال أصابه رمح في فخذه فوقع هو وجواده . فلما رآه الاسكندر قد وقع كان أسرع من طرفة عين لا تقاذه فصال على الأعداء وقتل منهم خلقاً كثيراً وولى الباقيون الأدبار .

- كان الاسكندر يحلّ أستاذة ارسطاطاليس اجلالاً كبيراً ويحفظ له ذكرى عهد تلميذته عليه وكان يقول دائماً (لأبي عليّ فضل ولأرسطو عليّ فضل . إلا ان فضل ارسطو فوق فضل أبي . لأن لأبي فضل وجودي ولأرسطو فضل تعليمي وتربيته) واعترافاً بفضل ابيه عليه فكر في ان يخلّد ذكره باقامة مقبرة له تكون على مثال اهرام الجيزة وبحجم الهرم الأكبر .

- بلغت جرأة الاسكندر مبلغاً أدهش العالم . إذ انه على الرغم من بسطة ملك دارا - وكان ملكه يحوى ١٢٥ مملكة وامارة ودويلة وولاية - وكثرة جيوشه ووفرة موارده فان الاسكندر مع صغره وصغر جيشه وقلة موارده لم يتردد لحظة في محاربة دارا ليثأر لبلاده التي غزاها الفرس من قبل ودمّروا مدنها وخربوا قراها وسلبوا آثارها وسبوا نساءها وأسروا رجالها واسترقوا أولادها . وليحرّر المدن الاغريقية والثغور الاغريقية ويرفع عنها نير ملك الفرس بانتزاع صولجان الملك منه وبسط سلطانه هو على آسيا بحذاقها

- لما وقعت اسرة دارا في أمر الاسكندر ذهب الاسكندر بنفسه ومعه صديقه هفستيون Héphestion لمواساتها . فعندما وصل الى الصيوان جثت أم دارا وزوجته على قدمي هفستيون ظناً منهما أنه هو الاسكندر . إلا ان أحد عبيد دارا نبههما الى خطئهما فأرادت الأم أن تعتذر فأجابها الاسكندر من فوره متواضعاً (لا محل للاعتذار يا امي لأن هذا - وأشار الى هفستيون - هو ايضا اسكندر " Vous ne vous êtes pas trompée, ma mère, celui-ci est aussi Alexandre "

- عامل الاسكندر ام دارا معاملة كريمة جداً فحفظ لها مقامها بما يحقّه من عظمة وجلال كما لو كان دارا جالساً على عرش الفرس وكما لو كان دارا حياً . فلما اتصل بأم دارا نبأ موت الاسكندر بكت وقالت (مَنْ لنا بعدك يا اسكندر ودعت له بالرحمة) - بعد ما برح الاسكندر ممفيس (ميت رهينه الان) وصل اليه نبأ وفاة ستاتيرا

Statira زوجة دارا متأثرة بالمصائب التي حلت بها وبزوجها وبوطنها. فأمر الاسكندر بأن يكون الاحتفال بتشييع جثمانها احتفالاً فخماً يجمع كل ما عرفه الفرس من الأبهة والعظمة والجلال وأن تكون الجنازة حسب الطقوس والعادات الفارسية . فلما علم دارا بما فعله اسكندر قال (اللهم قدرني على أن أحتفظ ببلاد فارس لأتركها لخلفائي من بعدى كما تاقيتها عن أسلافي من قبل . وإذا أرادت مشيئتك أن تسقط أسرتي عن العرش فاسكندر أولى به من سواه)

— وانكسار دارا في معركة اربل وفراره الى ولاية بخارى عند حاكمها يسوس خوفاً من وقوعه في أسر الاسكندر ثم خيانة يسوس واعتقاله دارا ثم قتله اياه غيلة تمهيداً لاستوائه على عرش الفرس من الحوادث التاريخية التي ضربوا بها المثل في الخيانة والغدر مثلها كمثّل قصة كاليب التي يتمثل بها الشاعر في قوله

المستجير بعمرى عند كربة كالمستجير من الرمضاء بالنار^(١)
وها مثال واحد من ألف :

"Gauthier, de Lille surnommé de Chatillon, qui vivait au quinzième siècle. Il a composé un poème en dix chants, intitulé l'Alexandréide. Le vers dont il s'agit est le 80le. du cinquième livre, où le poète s'adresse a Darius qui, fuyant Alexandre, tomba entre les mains de Bessus.

Quo tendis inertem,

Rex periture, fugam? Nescis heu, perditte, nescis

Quem fugias; hostes incurris dum fugis hostem,

Incidis in Scyllam cupiens vitare Charybdim.

" Roi, qui dois périr, où cours-tu dans ta fuite inutile? Hélas, malheureux, tu ne sais qui tu dois fuir. Pour échapper à un ennemi tu te précipites sous les coups d'un ennemi, pour éviter Charybde tu tombes dans Scylla." V. Flore latine par Pierre Larousse. P. 120,121

— وكان ينهى عن القتال في الليل . ينام ملء جفونه كلما جنّ الليل . حدث أن فريقاً من ضباطه حضروا اليه ذات ليلة وقالوا له أن الظروف مواتية للهجوم على الفرس

(١) وهو تابع الى قصة كاليب حين طعنه عمرو الملقب جساس فألقاه على الارض فقال كاليب يا عمرو اغتني بشربة ماء فأجهز عليه فقيل البيت وسار مثلاً يضرب لمن يستجير فيزيد المستجار بليّة على بليته

في ظلام الليل . فأبى أن يستمع منهم وقال لهم « لسنا لصوحاً نعمل خلسة في جوف الليل . » ^(١)

ومن الامور الغريبة تحقق خمس نبؤات وثلاث مصادقات تتصل بحياة الاسكندر . النبؤة الاولى - لما نوى الاسكندر محاربة الفرس وغزو آسيا مرت بمدينة دلف Delphes (في بلاد اليونان) ليستوحى معبودها . فلما تباطأت الكاهنة في الصعود على الدرج أمسكها الاسكندر بقوة ودفعها نحو الدرج . فقالت له الكاهنة : « يا ابني ومن ذا الذي يقدر على مقاومتك » Ah ! mon fils, ou ne saurait te résister . فقال الاسكندر : (هذا الوحي يكفيني ولا أريد غيره C'est cet oracle me suffit, et je n'en veux point d'autre) . وقد كان ما قالته الكاهنة

والثانية - عند مازار مدينة جورديوم Gordium وجد فيها مركبة عليها جبل مافوف ومعتقد عجز الناس عن حله . وسرى في اعتقاد الناس بأن الآلهة قالت بأن من يحل عقدة هذا الحبل يسيطر على العالم . فلما حاول الاسكندر حل العقدة ولم يوفق اغتاض فانتضى سيفه وهوى به على العقدة فقطعها . فاعتقد الناس ان النبؤة تحققت وان الاسكندر سيبسط سلطانه على العالم ^(٢) . وقد تحققت النبؤة

(١) — في القرن الحادى عشر أصدرت الكنيسة أمراً حرمت فيه قتال القساوسة والمرضى والضمايف . كما حرمت القتال في أيام معينة من كل أسبوع تبدأ من مساء الاربعاء الى صباح الاثنين ومن خالف أمرها حرمت (بالحرم الكنسي) . كما انها حرمت القتال في بعض الاعياد ومنها : " les Quatre-temps, les Vigiles, l'Avent et le Carême. " والعرب كانت في الاشهر الحرم — وهي رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم — لا تترع الاسنة . فياقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيها فلا يهيج له عليها لها . وتسمى مفر الشهر الحرام « الاصم » لسكون أصوات السلاح وقمقنته فيه . راجع تفسير الطبرى جزء ٢ ص ٢٠١

(٢) وعقدة جورديون Le noeud gordien ذهبت مثلاً يطلونها على كل مشكلة يصعب حلها . أذكر لك مثالين :

— لما زحفت جيوش الحلفاء على فرنسا في خلال سنة ١٨١٤ وبدأت الدساتير تمحاك في باريس لمحاربا نابليون ارسل نابليون من مدينة ريمس Reims الى وزير البوليس كتاباً بتاريخ ١٤ مارس سنة ١٨١٤ قال له فيه : ألا يعلم كل هؤلاء الناس بأن أجل عقدة جورديون على مثال ما حلها الاسكندر ؟

" Tous ces gens là ne savent point que je tranche le noeud gordien à la manière d'Alexandre. "

- وورد في كتاب ذكريات تاريخية Souvenirs historiques لكاتب الشهير فيلماين Villemain

" Tous les artifices du raisonnement ne pouvaient rien pour délier ce noeud gordien que l'épée seule devait trancher. "

الثالثة - لما وصل الاسكندر الى واحة سيوه ودخل معبد آمون طلب من كبير الكهنة أن يسأل الاله آمون ان كان سيوفق في حروبه وغزواته ويبسط سلطانه على العالم أم لا . فأجابه كبير الكهنة بأنه سأل آمون معبود المصريين فكان جوابه بالاجاب . وقد تحققت نبوءة آمون .

الرابعة - بعد ما بسط الاسكندر سلطانه على آسيا وبويع في مدينة أربل Arbèles ملكاً على آسيا وبعد ما غزا جميع البلاد ووصل الى الهند قفل راجعاً وقبل دخوله مدينة بابل حضر اليه وفد من أعيانها وقالوا له ان معبودهم ماردوك Mardouk تنبأ بأنه اذا دخل الاسكندر مدينة بابل فانه يموت فيها . وقد تحققت هذه النبوءة الثالثة أيضاً وبهذه المناسبة نقول أن الأغريق (ولا سيما اهالى أثينا واسبارطه) كانوا يحضرون خصيصاً من بلادهم لأستاهام آمون معبود المصريين . وكان شعراؤهم ينظمون الشعر مدحا فيه كما كان مؤرخوهم يذكرونه في كتبهم وفي أحاديثهم . وكان اهالى بركة وقرطاجنة يحجون اليه ليستوحوه . وقيل أن سيميراميس Sémiramis ملكة بابل حضرت هى أيضاً من بابل الى مصر خصيصاً لتستوحى آمون . كما أن بعض الملوك والفلاسفة كانوا يحجون أيضاً الى واحة سيوه لأستاهام آمون ومنهم كريسوس Crésus وسيمون Cimon والسيبياد Alcibade وليزاندر Lysandre .

الخامسة - لما تنبأ سيدنا دانيال لبختنصر بأن دولة الفرس زائلة تنبأ في الوقت نفسه بأنها ستزول على يد الروم . وشبه ملك الروم بنسر للدلالة على أنه سينقض عليها كاتقضاؤ النسر على فريسته . وقد كان .

السادسة والسابعة (من المصادفات) - حدثت حادثتان يوم ولادة الاسكندر في خلال سنة ٣٥٦ قبل الميلاد الاولى احتراق معبد أيفيز Ephèse وهى مدينة فى آسيا الصغرى Ionie على بعد ٦٠ كيلومتراً من أزمير اشتهرت بالمعبد الشهير الذى بنى على الطراز المصرى القديم وعدت من عجائب الدنيا السبع وقد شيد بالمبالغ الوافرة التى اکتبت بها مدن آسيا . ففي يوم ولادة اسكندر دخل مخبول اسمه أيروسترات Erostrate ووضع النار فى المعبد فالتهمته وأصبح أثراً بعد عين . وايفيز هذه دثرت وحات محالها قرية اسمها الآن أيا صلوق Aia Solouk . والثانية استيلاء جيوش فيليب



اسکندر علی صهوة جواده

ملك مقدونيا على مدينة بوتيديه Potidée وهي مدينة في بلاد اليونان على برزخ كورنتا أسماها الآن بيناكا Plinaka

أول الناس وقوع هاتين الحادثتين في يوم واحد وفي يوم ولادة الاسكندر بداية عهد جديد تسعد فيه مقدونيا وتشقى فيه آسيا . وقد كان .

الثامنة - لما أغتيل فيليب أبو الاسكندر أبتهج الاغريق وفرحوا وقاموا بمظاهرات عدائية ضد المقدونيين حتى أن مدينة طيبه ذبحت الحامية المقدونية على بكرة أيها . خطب فيهم فوضيون Phocion أحد قوادهم وقال لهم « لا تتعجلوا أن الجيش الذي هزمكم في واقعة كيرونيه Chéronée لا يزال كما كان لم ينقصه إلا رجل واحد » . فلما اتصل قوله هذا بالاسكندر قال مهدداً « الجيش لم ينقصه أحد . واحد حل محل واحد . وسيعلم الثائرون أى منقلب ينقلبون » وقد كان . اذ نفذ الاسكندر وعيده فزحف على رأس جيشه ولما بلغ مدينة طيبه دمرها ولم يذر فيها حجراً على حجر .

- وجواد اسكندر بوسيفال Bucéphale بقي اسمه على ممر الدهور والأعوام علماً على الجواد المطهم . كتب الكاتب الفرنسي الشهير شاتوبريان Chateaubriand في كتابه : Itinéraire de Paris à Jérusalem :

"On racontait, lorsque j'étais à Jérusalem, les prouesses d'une de ces cavales merveilleuses qui sont souvent l'objet de l'entretien du pays. Ali-Aga m'a religieusement montré, dans les montagnes, près de Jéricho, la marque de cette jument morte en voulant sauver son maître. Un Macédonien n'aurait pas regardé avec plus de respect la trace des pas de Bucéphale. Chateaubriand, Itinéraire de Paris à Jérusalem."

- كان الاسكندر وهو في قلب آسيا وفي أطرافها يحسب حساب أهل آتينا وأهل اسبارطه وأهل كورنته وأهالي بلاد الاغريق الذين كانوا يعدون في طليعة العالم المتمدن في ذلك الزمان . وكان كلما غزا بلداً أو هزم عدواً يفكر في ما يقوله هؤلاء وهؤلاء في بطواته وفي فروسيته ويقول : « يا أهل آتينا كم جهادٍ جاهدتُ في سبيل ارضائكم وكسب اطرائكم » فذهبت مثلاً

- Du fond de l'Asie, Alexandre avait les regards fixés sur la

Grèce, et surtout sur Athènes. Malgré l'abaissement dans laquelle elle était tombée, cette ville, par les chefs-d'œuvre de ses artistes, les immortelles harangues de ses orateurs et les écrits de ses historiens, était toujours restée la métropole du monde civilisé; et Alexandre, si passionné pour la gloire, aspirait avant tout aux applaudissements de ces Athéniens trivoles, mais qui n'en distribuaient pas moins pour la postérité le blâme et la louange. Le conquérant venait de pénétrer dans les vastes régions de l'Inde, et se préparait à traverser l'Hydaspe, dont Porus, à la tête d'une armée formidable, allait lui disputer le passage. Le fleuve était large et profond, et ses flots se brisant avec fracas, montraient çà et là des rochers menaçants. Alexandre trompe l'attention des ennemis par une fausse attaque, et profitant d'un orage qui dérobe ses mouvements, brave des périls inouïs pour passer le fleuve? Il avoua ensuite qu'il avait enfin trouvé là un péril digne de son courage, et ce fut dans cette circonstance, dit Racine qu'il s'écria: "O Athéniens, combien il en coûte pour être loué de vous;"

فذهبت مثلاً :

"Un auteur doit donc se donner toutes les peines imaginables pour en épargner à ses lecteurs; il doit souvent répéter d'après Alexandre le Grand: "O Athéniens; qu'il m'en coûte pour être loué de vous;" (Helvétius, de l'Esprit.)

— توجد أيام في حياة الانسان وفي حياة الامم لها شأن يذكر اتخذها المؤرخون مبدأ للتاريخ . فمولد المسيح مثلاً كان حادثاً عظيم الشأن في تاريخ النصرانية اتخذها النصرانيون مبدأ لتاريخهم . وهجرة النبي من مكة الى المدينة كانت حادثاً عظيم الشأن في تاريخ العرب اتخذها المسلمون مبدأ لتاريخهم . والثورة الفرنسية التي شبت في سنة ١٧٨٩ كانت حادثاً عظيم الشأن في تاريخ فرنسا اتخذها الفرنسيون مبدأ لتاريخ حياة جديدة في فرنسا (الا أن العمل بتاريخ الثورة لم يعمر طويلاً) .

وانتصار اسکندر على دارا في سنة ٣٣٠ قبل ميلاد المسيح كان حادثاً عظيم الشأن في تاريخ العالم القديم . اهتزت له ارجاء الأمبراطورية الفارسية في آسيا وفي أفريقيا كما اهتزت له بلاد الأغريق ومقدونيا وما إليها : عظم شأن هذا الحادث حمل هذه البلاد على تأريخ حوادثها الكبيرة بسنة انتصار اسکندر على دارا . وكون الشعوب الآسيوية تؤرخ حوادثها بسنة انتصار اسکندر على دارا ان صح أن نفهمه وان نقبله وان نبرره الا اننا لا نفهم كيف ان العرب حذوا حذوهم وصاروا هم أيضاً يؤرخون



رأس الاسكندر
الموجود في المتحف الاغريقي باسكندرية

سنة انتصار اسكندر على ملك الفرس ، مع ان بين عهد الاسكندر وصدر الاسلام
الف سنة تقريباً . ذكرنا من قبل ان مؤرخى العرب أرخوا مولد النبي بغلبة اسكندر
على دارا . فتجد مثلاً المقرئى عند كلامه على تاريخ مولد النبي يقول فى الصحيفة
الرابعة من الجزء الاول من كتابه (امتاع الأسماع بما لارسول من الانباء والمتاع) :
(وكان على الحيرة - يوم ولد - عمرو بن المنذر بن امرىء القيس وهو عمرو بن هند
وذلك قبل ولاية النعمان بن المنذر المعروف بأبى قابوس على الحيرة بنحو من سبع عشرة
سنة وهى سنة احدى وثمانين وثمانمائة لغلبة الاسكندر بن فيابوس المجدونى على دارا) .

وفى صحيفة ٤٤ قال عن مقدم النبى المدينة (ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة من
ربيع الأول حين اشتد الضحاء . وقال ابن شهاب للنصف منه وذلك سنة أربع
وخمسين من عام الفيل وهو اليوم العشرون من ايلول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة
للاسكندر . . .) والتقويم المقدونى يبدأ عندهم من الحريف ويتألف من اثنى عشر
شهرآ هلالياً . وبعد انتصار اسكندر على دارا صدر أمر الى جميع بلاد آسيا بوجوب
العمل بالتقويم المقدونى ونفذ هذا الأمر فى مصر حينئذ من الزمان .

- خاند الأغريق ذكرى الاسكندر بتماثيل حجة من صنع مهرة الفنانين اقتنت
متاحف أوروبا وامريكا عدداً كبيراً منها . ولعل من اتقنها ومن أجمعها رأس الاسكندر
الذى عثروا عليه فى قاع النيل ونقل الى متحف الاسكندرية ثم تسرب منها فيما بعد الى
متحف بوسطن Boston بأمرىكا . كذلك خاندوا ذكره بنقش صورته فى العملة التى
كانت متداولة فى ذلك العهد وهى من صنع الفنان الشهير ليزيماك Lisimachus . كما نقشوا
صورته على المسداليات الذهبية الكثيرة التى عثروا عليها فى حفريات أجريت فى
بعض البلاد . وعثروا فى ملك البارون الفريد منشه فى شارع باب شرقى باسكندرية
(وهو الآن شارع فؤاد الأول) على رأس للاسكندر الاكبر من المرمر الفاخر .
ويوجد فى مونيخ بالمانيا بالمتحف المسمى جايب توتيك Glyptothèque آثار مصرية
قديمة منها تمثال لرع آله الشمس عند المصريين وتمثال لأحد كبار الكهنة المصريين
ومسلة من العهد الرومانى ورأس لجوبيتير آمون Jupiter Amon « ذو قرنين » (١)

(١) ولعل هذا سبب تسمية الاسكندر بنى القرنين

وتمثال آخر للألكندر الأكبر . كما توجد في مكتبة جنيف Genève ياريس كاميه Camée من العقيق للألكندر الأكبر من أروع ما وجد . وفي المتحف اليوناني الروماني بالاسكندرية تمثال أثرى قديم للاسكندر (وهو الذي نقلنا صورته في كتابنا هذا) - واشتهر في عهد الاسكندر مصور بارع اسمه أبيل Apelles صنع للاسكندر صورة بديعة جداً يظن الناظر اليها أن الاسكندر سينطق وصل اتقانها الى درجة ان الاسكندر نفسه عند ما رآها قال أن للاسكندر الآن شخصين الشخص الحقيقي ابن فيليب والشخص المجازي ابن أبيل . كما انه صور جواده بوسيفال Bucephale وبافت درجة اتقان التصوير انه لما وضع الاسكندر الصورة امام جواده صهل .

- وكان بين الاغريق مهندس اسمه دينوكرات Dinocrate من اهالي رودس عرض على الاسكندر أن ينحت في جبل آتوس Atlios تمثال ضخم يمثل الاسكندر ويكون طبق الاصل تماماً .

- رويت لك قصة مملكة الهند تالستريس وزواجها بالاسكندر . وها قصة أخرى مثابا يرويها المؤرخون العرب وكلها عجب . في عهد خلافة أبي بكر الصديق كانت امرأة تيمية من بني يربوع اسمها سجاح بنت الحارث أدعت النبوة - ولعلها الانثى الوحيدة التي ادعت النبوة - أرادت ان تغزو المدينة وان تقاتل أبا بكر وان تدعو العرب الى الايمان بها ليقولوا عنها ما قاله عينية بن حصن عن طليحه « نبيه من بني يربوع خير من نبي من قريش وقد مات محمد وسجاح حية » فلما بلغت سجاح اليمامة هابها مسيامة وأرسل اليها يستأمنها على نفسه فأذنت له فجاء في اربعين من بني حنيفة ثم خلا اليها يتحدثها ويذكر لها انه كان يرى ان لقريش نصف الارض فظلهوا فايكن نصف الارض لها . ثم تناظرا وتحادثا وطال بهما الحديث وأعجبت سجاح بمسيامة وبحلو حديثه وما شرع لقومه وانتهت الى الايمان بتفوقه . فلما عرض عليها أن تجمع نبوته الى نبوتها وان يتزوجا قبات وانتقلت الى خيامه واقامت معه ثلاثة أيام « باليالها الملاح » ثم رجعت الى قومها . (راجع كتاب الصديق أبي بكر لهيكل باشا صفحة ١٤٠ وما بعدها) . أليست هذه « صورة مصغرة » لما حدث بين الاسكندر وتالستريس

- ولعل اغرب المصادفات والتوفيقات التي صادفت الاسكندر الحادثنان اللتان وقعنا له عندما قصد زيارة معبد جوبيتير آمون في واحة سيوه :

الاولى - بعد مسيرة اربعة أيام من مرمى مطروح نفذ الماء الذي كان اسكندر قد تزوده من الاسكندرية واصبح الجيش في حالة قاق يكاد يدنومن اليأس ، وبينما هم في هذه الحال من القاق واليأس اذا امطار غزيرة لم تكن في الحسبان تهطل عليهم بكثرة لم يعهد لها مثيل فارتوى الجند بعد ان كادوا يهاكون من العطش وكان تهطل المطر بدرجة عظيمة حتى ان بعضا من الجنود كانوا يفتحون أفواههم ليلتقوا مياه المطر وهو نازل من السماء .

والثانية - في اثناء زحف اسكندر وجيشه نحو سيوه ضلا الطريق . لأن الامطار الهطالة والسافيات العاصفة محت أثر الطريق المؤدى الى سيوه . فحار الاسكندر وقواده وجنده وأصبحوا يقلبون كفا على كف لا يدرون في أى طريق هم مسوقون . وبينما هم على هذه الحال من الحيرة اذا غرابان يحلقان في السماء (على رواية المؤرخين ديودور الصقلي Diodore وكونت كورس Quinte Curce وارستوبول Aristobule) - أو ثعبانان (على رواية بطليموس) يزحفان في البيداء . فاستبشر الاسكندر وايقن انه وجنده على مقربة من الواحة . جدّوا في السير فوجدوا بحيرة فيها ماء مالح - بحيرة المعاصر - وبعد ٣٠ كيلو متراً صادفوا مدائن آمون (ولعلها بلدة الزيتون) وبعد يوم وصلوا الى معبد جوبيتير .^(١)

- روينالك^(٢) كيف ان جنود الاسكندر بعدما اتصروا على الهنود وأراد الاسكندر ان يتوغل في بلاد الهند تدمروا ورفضوا المسير وقالوا أن الحرب أضنتهم وأنهم يودون العودة الى بلادهم ثم تقدم اسن القواد وتضرع اليه باسم الجيش بأن يقف الفوز

(١) سمو الامير الجليل عمر طوسون يميل الى تصديق الرواية الاولى ولا سيما انه يوجد هنالك من يطلقون عليه الى الآن اسم تنب الغرب كما يوجد من جهة الشرق جبل اسمه جبل اسكندر . راجع المذكرة التي وضعها سموه على رحلة اسكندر الى واحة سيوه وقد تليت في المجمع العلمي المصري في جلسة ٥ فبراير سنة ١٩٣٤ .

(٢) راجع صفحتي ٤٦ و ٤٧ من كتابنا هذا

والفتح ويعود بهم الى الوطن إلا أن الاسكندر عند واستعند ولم تؤثر فيه بلاغة ولا ضراعة ولا شفاعاة ولا تهديد ولا وعيد وقال « سأغزوا بلاد الهند حتماً ولو فعات وحدى » ثم ألقى بنفسه فى النهر وهو مرتد ملابسه العسكرية وسبح الى ان بلغ الشاطئ الآخر . فلما رأى جنده ما فعل ملكهم امثلوا وتبعوه . يذكرنا قول الاسكندر انه سيفزو بلاد الهند ولو غزاها وحده سابقتين تاريخيتين :

الاولى : لما فرّ نابليون من جزيرة ألب Elbe فرّ ومعه ١٠٠٠٠ جندي غير مسلحين لم يكن معهم حتى مدفع واحد . وفى اول مارس سنة ١٨١٥ نزل فى خليج جوان Juan على مقربة من رأس أنتيب Antibes (جنوب فرنسا) فخذ عرفه الاهالى صاحوا « يبحي الامبراطور » ثم زحف قاصداً باريس ولما وصل الى مدينة جرينوبل وجد ملك فرنسا لويس الثامن عشر قد ارسل لصدده آلايين ونصف آلاى من المشاة وآلاياً من الفرسان وقوة من المدفعية . كان فى قدرة المشاة والفرسان والمدفعية ان تفتك بنابليون وبصحبه فى لحظة . إلا ان نابليون لم يبال وتقدم ووقف وحده امام جنود ملك فرنسا فلما رأوه بهتوا وجمدوا فالتفت قائد الآلاى الاول الى قومندان الحامية وقال له « ماذا تريد أن افعل . أن جنودى جمدوا وتولتهم رعدة امام هذا الرجل » . عند ذلك كشف نابليون صدره للجنود وقال لهم « أتى امبراطوركم . هل تعرفونى . من حدثه نفسه منكم ان يقتل امبراطوره فها أنا امامكم » . ^(١) عند ذلك صاح الجنود

(١) سليمان باشا الفرنساوى Colonel Séves الذى كان من ضباط جيش نابليون وقف وقفة مثل وقفة نابليون هذه . اذ انه لما فكر محمد على باشا فى وضع نظام جديد للجيش المصرى ندب سليمان أغا (الذى صار فيما بعد سليمان باشا الفرنساوى) ليديره . من مماليكه على استعمال الاسلحة الجديدة وعلى عمل الحركات العسكرية حسب النظم الحديثة . فسافر بهم الى اسوان ليكونوا يعمدين من جو الدسائس والتورد والعصيان ولكن حدث أن سرت فيهم روح التمرد والعصيان فاثمروا به ليقتلوه . فبينما كان ذات يوم ممتطيا جواده يدرهم على ضرب النار فى ناحية قريبة من النيل اذا طلقات الجند — بدل أن تتجه نحو الهدف الذى عيّنه لهم — قد دوت حوله فأيقن بصعقة الاشاعات التى تواترت واتصت به من أن الجند اثمروا به ليقتلوه . عند ذلك تقدم أمام الصف الاول وصاح فى الجند (يا كلاب . كيف تخطئون المرمى من هذه المسافة القريبة) ثم خطا نحوهم وقال لهم « ها صدري أمامكم اطلقوا النار ولا تخطئوا الهدف » فلما رأى الجند منه هذه الجرأة ذهلوا وبهتوا والقوا سلاحهم واعتذروا ثم صاروا من أخلص المخلصين له .

(فليحي الامبراطور) وانضموا اليه ثم زحفوا معه الى أن دخل مدينة ليون Lyon ظافراً ومن ليون زحف الى ان دخل باريس . وقبل وصوله اليها قرّب ملك فرنسا واستعاد نابليون صولجان ملكه . كل هذا تم في ١١ يوماً . ومن الغريب ان نابليون استعاد سيطرته على فرنسا ولم تطلق طاقة واحدة . وقد وصف شاتوبريان Chateaubriand عوده نابليون وحده واستعادته الحكم بكلمة جمعت بين الایجاز والاعجاز فقال :

"l'invasion de la France par un seul homme"

والثانية : لما ثار الايطاليون على النمساويين في سنة ١٨٦٠ وأرادوا طردهم وضم جميع بلاد ايطاليا تحت راية واحدة ونحت حكم ملك واحد البحر جاري بالدي Garibaldi على رأس ١٠٠٠ شخص ونزل في مدينة مارسالا Marsala بجزيرة صقلية ثم زحف واستولى على مدينة بالمو Palermo التي دافع عنها الجنرال لانزا Lanza مدة ثلاثة أيام . الا أن جريبالدي انتصر في واقعة ميلازو Milazzo في ٢٠ يولييه سنة ١٨٦٠ واستولى على مدينة مسينا Messine وباستيلائه عليها تم له غزو جزيرة صقلية كلها . بعد ذلك اراد أن يغزو مملكة نابولي le royaume de Naples وكان عليها الملك فرنسوا الثاني François II . وبمجرد ما اتصل بالملك فرنسوا خبر انتصار جريبالدي في صقلية فروترك مملكته . فعبر جريبالدي وحده البحر ودخل وحده في مدينة نابولي العاصمة دون ان يكون معه جندي واحد وبدون ان يطاق طاقة واحدة وبسط سيطرته على المملكة كلها بصفته ديكتاتورا . ولما تم له الأمر أعان انضمام مملكة نابولي الى مملكة آل سيمونت Piémont تحت راية ملكها فيكتور أيمانويل Victor Emmanuel وكان هذا تمهيدا لوحدة ايطاليا كلها .

- أتدرى من سماه اسكندر « الاكبر » . لا المقدونيون ولا الأغريق ولا الفرس هم الذين اطلقوا عليه هذا اللقب . الذين نعتوه « بالاكبر » هم الرومان . لأنه لما ذاع صيت اسكندر وأدهشت فتوحاته وغزواته العالم أراد مجلس شيوخ «روما» أن يظهر لاهلاً أعجابه بهذا الرجل العجيب الذي . لا الأسماع وملاً النفوس وملاً كل فراغ فوق الارض وكل فضاء تحت السماء . فاجتمع وقرر إضافة لقب « الاكبر » (Magnus (le Grand)

الى اسم الاسكندر . وقد طوى التاريخ ٢٣٠٠ سنة . ولا يزال هذا اللقب حتى الآن يزين اسمه . ومن فرط أعجاب العالم به سماه بعض المؤرخين (سيد العالم Cosmocrator maitre du monde) كما سماه البعض الآخر (رب المعجزات) وغلا البعض فعدّوه نبيا من الانبياء وذاعت خرافة بأنه بعد موته هبطت ملائكة وصعدت بروحه الى السماء ، وقد اهتمز بعض الفنانين فرصة شيوع هذه الخرافات وصنعوا تماويذ يتبرك بها الناس ومن حسن المصادفات أن مجلس شيوخ فرنسا قرر هو أيضا في خلال سنة ١٨٠٥ اضافة وصف « الاكبر » الى اسم نابليون بعد أن انتصر في ديسمبر سنة ١٨٠٥ على الروس والنمساويين في واقعة أوسترليتس Austerlitz وقد أطلق المؤرخون على واقعة أوسترليتس هذه اسم (معركة الامبراطرة الثلاثة la bataille des trois empereurs) لأنه شهدها الامبراطور نابليون بنفسه وفرنساو الثاني امبراطور النمسا بنفسه واسكندر الثالث قيصر روسيا بنفسه . وكان من نتائج انتصار نابليون في هذه المعركة أن فقدت النمسا بلاد التيرول Tyrol وبلاد البندقية Venise وبلاد دالماسيا Dalmatie وتقلصت السيادة التي كانت لها على المانيا .

- حتى موت اسكندر وانحلال امبراطوريته وتنازع قواده بعد موته واقتسامهم ممالكها واماراتها ودويلاتها اصبحت هي ايضا مضرب الامثال :
وهاك بعض امثلة منها :

" Autour de la doctrine de Joutfroy, nous trouverons toutes les écoles groupées, soit pour l'adopter, soit pour la modifier ou la combattre; ce philosophe eut, à sa manière, les funérailles d'Alexandre; les différentes écoles en vinrent aux mains autour de son cercueil. (Alfred Nettement: Littérature sous le gouvernement de Juillet.)

ومنها :

L'Asie était conquise; la terre, suivant la belle expression de l'Ecriture, s'était tue devant Alexandre; il avait fait son entrée à Babylone " non comme un conquérant, mais comme un Dieu," et le rôle éclatant et terrible qu'il avait joué touchait à sa fin. Les festins et les débauches de toute espèce avaient succédé aux batailles. Au milieu d'une dernière orgie, le conquérant fut saisi d'une fièvre qui l'emporta en quelques jours; il ne laissait que des héritiers en bas âge ou incapables. On rapporte qu'à son lit de mort, ses généraux lui demandant à qui il

lissait l'empire, il répondit : " Au plus digne " puis il expira, " plein des tristes images de la confusion qui devait suivre sa mort."

ومنها :

" Alexandre laissait, en mourant, des capitaines à qui il avait appris à ne respirer que l'ambition et la guerre. Il prévit à quels excès ils se porteraient quand il ne serait plus au monde ; pour les retenir et de peur d'en être dédit, il n'osa nommer ni son successeur ni le tuteur de ses enfants. Il prédit seulement que ses amis célébreraient ses funérailles par des batailles sanglantes." Bossuet.

- ها ثلاث كلمات لنابليون : الاولى تصدق عليه وعلى الاسكندر . والثانية تصدق

عليه ولا تصدق على الاسكندر . والثالثة فيها توارد خاطرتين وخاطرتان متباينتان :

١ - قال نابليون وهو في منفاه بجزيرة سانت هيلانة أن حياتي العجيبة الخارقة للمادة صادفتها ظروف عجيبة خارقة للمادة لا يأتي الدهر بمثلا الا مرة واحدة كل ألف سنة . ثم انتهى فقال : (حقا ان حياتي كانت رواية من الروايات)

" Quel roman pourtant que ma vie "

أليست هذه الكلمة تصدق على حياة اسكندر الأكبر تلك الحياة العجيبة التي صادفتها ظروف عجيبة خارقة للمادة . أوليست حياة اسكندر أشبه شيء برواية من الروايات ؟

٢ - بعد مادوخ نابليون ممالك أوروبا وزلزل عروش قياصرة وملوك روسيا والنمسا وبروسيا وإيطاليا وأسبانيا وبلغ أوج العز والسلطان سأل محدثيه « ماذا سيقول الناس بعد موتى ياترى ؟ » . فأخذ كل واحد من محدثيه يصف له حزن العالم وتوجعه من وقوع هذه الكارثة . الا ان نابليون التفت الى سامعيه وقال لهم (لا ... لا ... لا ... أوروبا ستتنفس الصعداء وتقول « أف »

" A cette nouvelle, l'Europe pousserait un soupir de soulagement et dirait " Out "

وهذه الكلمة ان صدقت على نابليون فانها لا تصدق على الاسكندر . ألم يقل دارا (اللهم اذا ارادت مشيئتك ان تسقط أسرتي عن العرش فاسكندر أولى به من سواه ؟) . ألم تقل أم دارا لما بلغها نبأ موته (من لنا بعدك يا اسكندر ودعت له بالرحمة ؟) . هذا ما قاله اعداء اسكندر فيه فما بالك بما قاله محبوه .

٣ - في ١٣ ابريل سنة ١٨٢١ أستدعى نابليون - وهو في منفاه - الكونت مونتولون Comte de Montholon واملى عليه وصيته وفيها أوصى بان يدفن رفاته في باريس (على شاطئ نهر السين في وسط الشعب الفرنسي الذي أحبه)

" Je désire que mes cendres reposent sur les bords de la Seine au milieu de ce peuple français que j'ai tant aimé "

وقد نفذ ملك فرنسا لويس فيليب وصية نابليون في خلال سنة ١٨٤٠ ونقل رفاته من جزيرة القديسة هيلانة الى باريس (في سراى الانفاليد Invalides) بعد ما حصل على رضا الملكة فيكتوريا .

واسكندر الاكبر بدل ان يوصى بدفن جثمانه في مدينة بيللا Pella مسقط رأسه وعاصمة مقدونيا أوصى بدفن جثمانه في مصر بواحة سيوه بجوار أبيه آمون رع الذي أحبه . وقد نفذ بطليموس الوصية بعد ما تسلم زمام الحكم في مصر فنقل رفات اسكندر من بابل الى مصر . فتأمل

- كانت آخرة الاسكندر آخرة مشنومة ، مشنومة على أسرته ومشنومة على امبراطوريته . أما أسرته فزوجته روكسان قتلت . وإبنه منها قتل . وبارسين محظيته قتلت . وإبنها منه قتل . وأمه أولمبياس قتلت . وأخوه قتل ^(١) . عصف الدهر بهم فانقضت امرة الاسكندر الذي شاد أكبر امبراطورية في العالم ^(٢)

(١) صدق السلطان بايزيد اذ قال دان الملوك ليس لهم اهل «

"Les rois n'ont pas de parents"

(٢) تذكرنا المآسى والمصائب التى حلت «بأسرة» الاسكندر المآسى والمصائب التى حلت بأسرتين عظيمتين من أسر اوربا :

— فلويز الرابع عشر ملك فرنسا Louis XIV الذى عدّ من أعظم ملوك فرنسا بل من أعظم ملوك اوربا بل من أعظم ملوك العالم القديم توالى على «أسرته» المصائب بكثرة ندر أن يكون لها مثيل . ذلك أن :

— ابنه الاكبر وولى عهد Le Dauphin مات في حياته

— وابن ابنه الكبير Le duc de Bourgogne الذى أصبح ولى العهد بعد وفاة أبيه — ولى

العهد — مات في حياته (بعد سنة واحدة من موت أبيه) .

— وزوجة ابن ابنه ماتت في حياته .

— وابن ابنه الآخر Le duc de Bretagne مات في حياته .

— وابن ابنه الآخر Le duc de Berri مات في حياته

— وزوجته هو ماتت في حياته وتزوج بمحظيته في أخريات أيامه .



اسکندر بعد موته

- وكما أن أسرته انقرضت ، كذلك امبراطوريته ، لأنه بعد وفاة اسكندر تنازع قواده السطة على جميع البلاد الداخلة في الامبراطورية وانتهى بهم الأمر الى اقسامها .
فاختص بطليموس بديار مصر . واختص لاوميدون بسوريا . وفيلوتاس بكليشيا .
وميناندر بليديا . وليناتوس بفريجي . وبيتون بميديا . وكولنوس ببلاد سوس .
وأرخون بمملكة بابل ^(١) وأومين Eumène بالبلاد المعروفة الآن بأسم ايلات سيواس

- ثم أصيب هو بفنفرينا في عظام ساقه .
— ومن تراحم السنين والاحزان والمصائب عليه مات ثما وهما وكندا .
— وبذا انقرضت أسرته ولم يبق له إلا ابن ابن ، ورث من بعده عرش فرنسا .
— وقد مات وفرنسا في حالة يرثى لها من الفوضى ومن الفقر بعد ان كانت ازهى واسعد مملكة في اوربا حتى ان فينيلون Pénélon كتب الى لويز الرابع عشر في سنة ١٦٩٥ يقول له ان فرنسا أصبحت (مستشفى كبيراً عمها الخراب وانتابها الجوع) وكانت هذه الحالة الالية وليدة حروب كثيرة بين فرنسا وانجلترا وهولاندا والمانيا فكسدت تجارة فرنسا وعمت ضائقة مالية واقتصادية شديدة نتج عنها ثورات وفن في بعض الولايات الفرنسية وعم الوباء ومات كثير من الاهالى من الجوع وقت غلة الاطيان ٣٠ ٪ وشكا الناس من بهظ الضرائب وعمت البلوى فاضطرت الحكومة الى نصب المشانق واستعمال منتهى العنف والى هذه الحالة انتهت مملكة فرنسا في عهد لويز الرابع عشر الذى شهوه بالشمس وعدوه من أكبر ومن أعظم ملوك فرنسا .
— وقد أصيب فرنسوا جوزيف الثانى Francois Joseph امبراطور النمسا والمجر بمثل ما أصيب به لويز الرابع عشر ذلك أن :
— ابنه الوحيد رودلف Rodolphe انتحر في مايرلينج Mayerling في ٣٠ يناير سنة ١٨٨٩
— وزوجته الامبراطورة اليزابيت اغتالها فوضوي في سويسرا .
— وأخاه مكسيميلين Maximilien امبراطور مكسيكا اغدم رهيا بالرصاص .
— واخت زوجته دوقه دالانسون La duchesse d'Alençon ماتت حرقا في حفلة خيرية .
— وابن اخيه Ferdinand (ولى بعده) اغتاله طالب من اهال البوسنة في سيرايفو Sernjevo (وكان اغتياله سبب الحرب العالمية الكبرى التى دامت من اغسطس سنة ١٩١٤ الى نوفمبر سنة ١٩١٨)

- وزوجة ولى العهد قتلت معه غيلة ايضا .
— ثم مات الامبراطور من توالى الهموم والاحزان بسبب انكسار جيوشه في الحرب العالمية الكبرى

— وبموته انهارت الامبراطورية النمساوية ولم يبق لها أثر .
(١) ويذكرنى انحلال امبراطورية اسكندر وقيام ممالك جديدة على أنقاضها انهيار امبراطورية شارلمان Charlemagne في القرن التاسع وكان هو ايضا من اعظم امبراطرة اوربا فانه

وسينوب وقسطموني وكاهن رجال عباقرة تفخ فيهم اسكندر من روحه فاشتهروا بالبطولة والحنكة الحربية والسياسية والأدارية وصاروا مضرب الأمثال في العبقريّة المقدونية . أما انتيباتر Antipater فبقي رئيسا لحكومة مقدونيا واليونان . وأنتيباتر هذا - ويسمونه أيضاً أنتيباس Antipas - هو ذلك الأداري الحازم والسياسي الماهر والجندي الباسل الذي أولاه اسكندر ثقة لاحد لها حتى انه نصبه قائمقام مملكة مقدونيا مدة غيابه في آسيا وفي أفريقية وقد قال فيه كلمته المشهورة : « نمت ملء جفوني لان انتيباس كان ساهراً »

" J'ai dormi paisiblement, car Antipas veillait "

بعد هذا لنا أن نقول : عَفَّتْ مقدونيا

Finis Macedoniæ

كما قال أحد عظماء بولونيا ^(١) بعد انهيارها واقتسامها : عَفَّتْ بولونيا

Finis Poloniæ

بعد موت الامبراطور شارل Charles le gros انهضت امبراطورية شارلمان L'empire d'Occident وقامت على أنقاضها سبع ممالك وهي مملكة ايطاليا ومملكة لورين Lorraine ومملكة بورجون Bourgogne ومملكة بروفانس Provence ومملكة نافار Navarre ومملكة فرنسا وهذا عدا دويلات صغيرة نشأت بجانب هذه الدول الكبيرة .

(١) يقول بعض المؤرخين ان الذي قال هذه الكلمة هو كوشيووسكو Kosciusko لبولوني بعد ما هزم في واقعة ما سيوفيسته Maciejowicé

اسماء

البلاد والمدن والأنهار والجبال

قديمًا وحديثًا

من يطالع كتب التاريخ القديم ولا سيما ما كان منه قبل ميلاد المسيح يجد أسماء بلاد ومدن وأنهار وجبال غريبة لا تمت الى الاسماء الحالية بصلة مثال ذلك :

— البحر الأسود كان اسمه قديمًا Pont-Euxin

— وبحر مرمرة كان اسمه قديمًا Propontide

— والدردنيل كان اسمه القديم Hellespont

— ونهر قزل أرماق كان اسمه قديمًا Halys

— ونهر سرداريه كان اسمه قديمًا Jaxarte

وهلم جرا بالنسبة الى بلاد آسيا الصغرى ومدنها وثغورها وأنهارها وجبالها وبالنسبة الى سائر بلاد آسيا ومدنها وثغورها وأنهارها وجبالها . وبعض المدن لها أسماء متعددة متنوعة بحسب ما يرويها المؤرخون . خذ مثلاً مدينة سمرقند فان من المؤرخين من يسميها مرقند Maracande مثل بلين Plinie ومنهم من يسميها براقند Paracande مثل سترابون Strabon والاسم الغالب هو سمرقند (وكانت عاصمة مملكة بخارى التتارية غزاها جنكيز خان ثم اتخذها تيمورلنك Tamerlan عاصمة لملكه وفيها الآن قبره)

فلهذا رأيت وضع بيان بأسماء البلاد والمدن والأنهار والجبال قديمًا وحديثًا يسهل لقراء التاريخ القديم معرفة مواضع البلاد ومواقع المدن والأنهار والجبال التي اشتهرت في التاريخ القديم بحوادث تاريخية ذات بال :

A

Alexandropolis	دده جاش	Araxe (بندمير) الكر	نهر اراس او الكور او الكر
Arbèle ou Erbil	اربيل (على مقربة من الموصل)	Appolonia	اولوبورلو
Ardébil	آردبيل (بلدة في الازريي جاز المعجمي)	Achéménides	الاخمينيين (وبالفارسية)
Apamée	اقاميه (على نهر الهامبي)		هخامنشي

Aderbaidjan (anc. Mèdie)	ادريبيجان	Cilicie	كايكيا
Arachosie	مقاطعة قندهار	Chalybon	حاب
Arie	خراسان	Cysique Auj. Aindschek.	
Asterabad	جرجان	Cophèse	كابول
Amanus	طويق قلعة سي	Coreyre	جزيرة كورفو
Amanus (Mont)	جبل ييلان طاغ	Corfon	
Ancyre	انقره		

D

Appolinopolis	ادفو (مصر)	Draugiane	دايستان
Acésine	نهر في الهند اسمه الآن تشيناب	Darius	دارا
Artaxersès	ارتاكزركس (وبالفارسية	Delas	نهر دباله (في ولاية بغداد)

E

Arsinoè	تطابق قديماً على السويس	Edesse	اورفا
Amou-Daria (Oxus)	نهر جيحون	Elbourz (Mont)	جبال البرز
Axios (Vardar)	واردار	Elam	إيلام
Avicennes	ابن سينا	Ecbatane	إكباتان (عاصمة الاخمين القديمة)
Amphipolis. Neokhori	نيو خوري		وفيها قبر ابن سينا الحكيم المشهور بنيت على انقاضها همدان

B

Béryte	بيروت (اسمها القديم)	Emèse	حمص
Byblos	جبيل (فلسطين) (لبيد) v	Enzéli	بيلوي (نهر على بحر قزوين)
Bactres	بلخ (مسقط رأس البرامكة)	Ephèse Auj. Aya Soulouk.	إباصلوق على بعد ٦٠ كيلو متراً من أزمير
Babylone	بابل (حلة)		
Bithynie	إيالة بروسه		

G

Bubaste	تل بسطة (بجوار الزقازيق)	(Granique. Auj. Oust-valason	نهر
Bactriane	تركستان		صومو جولي يقع غرب صوموور جاي

C

Caspienne (Mer)	بحر قزوين او بحر الخزر	Gédrosie	بلوشستان
	او بحر طبرستان	Gange	الكنج (نهر في الهند له ثمانية روافد ويصب في خليج بنغال)
Ctésiphon	طيسفون او المدائن (على بعد ٢٥ كيلومتراً من بغداد)	Gessen	وادي غسان (وادي الطميلات) في مصر وهو الوادي الذي خرج منه بنو اسرائيل تحت قيادة سيدنا موسى الكليم
Crocodilopolis	الفيوم	Gordium. juliopolis	بي بازار
Chédia	النشو البحري (الآن)	Georgie	كرجستان
Cadmus (Mont)	جبل بابا طاغ	Gaugaméle	جوحاميل (شرق مدينة اربل)
Cappadoce	ولاية سيواس	(Gètes (les	اقوام بين نهر الدانوب والبالقان
Carie	ايدن (اسيا الصغرى)	Gog et Magog	ياجوج وماجوج
Cydnus	نهر قره صو او طرسوس جاي		

H

Elérut هرات (عاصمة تيمورلنك)
 Hulyس نهر قزل ارماق (او النهر الاسمر)
 Hyphase نهر في الهند (أحد روافد نهر جناب)
 (Ghorra ou Beyah) واسمه الآن جورا اوبياح
 (Beyah) وهو النهر الذي اوقف عنده زحف
 الاسكندر ومنه أمر بالعودة الى الوطن.
 Hermopolis دمنهور (اسمها القديم)
 Hebron الخليل (بفلسطين)
 Heroonpolis اسم السويس (قديماً)
 Halicarnasse Aug. Boudroum بودروم
 مسقط رأس هيرودوت المؤرخ الشهير الذي
 لقبوه بابي التاريخ

Hellespont الدردنيل
 Hèbre نهر ماريتا
 Hycarnie مجموعة اياتي جرجان ومازندران
 (عاصمتها زادراكارتا)
 Hydaspes جيحون نهر في الهند اسمه الآن جيلم
 (وعلي شاطئ هذا النهر هزم الاسكندر ملك
 الهند بوروس Porus) ومنه أيضاً سار
 الاسكندر بسفنه الى ان وصل الى المحيط
 Héraclee اركلي

I

Issus قره ايلان. Ajazzo. (على مقربة من
 باياس Payas)
 Iaxarte سرداريا (Syr-Daria)
 Illyrie دالماسيا وما اليها
 Ionie تطلق تارة على شمال المورة (في بلاد
 اليونان) تارة على البلاد الواقعة شرق
 اسيا الصغرى
 Iudus الهند (نهر)
 Illion مدينة بجوار (تراودم)
 Iconium قونية
 Iris نهر يشيل ارماق
 Ister الدانوب (نهر)

J

Joppé (Jaffa) يافا
 Jébus (Jérusalem) القدس : اورشليم
 Jerabis قرقيش

K

Kadjar عائلة قاجار
 Khétas (Hittites) الحيثيين
 Khorsabad قيوخچق (في شمال نينوى والموصل)
 Kében (Byblos) اسم قديم لمدينة (جبيل)
 Kénuissrin خان نسرين او قنسرين (بجوار حلب)
 Koush بلاد اتيوپيا
 Kechich Dag كشيش طاغ
 Kadessieh القادسية (قرب الكوفة)

L

Licopolis اسيوط
 Lycie (Entre Carie et Pamphlie)
 Lydie (Mèonie) ليديا (جزء من ولاية آيدين)
 Lutèce باريس

M

Matura اللباد
 Mélita جزيرة مالطة
 Memphis منف . منفيس (ميت رهينة الآن)
 Milet خليج ميلية اندثر ولم يبق
 منه الا بحيرة اسمها كابي ديرن او
 آليس جاي او Oula Bati
 Milet ميلية اندثر وقامت على انقاضها
 قرية بلاتشا Palatcha
 Maracande سمرقند
 Mysie البلاد الواقعة جنوب بحر مرمرة وشرق
 الدردنيل في اسيا الصغرى
 Murathus (Aradus) رواد
 Mendès تمى الامديد (مركز السبلاوين)
 Myriandros اسكندرونه
 Mazaca قيصريه
 Napata ناباتا (ابودوم)

N

Naucratis	نقراطس	Euxin entre les fleuves Parthénienus et Halys.)	الآن لواء سينوب وقسطموني
Nicephorium	الآن الرقة	Phrygie	في آسيا الصغرى وفيها انقره وقونية
Nishapour	نيسابور		وجورديوم واللاذقية وكوتاهية
Nicée	إزنيك	Péluse	الفرما (مصر)
Nicomédie (Ismid, Kodja-Eli)	إزميد	Pisidie	لواك شهر
(Isnikmid)	قوجه ايلي	Philippopolis Plovdiv	وتسمى الآن
Nabucodonosor	بختنصر	Ptolémaïs	عكا
Niive	نينوي (قيونجق)		
Nehavend	نهابوند		

O

Oxus (Amou-Daria)	أكوس (اموداريا)
	نهر جيحون
Oronte	نهر العاصي (نهر بحمدس وحماه وانطاكية)
Ourmiah (Ville ou Lac)	رضاية
Olympe (Mont) Keshik-Dagh	جبل كشيك طاغ

P

Patala	حيدرآباد مدينة في الهندوستان الانجيزي
	في بلاد السيخ على بعد ٢٢٥ كيلو مترا من مدينة (دهلي)
Pinaros (Sari-Saki)	صاري صافيز أودلي چاي
Persépolis	تحت خشيد او اصطخر
Pont-Euxin	البحر الاسود
Phocée (Varia) Appelée par les Turcs Hadji-Liman	حاجي ليمان
Pella (Aghioi Apostoloi) Yunitsa	يانيتسا
Propontide	بحر مرمرة
Paratonium	مرسى مطروح
Pasargade	مازارجاد
Palmyre	تدمر
Pamphylie	الآت (إيالة كارامان)
Perga	قره حصار (آسيا الصغرى)
Parthie	هي البلاد الواقعة جنوب بحر الخزر وفيها مدينة الري والمدائن واكباتان
Pamphlagonie (s'étendait sur le Pont	

R

Rakotis	راقوذة
Racca	الرقة
Raghès Ragae	مدينة (الري)
Raphia	رفع
Recht	رشت (عاصمة جيلان)

S

Sogdiane	(صفند) تركستان بين نهرى سيحون
	وجيحون
Sari	صاري عاصمة مازندران
Sidon	مدينة (صيدا)
Sagalassua	بودرون
Sardes	سارت (كانت عاصمة ملوك ليديا)
Suse	مدينة (سوس) او (شوشن)
Sozopolis (Auz. Sizoboln)	مدينة في تراقيا
	على البحر الاسود (بلغاريا)
Stagire (Kazandji Mahalla)	قازانجى محله
	روهي مسقط رأس ارسطاطاليس. ولما استردتها اليونان من الترك بعد حرب سنة ١٩١٤ - ١٩١٨ اعادت اليها اسمها الاصلي
Sangarius	اضه بازار
Seuneh	سنه
Scythes (Les)	تطابق تارة على اقوام في جنوب روسيا وتارة على قبائل في آسيا الصغرى
Sirdaria	سرداريا
Sais	صا الحجر (غربية)
Strymon Strouma	قره صو (نهر في مقدونيا)

T

Tyr مدينة (صور)
 Tauris تبريز (عاصمة هولاء كوكب الدنيا من سنة ١٢٥٦ الى ١٢٦٥)
 Tralles (Aidin) سكان ايدين (آسيا الصغرى)
 Triballes (Les) سكان ترافيا
 Tarse طرسوس
 Talent عملة قديمة تساوي ٢٤٠ جنياً
 Tamerlan من عملة اليوم
 تيمورلنك

Thrace

Tan

Tmolus

ثراقيا
 صان (شرقية)
 بوزطاغ

X

Xerses اكزركسيس (وبالفارسية خشايارشا)

Y

Yaxarte

نهر سرداريا

المراجع الاfrنجية

- Les Vies des Hommes Illustres par Plutarque.
- Histoire Ancienne par Charles Rollin.
- Histoire d'Alexandre le Grand par Jean-Gustave Droysen.
- Alexandre le Grand par Ulrich Wilcken.
- Alexandre le Grand par Georges Radet.
- Notes critiques sur l'Histoire d'Alexandre par Georges Radet.
- Histoire des Lagides par Edwyn Bevan.
- Byzance par Auguste Bailly.
- Histoire Romaine par Victor Duruy.
- L'Antiquité. Orient-Grèce-Rome par Albert Malet.
- Histoire Ancienne de l'Orient par Tony Severin.
- Précis d'Histoire Ancienne par Le Bas.
- Biographies des Hommes célèbres par Georges Duruy.
- L'Egypte (Ancienne. Moderne. Contemporaine) par P. de Hénaut.
- Dictionnaire Philosophique de Voltaire.
- Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient par Lt. Maspéro
- Asie Mineure par Charles Texier.
- Conquêtes en Asie par M. De Chavannes.
- Aperçu de l'Histoire d'Egypte par Auguste Mariette Bey.
- Histoire Ancienne par l'Abbé Drioux.
- Les Conquérants célèbres par M. De Chavannes.
- La Perse par Raymond Furon.
- Histoire de l'Iran Antique par Georges Camerou.
- Routes de Perse par A. Poidebard.
- Guide to Afghanistan par Mohamed-Ali.
- L'Egypte des Pharaons par Jean Capart et et l'Asie Occidentale ancienne par le Dr. G. Contenau.
- Note sur le voyage d'Alexandre le Grand à l'Oasis de Jupiter Ammon par S. A. le Prince Omar Toussoun.
- Les Essais de Montaigne.
- France (Géographie. Histoire. Littérature) par Bisi et Grimod.
- Revue des Deux-Mondes. 15 Février 1928.
- Le Moyen-Age jusqu'à la Guerre de Cent ans par CH. Aimond.
- La Fin du Moyen-Age et le XVIème Siècle par CH. Aimond.
- Le XVIIème et le XVIIIème siècle par CH. Aimond.
- Histoire de France par Lamé Fleury.

- Fleurs Historiques par P. Larousse.
- Alexandria ad Aegyptum par Breccia.
- Histoire de la Turquie par A. de Lamartine (Tome I)
- " " " " " " " " (Tome II)
- " " " " " " " " (Tome III)
- " " " " " " " " (Tome IV)
- Coup d'Oeil sur la Chronologie de la Nation Egyptienne par J. Cattani Pacha.
- Nouveau Guide de la Grèce par René Puaux.
- Histoire de France et Histoire Contemporaine par Gustave Ducondray.
- Histoire Générale et Histoire de France par G. Ducondray.
- Abrégé de l'Histoire des Egyptiens par Antoine-François Pernin.
- Napoléon par Eugène Turlé.
- Causeries sur Notre Histoire par Gustave Hubault.
- Histoire de l'Europe par Victor Duruy.

المراجع العربية

- تاريخ القوقاز ليوسف عزت باشا
- جولة في كردستان الجنوبية للأستاذ علي سيدو الكوراني
- رضا شاه بهلوي (نهضة ايران الحديثة) لأحمد محمود الساداني
- العالم كما رأيته « جولة في ربوع آسيا » للرحالة المصري محمد ثابت
- تاريخ الكرد وكردستان لمحمد امين بك زكي الوزير العراقي
- مصر « في قيصرية الاسكندر المقدوني » للأستاذ اسماعيل مظهر
- تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية لسمو الامير عمر طوسون
- الاسكندرية (المدن المصرية) للأستاذ فؤاد فرج
- منطقة قناة السويس » » »
- تاريخ وسيرة ومناقب امير المؤمنين الفاروق للأستاذ محمد رضا
- عمر ابن الخطاب
- أمتاع الأسماع . بما للرسول من الأنباء والأموال للمعريزي
- والحفدة والمتاع

فهرس

صفحة

مقدمة	١
النهائية عهد فيليب وبداية عهد ابنه الاسكندر	٢
اسكندر وارسطو	٤
اسكندر وجواده	٥
اشترك اسكندر في بعض الوقائع الحربية	٧
شفاق بين الابن وابه	٨
بداية حكم الاسكندر	١١
حروبه مع دارا	١٤
واقعة الجرانيك	١٥
واقعة ايسوس	٢٠
غزو سوريا وفلسطين	٢٤
غزو مصر	٢٨
تأسيس مدينة الاسكندرية	٣٣
اسكندر في واحة سيوه	٣٦
واقعة اربل	٤٤
زواج اسكندر بروكسان	٤٥
غزو الهند	٤٩
طواف نيارك بالمحيط الهندي وبخايج المعجم	٥٠
زواج المقدونيين بايرانيات	٥٣
وفاة اسكندر في بابل وانقراض أسرته	٥٥
انحلال امبراطوريته واقتسامها	

٥٨	من هو ذو القرنين
٧٠	يا جوج وما جوج
٧١	الحكم التاريخ في الاسكندر
٧٦	غزوات حربية
٨٣	فتوحات علمية
١٠٠	الاسكندر واقتداء بعض القياصرة والملوك به
١١١	بعض نواحي عظمة الاسكندر وبعض مساوئه
١١٦	خاصيات ومستطرفات عن فيليب وعن ابنه الاسكندر
١٣٧	أسماء البلاد والمدن والأنهار والجبال قديماً وحديثاً
١٤١	المراجع الأفرنجية
١٤٢	المراجع العربية

فهرس الصور

صفحة	
١٥	- صورة الاسكندر قبل المقدمة
٢	- صورة فيليب ٣
٣	- صورة اسكندر ٥
٤	- صورة أرسطاطاليس وتلميذه اسكندر ٧
٥	- صورة أرسطاطاليس ٩
٦	- صورة دارا ملك الفرس ١٣
٧	- صورة ديموستين خطيب اليونان ١٥
٨	- صورة أم دارا وزوجته وأبنه و بنتاه عندما وقعن في الأسر بعد موقعة ايسوس ١٩
٩	- دخول اسكندر مدينة بابل ٣٧
١٠	- قصر الملك دارا والملك كزر كيس في برسيبوليس ٣٩
١٢	- زواج اسكندر بروكسان ٤٥
١٢	- ناووس الأسكندر (الموجود في متحف استانبول) ٥٧
١٣	- محراب في معبد دندره ٧١
١٤	- فنار الاسكندرية ٨٥
١٥	- صورة المؤرخ بلوتارك ١٠٣
١٦	- ناحية من قصر كزر كيس في برسيبوليس ١١٣
١٧	- قصر دارا في برسيبوليس ١١٥
١٨	- فيليب أبو الاسكندر على صهوة جواده يستعرض جنوده ١١٧
١٩	- اسكندر على صهوة جواده ١٢٥
٢٠	- رأس الاسكندر (الموجود في المتحف الأثري الروماني بالاسكندرية) ١٢٧
٢١	- رأس أسكندر بعد موته ١٣٥

كتب المؤلف

- ١ - رسائل في الوقف
- ٢ - الطعن في الاحكام بطريق النقض والابرام (ترجمة كتاب مسيو دوهلتس)
- ٣ - قضاء المحاكم في مسائل الأوقاف (نقله الى الفرنسية الأستاذ يعقوت خانكي)
- ٤ - خواطر خواطر
- ٥ - ما هنا وما هناك
- ٦ - مجموعة مذكرات في بعض قضايا شهيرة
- ٧ - عشر رسائل في القضاء والتشريع
- ٨ - مسائل قانونية ورسائل شتى
- ٩ - شؤون مصرية - طبعة أولى
- ١٠ - » » » - ثانية
- ١١ - قتال السويس
- ١٢ - أحاديث
- ١٣ - أحاديث جديدة
- ١٤ - فرض ضريبة على التركات والهبات والتأمينات والوصايا والأوقاف واليانصيب
- ١٥ - الرق والعرق والولاء شرعاً ونظاماً
- ١٦ - الحكم والوقف والتقدم
- ١٧ - ~~اختلاف القوانين بين الارث مستوحى الى اللغة الفرنسية~~

- ٢٢ - المماطلة في الخصومة وعلاجها
 ٢٣ - ترك وأتاتورك - وترجمه الى اللغة الفرنسية الأستاذ جميل خانكي
 ٢٤ - قتال فاروق الأول
 ٢٥ - الذكرى المثوية لواقعة نزيب
 ٢٦ - المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية . ماضيها - حاضرها - مستقبلها
 ٢٧ - الحماماء قديماً وحديثاً - بالاشتراك مع الأستاذ جميل خانكي
 ٢٨ - التشريع والقضاء قبل إنشاء المحاكم الأهلية
 ٢٩ - نفحات تاريخية
 ٣٠ - حياة اسكندر الأكبر

تحت الطبع

- ١ - الآثار المصرية القديمة
 ٢ - القضاء على المذاهب الأربعة
 ٣ - الأحوال الشخصية لغير المسلمين
 ٤ - محمد على الكبير وذريته
 ٥ - الأمثال السائرة (القانونية والشرعية) بالعربية والفرنسية واللاتينية
 ٦ - لدعات . كلمات . نكات
 ٧ - L'esprit français dans l'histoire et dans la littérature
 ٨ - Fleurs historiques
 ٩ - Glances
 ١٠ - غرائب أبو الاسكندر على صهوة جواده يستعرض جنوده ١٢٥
 ١٩ - اسكندر على صهوة جواده ١٢٥
 ٢٠ - رأس الاسكندر (الموجود في المتحف الأثري الروماني بالاسكندرية) ١٢٧
 ٢١ - رأس أسكندر بعد موته ١٣٥

